



جامعة النجاح الوطنية

كلية الدراسات العليا

التفكير المنهجي في ضوء السُّنة النَّبوية دراسة تأصيلية

إعداد

أنسام عالم إسماعيل عالم

إشراف

د. حسين عبد الحميد النقيب

د. محمد راغب الجيطان

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في أصول الدين (عام) بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين.

2022م

التفكير المنهجي في ضوء السُّنة النَّبوية

دراسة تأصيلية

إعداد

أنسام عالم إسماعيل عالم

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 2022/02/22م، وأجيزت.

التوقيع	د. حسين عبد الحميد النقيب
التوقيع	المشرف الرئيسي
التوقيع	د. حسين عبد الحميد النقيب
التوقيع	المشرف الثاني
التوقيع	د. عبد الكريم وريكات
التوقيع	الممتحن الخارجي
التوقيع	د. عامر جود الله
التوقيع	الممتحن الداخلي

الإهداء

إلى كل فرد يطمح إلى تنمية شخصيته ليكون صاحب مشروع حضاري في هذه الأمة.

إلى كل متطلعٍ لنهضة أُمَّته الإسلامية، باذلاً قصارى جهده أن يكون سبباً من أسباب نهضتها.

إلى كل ساعٍ لإحياء مجدها ورُقِيَّها القديم بين الأمم.

إلى كل من سمّت روحه بحب الله ورسوله وحب العلم الشرعي.

إلى أهلنا الصامدين في غزة الأبيّة، إلى حماة الثغور، إلى أسرانا البواسل،

إلى شهدائنا الأبرار.

أهدي رسالتي هذه سائلة المولى عزّوجلّ أن يجعل في علم قارئها زيادةً خيرٍ ومفتاح هداية ورشاد.

إن شاء الله رب العالمين.

الباحثة

الشكر والتقدير

الحمد لله حمداً يوافي نعمه، أحمده وأشكره أن وقّفتني لإتمام هذه الرسالة حمداً يليق بجوده وكرمه وعطائه.

وأتوجّه بالشكر إلى الدكتور الفاضل: حسين النقيب، والدكتور الفاضل: محمد الجيطان، على ما بذلاه من جهدٍ وتوجيهٍ ونصح.

وأنتدّم بالشكر لحضرة الدكتور: عامر جودالله، والدكتور عبد الكريم الوريكات أن وافقا على قبولهما مناقشة هذه الدراسة.

وأخصّ بالشكر حصني المنيع والدي العزيز، وصاحبة القلب المعطاء والدتي الطيّبة، فقد ذُلت لي الصعاب، ومُهدت أُمامي الطرق بفضل وجودهما ودعمهما ودعائهما الدائم.

ولا أنسى بالطبع أن أشكر رفيقات الدّرب: فاطمة عيسى، آيات غنايم، وسارة سلطي، على ما قدمنه من إرشادات ونصائح عامّة، وتحفيز وتشجيع ورفعٍ للهمم، فبارك الله فيهنّ وأدام مودّتنا.

وأشكر كلّ من أورشني علماً أنفع به، وكلّ من حتّني على الاستمرار ثمّ الوصول ولو بكلمة طيّبة، وكلّ من ساهم سواء من قريب أو بعيد في بناء هذه الدراسة، فجزاهم الله خيراً..

الباحثة

الإقرار

أنا الموقع أدناه، مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

التفكير المنهجي في ضوء السُّنة النَّبوية

دراسة تأصيلية

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة كاملة، أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أي درجة علمية أو بحث علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the and has not been submitted elsewhere for any other researcher's own work, degree or qualification.

اسم الطالب: أنسام عالم إسماعيل عالم

التوقيع:

التاريخ: 2022/02/22

فهرس المحتويات

الإهداء.....	ت
الشكر والتقدير.....	ث
الإقرار.....	ج
فهرس المحتويات.....	ح
فهرس الأشكال.....	د
المُلخَص.....	ذ
مقدمة.....	1
الفصل الأول: مفهوم التفكير المنهجي ومكانته في السُّنة النَّبوية.....	8
المبحث الأول: مفهوم التفكير والمنهج في اللغة والاصطلاح.....	8
المطلب الأول: مفهوم التفكير في اللغة والاصطلاح.....	8
المطلب الثاني: مفهوم المنهج في اللغة والاصطلاح.....	11
المبحث الثاني: مكانة التفكير المنهجي ودوره في بناء المنهجية العقلية في السُّنة النَّبوية.....	15
المطلب الأول: مكانة التفكير المنهجي في السُّنة النَّبوية.....	15
المطلب الثاني: دور التفكير المنهجي في بناء المنهجية العقلية.....	19
المبحث الثاني: مجالات التفكير المنهجي وضوابطه في السُّنة النَّبوية.....	23
المطلب الأول: مجالات التفكير المنهجي في السُّنة النَّبوية.....	23
المطلب الثاني: ضوابط التفكير المنهجي في السُّنة النَّبوية.....	36
الفصل الثاني: أصول التفكير المنهجي في ضوء السُّنة النَّبوية.....	50
مدخل الفصل.....	50
المبحث الأول: الأصول الفكرية للتفكير المنهجي في السُّنة النَّبوية.....	51
المطلب الأول: مفهوم الأصول الفكرية.....	51
المطلب الثاني: المنطلقات الفكرية للتفكير المنهجي.....	54
المبحث الثاني: الأصول العلمية للتفكير المنهجي في السُّنة النَّبوية.....	79
المطلب الأول: مفهوم "الأصول العلمية" للتفكير المنهجي.....	79
المطلب الثاني: القواعد العلمية للتفكير المنهجي في السُّنة النَّبوية.....	81
المبحث الثالث: الأصول العملية للتفكير المنهجي في السُّنة النَّبوية.....	97
المطلب الأول: فاعلية التفكير؛ بالتحام التفكير بحياة الناس.....	98

99	المطلب الثاني: مرونة الأداء الفكري؛ بمراعاة الثوابت والمتغيرات.....
102	المطلب الثالث: النظر في مآلات العملية الفكرية
105	الفصل الثالث: أهداف التفكير المنهجي وأساليب تنميته ومعيقاته في السُّنة النبوية
105	مدخل الفصل
106	المبحث الأول: أهداف التفكير المنهجي في السُّنة النبوية
126	المبحث الثاني: طرق وأساليب تنمية التفكير المنهجي في السُّنة النبوية
127	المطلب الأول: التنمية الصامتة.....
129	المطلب الثاني: إثارة دافعية العقل للتفكير
138	المطلب الثالث: مراعاة الميول الشخصية والقدرات العقلية.....
145	المطلب الرابع: التنمية الذاتية.....
150	المبحث الثالث: معوقات التفكير المنهجي في ضوء السُّنة النبوية
151	المطلب الأول: المعوقات ذات البعد العقلي المعرفي
162	المطلب الثاني: المعوقات ذات البعد الاجتماعي.....
165	المطلب الثالث: المعوقات ذات البعد النفسي والإعلامي.....
173	الخاتمة.....
176	المراجع العلمية.....
B.....	Abstract

فهرس الأشكال

الشكل (1): رسما تقريبا لما رسمه النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث 144

التفكير المنهجي في ضوء السُّنة النَّبوية (دراسة تأصيلية)

إعداد

أنسام عالم إسماعيل عالم

إشراف

د. حسين النقيب

د. محمد الجيطان

المُلخَص

هدفت الدراسة إلى إبراز أثر السُّنة النَّبوية، وبيان دورها الفاعل في بناء التفكير المنهجي للفرد المسلم، في منحى تأصيلي استقرائي من الصحيحين تمس الحاجة إليه في واقع ضَعُف فيه التفكير المنهجي، وشحَّ اهتمام مجتمعاتنا الإسلامية به.

تقدم في الفصل الأول استعراض تعريفات العلماء لمصطلحي التفكير والمنهج، والجمع بينها، ثم الشروع في بيان مكانة التفكير وأهميته في السُّنة النَّبوية، وأثر التفكير المنهجي على توجيه منهجية العقل، ثم عرضت الدراسة للمجالات التي وظَّف النبي صلى الله عليه وسلم تفكيره فيها، وخُتم الفصل ببيان ضوابط التفكير التي تمثلت في الحدود التي ينبغي للعقل ألا يتجاوزها في نشاطه الفكري.

أما الفصل الثاني فكان هو صلب الموضوع، فقد وظفت الباحثة المنهجين الاستقرائي والتحليلي في تحليل النصوص النبوية؛ لاستنباط الأصول، وبيان أثرها في توجيه التفكير الوجهة الصحيحة، وجاءت في ثلاثة أنواع؛ تمثلت في الأصول الفكرية، والأصول العلمية، والأصول العملية.

وجاء الفصل الثالث ختام الفصول بعرض أهداف التفكير المنهجي في المنهج النبوي، ثم الطُّرق والأساليب التي سلكها النبي صلى الله عليه وسلم؛ لتنمية التفكير المنهجي لدى المخاطبين، مع

توضيح ذلك بالأمثلة التطبيقية لكل أسلوب، وخُتم الفصل بالمعوقات التي تعترض عملية تنمية التفكير المنهجي.

وخلصت الدراسة إلى أن التفكير المنهجي علم أصيل اهتمت السُنَّة النبوية بإرساء قواعده، وعمل النبي صلى الله عليه وسلم على تجسيده قولاً وعملاً، وأوصت الدراسة الجهات التربوية من أسرة ومدارس وجامعات بأهمية الإفادة من منهج التأصيل الذي اعتمدته الدراسة، والعمل على استثماره في تنمية تفكير أفراد المجتمع؛ بإرساء هذه الأصول في عقولهم عبر أساليب متنوعة.

الكلمات المفتاحية: التفكير، السنة النبوية، المنهج، تنمية، ضوابط.

مقدمة

الحمد لله الذي فضّلنا على كثير ممن خلق تفضيلاً، أن رفع قدرنا بنعمة العقل؛ لنضبط به سلوكنا، فنعوذ به من تسخير إيانا فيما يغضبه، والصلاة والسلام على من هو أرجح العالمين عقلاً وأكملهم فهماً، محمد رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

أرسل الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين، ففتح الله بدعوته قلوباً غلقاً، وآذاناً صماً، قوم الفكر ومحا الجهل، وأطلق العقول للتفكير الصحيح.

ولأنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم كان مدرّكاً لطبيعة البيئة الفكرية الجاهلية التي يواجهها، وما تعانيه من أمراض جسيمة أصابت عقول الناس بالعطب، كان لابدّ له من اختراق ثقافات تلك العقول أولاً، وإيجاد شفاء مُجْدٍ للآفات التي تغشاها ثانياً، وذلك بالدعوة إلى التفكير العقلي، وفق قواعد فكرية منهجية، تنعكس على أقوالهم وسلوكهم.

وبما أن الخطاب النبوي في معظمه موجّه إلى المسلمين عامة، فنحن مطالبون بالسير وفق المنهج النبوي في كل زمان ومكان، فكان جديراً بنا أن نستخلص الأصول العامة التي ينبغي على المسلم أن يفكر في ضوءها، وتحريره من العوائق التي تحدّ نشاطه وتحرفه عن التفكير الصحيح المثمر؛ لنضع بذلك منهجاً نبوياً متكاملًا؛ لا ينبغي للمسلم المكلف أن يجهله أو يخالف قواعده في أي عملية تفكير يقوم بها؛ لأن التفكير القائم على أصول منضبطة يُعين العقل على حُسن التعامل مع المواقف، ودقة الحكم عليها، فجاءت هذه الدراسة لتسليط الضوء على هذه الأصول.

وقد راعت هذه الدراسة بيان أصول التفكير المنهجي في ثلاثة جوانب؛ الأول منها: بيان مقصودنا بكل أصل منها، والثاني: بيان الأصول الفرعية المنبثقة عن كل نوع، وثالثها: بيان دورها وأثرها في استقامة التفكير؛ بما يمكن القارئ من اكتساب الملكة في هذه الأصول.

وافتحت الدراسة في الفصل الأول حديثها عن مكانة التفكير عند النبي صلى الله عليه وسلم، الذي احتل مكانة عالية عنده؛ باعتباره عملية ملازمة لا تنفك عن العقل السليم، ثم تحدثت الدراسة عن دور التفكير المنهجي في تكوين المنهجية العقلية؛ لما للعلاقة التبادلية بين العقل وعملياته، وخُتم الفصل ببيان مجالات التفكير المنهجي وضوابطه، فتمثلت المجالات في أربع مجالات، وتمحورت الضوابط حول عدم تجاوز عالم الشهادة، وترك التفكير فيما لا يجلب مصلحة أو يسبب ضررا.

وجاء الفصل الثالث ختام الفصول يعرض أهداف التفكير في المنهج النبوي، تلك الأهداف التي تحقق الغاية الكبرى لوجود الإنسان وهي عبادة الله، ويبين الأساليب التي اتبعها النبي صلى الله عليه وسلم في تنمية التفكير المنهجي، من أهمها: القدوة الحسنة، والسؤال والحوار، وختم الفصل بالمعوقات التي تعترض عملية التنمية، والتي جاءت على ثلاثة أنواع؛ تمثلت في معوقات ذات بعد ثقافي معرفي، ومعوقات ذات بعد اجتماعي، ومعوقات ذات بعد نفسي وسياسي؛ كل ذلك وفق المنهج الاستقرائي لأحاديث الصحيحين، وقد زاد عددها عن "تسعين" حديثاً، شمل تحليلها وبيان دلالتها؛ ليكون إصلاح وتنمية ملكة التفكير باباً جديداً نفتحه لتنمية جوانب شخصية المسلم قاطبة. سائلةً المولى التوفيق والسداد.

مشكلة الدراسة:

1. ما مفهوم التفكير المنهجي في السنة النبوية؟
2. كيف يمكن للتفكير المنهجي أن يؤثر على المنهجية العقلية؟
3. ما الأصول المنهجية التي اعتمد عليها النبي صلى الله عليه وسلم في تفكيره؟
4. ما الآثار التي يمكن أن تنتج عن اعتماد العقل على الأصول النبوية في التفكير؟
5. هل العملية الفكرية في السنة النبوية عملية مطلقة؛ أم أنها مقيدة بضوابط؟
6. ما الطرق والأساليب النبوية الكفيلة بتحقيق التنمية الفكرية المنهجية؟ وما معوقات ذلك؟

أهداف الدراسة:

1. بيان مفهوم التفكير المنهجي.
2. تسليط الضوء على أصول التفكير المنهجي، وآفاق عمل العقل على أساسها.
3. إبراز الضوابط العامة للتفكير في المنهج النبوي، ومبادئه الخاصة بها.
4. الإشارة إلى أهم الأهداف الفكرية التي سعى النبي صلى الله عليه وسلم إلى تحقيقها.
5. استعراض أهم الأساليب النبوية في تنمية التفكير المنهجي ومعوقات عملية التنمية.

أهمية الدراسة:

تظهر أهمية دراسة هذا الموضوع في جوانب عدة، منها:

1. تستقي هذه الدراسة أهميتها من أهمية الموضوع ذاته، ومن حاجة المجتمعات الإسلامية إليه، فالتفكير المنهجي منهج حياة مرتبط بحياة المسلم اليومية، وهو عنصر أساسي في بناء شخصيته، سواء على المستوى الفردي أو المجتمعي.

2. تأتي أهمية هذا الموضوع في زمن التراجع الحضاري الذي يعيشه المسلمون، فحين أهمل المسلمون استثمار تفكيرهم وتوجيهه نحو الوجهة الصحيحة، فيما يصلح أمور دينهم ودنياهم؛ دبّ الضعف والوهن في أوصال الأمة، وخارت قواها وهزلت، ولا نبالغ إذا قلنا إن نهضة الأمة في كافة المجالات تبدأ بنهضة التفكير المنهجي الصحيح.
3. اعتبارها نموذجًا واضح المعالم في سبق الإسلام وحيويته في كافة المجالات.
4. إمكان استفادة المؤسسات التربوية وخاصة الأسرة والمدارس من الأساليب النبوية في تنمية التفكير الصحيح عند النشء، لتحسينهم من الأفكار الهادمة.

الدراسات السابقة:

لا شك في أن موضوعًا بهذه الأهمية؛ قد حظي بالعديد من الدراسات، ولكنني -وفي حدود اطلاعي- لم أجد دراسة حديثة وافية، تؤصل قواعد التفكير، وتُفصّل طرق وأساليب تنميته، ومجالات توظيفه، وإنما كان ما تسنى لي الاطلاع عليه دراسات اقتصر على عرض محدود مجتزئ للموضوع، من أهمها:

الدراسة الأولى: الفكر والتفكير في ضوء الكتاب والسنة¹.

تحدثت الدراسة عن الفرق بين التذكر والاعتبار والنظر وغيرها من الألفاظ المتقاربة، ومنزقات التفكير، كالتفكير في الخالق، وكيف عالجه الرسول صلى الله عليه وسلم بالأدلة العقلية، ثم عرض البحث خمسة أنماط للتفكير؛ كالتفكير الناقد والتصوري، وختمت الدراسة بذكر أربعة أساليب لتحسين التفكير عند الفرد كتنظيم الوقت، ودراسة أخطاء السابقين.

¹ للباحثة: حصة عبد العزيز السويدي. (1998). وهو بحث محكم في مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية -جامعة الكويت. مج13. ع36.

وإن الناظر فيما سطرته الباحثة يجد إغفالاً لكثير من الأدلة النبوية التي تطرح أساليب أخرى لتحسين التفكير وتنميته رغم كثرتها، وقلّما نجد فيها بيان وجه الاستدلال بالأحاديث، إنما اكتفت الباحثة بإيراد أقوال الشراح والعلماء دون ربطها بالعنوان المراد.

الدراسة الثانية: العقل في السُنّة النبوية دراسة تحليلية تربوية¹

أكدت الدراسة على أهمية العقل باعتباره مناط التكليف، مبينة الخلاف في مكان العقل، ومدى اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم بمراعاة الفروق العقلية، وأهمية ذلك في استيعاب المتعلم وفهمه. وعرّجت الدراسة على مُزيلات العقل وأمراضه، ذاكرة عشرة أمراض؛ كأمراض ضغط الدم وعيوب تعطل العقل كالهَم والحزن، بالإضافة إلى الحدود التي حددتها السنة للعقل؛ تمثلت بنهي العقل عن تجاوز عالم الشهادة إلى الغيبيات.

وبَيّن الباحث حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على تنمية القدرات العقلية من خلال سبعة طرق، منها: وضع المنهج الصحيح للنظر العقلي، واستعمال الحوار والنقاش، وضرب الأمثلة للمتعلمين.

وعلى الرغم من حديث الدراسة عن طرق تنمية العقل؛ إلا أنها كسابقتها لم تكن مستوعبة كافة الطرق والأساليب، ويظهر خلط الباحث واضطرابه في عرضها، والأمر ذاته نجده في حدود العقل ومزيلاته، نلمس شحاً في إيراد الأدلة عليها.

¹ الباحث: إسماعيل سعيد رضوان. والباحث: عليان عبد الله الحولي. (2005م). وهو بحث محكم في مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية - الجامعة الإسلامية. غزة. مج 13. ع 2.

الدراسة الثالثة: تنمية التفكير لدى الآخر في السُّنة النبوية الشريفة¹.

عنوان الدراسة عام بالنسبة لمضمونها الجزئي، فقد تحدثت عن تسع مهارات أسهمت السنة في تنميتها لدى الآخر، منها تنمية مهارات التفكير المنطقي، وتعزيز مبدأ التعددية الفكرية القائم على الحوار والشورى، لكن الباحث لم يبين علاقة المهارات الأخرى بالتفكير وتنميته.

الدراسة الرابعة: تنمية التفكير في السُّنة²

هذه الدراسة من أكثر الدراسات استيفاء لقضية تنمية التفكير، من حيث مفهومها وأهميتها، وعرضها لخمس أغراض للتفكير، منها: الفهم والاستيعاب، واتخاذ القرار.

كما تحدثت عن ثمانية أساليب اتبعتها الرسول صلى الله عليه وسلم في تنمية التفكير لدى صاحبه، وقسمت معيقات التنمية إلى ثلاثة أقسام: حسية، معلوماتية، نفسية.

وبالرغم من اتفاق دراستي مع دراسة الباحثين في منحى عرض حدود التفكير وطرق تنميته؛ إلا أن هذه الدراسة تميزت عن سابقتها في جانب الإطار التأصيلي للموضوع، وفي الإحاطة بكل جوانبه، وإخراجها بقالب عملي معاصر بعيداً عن التشعبات الفلسفية والكلامية، إضافة إلى اقتصار الدراسة على أحاديث الصحيحين فقط، وذلك يعطيها قوة التأصيل.

¹ الباحث: عبد القادر نومي. (2015م). بحث محكم نشر في مجلة (أماراباك). الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا. مج6. ع16.

² الباحثة: فارة عبد الله الخزاعي. (2018م). وهو بحث محكم منشور في مجلة البحوث الإسلامية. مج5. ع30.

منهجية الدراسة:

قامت الدراسة على منهجين اثنين هما:

المنهج الاستقرائي: وذلك بجمع النصوص الحديثية المتعلقة بالموضوع في الصحيحين، لاستيعاب

كل ملامح الدراسة وتحقيق أهدافها.

المنهج التحليلي: وذلك بتناول النصوص النبوية التي تم استقراؤها بالتحليل؛ لاستنباط ما فيها من

دلالات متعلقة بموضوع الدراسة وجوانبها، والعمل على ربطها بالواقع ما أمكن.

الفصل الأول:

مفهوم التفكير المنهجي ومكانته في السُّنة النَّبوية

المبحث الأول

مفهوم التفكير والمنهج في اللغة والاصطلاح

المطلب الأول: مفهوم التفكير في اللغة والاصطلاح

أولاً: معنى التفكير لغة

التفكير مصدر فَكَّرَ، وقال الليث: التَّفَكَّر: اسْمٌ للتفكير، وأفكَّرَ يُفَكِّرُ إفكَّارًا، وفَكَّرَ تفكيرًا، ورجل فِكِيرٌ: كثير التفكير¹، واسم التفكير هو الْفِكْرُ والفِكْرَةُ².

والتَّفَكُّرُ أو التفكير يأتي في اللغة على ثلاثة معانٍ:

أولها: النظر والتأمل

قال الجوهري: "التَّفَكُّرُ التأمل"³. وفي استعمال العامة: "افتكر، والمعنى: تأمل"⁴. ويقال: "لي في الأمر فِكْر، أي نظر وروية"⁵.

¹ انظر: ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت: 711هـ): لسان العرب. ط2. بيروت: دار صادر. 1414هـ. (65/5). والفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل البصري (ت: 170هـ): كتاب العين. تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي. دار ومكتبة الهلال. (358/5). والهروي، محمد بن أحمد بن الأزهر أبو منصور (ت: 370هـ): تهذيب اللغة. تحقيق: محمد عوض. ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي. 2001م. (116/10). والأزدي، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت: 321هـ): جمهرة اللغة. تحقيق: رمزي منير بعلبكي. ط1. بيروت: دار العلم للملايين. 1987م. (786/2).

² انظر: ابن منظور، لسان العرب. (65/5).

³ الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت: 393هـ): الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. ط4. بيروت: دار العلم للملايين. 1407هـ-1987م. (783/2).

⁴ الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، الملقَّب بمرتضى (ت: 1205هـ): تاج العروس من جواهر القاموس. تحقيق: مجموعة من المحققين. دار الهداية. (345/13).

⁵ الفيومي، أحمد بن محمد بن علي (ت: 770هـ): المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. بيروت: المكتبة العلمية. (479/2).

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ [المدثر: 18]؛ أي نظر في الأمر وتدبر¹.

ثانيها: تردد القلب

قال ابن فارس: "الفكرة: تردد القلب في الشيء، يقال: تفكر، إِذَا رَدَّدَ قَلْبُهُ مُعْتَبِرًا"²، وقال العسكري: "التفكر تصرف القلب بالنظر في الدلائل"³.

ثالثها: إعمال العقل في الشيء

يقولون: "(فَكَّرَ) فِي الْأَمْرِ فَكْرًا؛ أَعْمَلَ الْعَقْلَ فِيهِ"⁴.

ومن خلال المعاني اللغوية لمعنى التفكير في اللغة نجد أن:

التفكير نشاطٌ ذهنيٌّ داخليٌّ يوجد عند حالات معينة، على اختلاف بين اللغويين في أداة التفكير، فمنهم من اعتبرها القلب كابن فارس، ومنهم من اعتبرها العقل كبعض المعاصرين من أهل اللغة.

ثانيًا: معنى التفكير اصطلاحًا

الناظر في مفهوم التفكير اصطلاحًا عند العلماء، يجد اختلافًا واضحًا فيه، وذلك لعدة أسباب؛ أهمها تلك الزاوية التي نظر فيها إلى التفكير فعبر عنها، لذلك جاء مفهوم التفكير عند العلماء باعتباريات عدة، منها:

¹ انظر: الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر التيمي (ت: 606هـ): مفاتيح الغيب. ط3. بيروت: دار إحياء التراث. 1420هـ. (706/30).

² الرازي، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي أبو الحسين (ت: 395هـ): مجمل اللغة لابن فارس. دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان. ط2. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1406هـ-1986م. (704/1).

³ العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (ت: نحو 395هـ): الفروق اللغوية. تحقيق: محمد إبراهيم سليم. القاهرة: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع. (ص:75).

⁴ مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار): المعجم الوسيط. دار الدعوة. (698/2).

الاعتبار الأول: باعتبار أداة التفكير وهو العقل

عرّفه جروان بقوله: "عبارة عن سلسلة من النشاطات العقلية التي يقوم بها الدماغ عندما يتعرض لمثير يتم استقبله عن طريق واحدة أو أكثر من الحواس الخمسة"¹.
ويعرّفه بكار بقوله: "تردد العقل في جملة من المعطيات؛ توسلاً إلى ما يرتبط بها من المجهول بطريقة منهجية"².

الاعتبار الثاني: باعتبار ميكانيكية التفكير³

عرّفه المليجي بأنه اصطلاحٌ يشمل على كل أنواع النشاط الرمزي، كالاستدلال، والتخيّل، وتكوين المعاني الكلية، والابتكار، واستخدام رموز، كصورة أو معنى تقوم مقام الأشياء الحقيقية والمواقف الواقعية، فيستجيب له الإنسان بالأسلوب نفسه الذي يستجيب به للشيء عينه⁴.
وقال الشنّار: هو "مجرد ناتج لنشاط كهروكيميائي يقوم به المخ، ويمنح أجزاء الجسم الفرصة لأن تعيش، وتتأمل، وتنعم بحياتها في هذا العالم"⁵.

الاعتبار الثالث: باعتبار مآلات التفكير

عرّفه ديبيونو بأنه: "الانتقال من غير المعروف إلى المعروف فهماً، ثم يستخدم هذا الفهم لتحليل مواقف جديدة وغير مألوفة، فالفهم هو اكتشاف ماذا نعمل، وهذا الاكتشاف هو التفكير"⁶.

¹ جروان، فتحي: تعليم التفكير مفاهيم وتطبيقات. ط3. دار الفكر. 2007م. (ص40).

² بكار، عبد الكريم: فصول في التفكير الموضوعي. ط6. دمشق: دار القلم. 2010م. (ص13).

³ والمقصود بميكانيكية التفكير: ما يحدث داخل العقل عندما يبدأ عملية التفكير، بمعنى آلية حدوث التفكير.

⁴ انظر: المليجي، حلمي: علم النفس المعاصر. ط8. بيروت: دار النهضة العربية. 2000م. (ص221).

⁵ الشنّار، مصطفى، وهاشم، حسني: التفكير العلمي وتنمية البشر. دار روابط للنشر وتقنية المعلومات ودار الشقري. 2017م. (ص23).

⁶ بونو، ادوارد دي: التفكير العملي. ترجمة: الخليل الجبوسي. ط1. منشورات المجتمع الثقافي الإمارات العربية المتحدة. 1997م. (ص17).

الاعتبار الرابع: باعتبار ماهية التفكير¹

عرّفه الزغلول: بأنه عملية معرفية تحدث داخل النظام المعرفي، يستدل عليها من خلال السلوك أو على نحو غير مباشر².

وفي الشامل في مهارات التفكير: مفهوم افتراضي يشير إلى عملية داخلية تُعزى إلى نشاط ذهني معرفي تفاعلي انتقائي قصدي موجّه نحو حلّ مسألة ما، أو اتخاذ قرار، أو إشباع رغبة ما³.
وقال عواد هو: "التخيل العقلي الداخلي للأفكار دون النطق بها"⁴.

وبعد النظر في تعريفات العلماء للتفكير؛ يمكننا القول أن التفكير هو: إعمال العقل في قضية ما لإدراكها أو الحكم عليها.

فالعقل هو الأداة، والإدراك هو نتيجة داخلية معرفية، والحكم هو النتيجة الظاهرة.

المطلب الثاني: مفهوم المنهج في اللغة والاصطلاح

أولاً: معنى المنهج لغة

كلمة "منهج" مأخوذة من الجذر الثلاثي (نَهَجَ)، وَهُوَ النَّهْجُ، والجمع "نَهَجَاتٌ"، وَنَهْجٌ وَنُهْجٌ وَطُرُقٌ نَهْجَةٌ، وسبيلٌ مَنَهْجٌ⁵، وفي التنزيل: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: 48]، أي "لكل قوم منكم جعلنا طريقاً إلى الحق يؤمّه، وسبيلاً واضحاً يعمل به"⁶.

¹ ماهية الشيء: "حقيقته وطبيعته وما يقوم به من صفات، أي كل ما يكون به الشيء هو إياه".

مسعود، جبران: الرائد "معجم لغوي عصري". ط7. بيروت: دار العلم للملايين. 1992م. (ص: 707).

² انظر: الزغلول، رافع النصير، والزغلول، عماد عبد الرحيم: علم النفس المعرفي. عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع. (ص: 258).

³ انظر: حسين، ثائر: الشامل في مهارات التفكير. ط2 2009م. (ص: 14).

⁴ عواد، محمود: معجم الطب النفسي والعقلي. عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع. (ص: 237).

⁵ انظر: ابن منظور، لسان العرب. (383/2).

⁶ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت: 360هـ): تفسير الطبري. تحقيق: أحمد شاكر. (384/10).

وللمنهج في اللغة ثلاثة معانٍ، هي:

أولها: الطريق الواضح المستقيم

قال ابن فارس: "النَّهْجُ: الطريق، ونهَجَ لي الأمر: أوضحه، وهو مستقيم المنهاج، والمنهج: الطريق أيضاً"¹. ويقال: "فلان يَسْتَنْهَجُ سبيل فلان، أي يسلك مسلكه"².

ثانيها: تتابع وانقطاع النَّفْس

قال ابن منظور: "نَهَجَ الرجل نَهَجًا ونَهَجَ إذا انْبَهَرَ حتَّى يقع عليه النَّفْسُ مِنَ الْبُهِرِ، وأنْهَجَه غيره"³. فالنَّهْجُ بالتحريك: البُهِرُ وتتابع النَّفْسُ⁴. و"أَتَانَا فلان ينهج، إذا أتى مبهوراً مُنْقَطِعَ النَّفْسِ"⁵.

ثالثها: بَلْيُ الشيء

قال ابن فارس: "نَهَجَ الثَّوبُ وأنْهَجَ: أَخْلَقَ ولمَّا يَنْشَقَّ. وأنْهَجَهُ الْبَلَى"⁶.

فالمنهج لابد أن يكون واضحاً، ومن ذلك الاستقامة، ولا بد أن يكون فيه تتابع، حتى لا يبلى.

ثانياً: معنى المنهج اصطلاحاً

تباينت أقوال العلماء في بيان معنى المنهج، كلٌّ حسب مجاله، لأنه "جزء من مجموعة تمثل المكونات الأساسية لكل علم"⁷، مع اشتراكها في دلالتها على الطريق الموصل لغاية معينة.

¹ الرازي، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني (ت: 395هـ): مقاييس اللغة. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. دار الفكر. 1979م. (361/5).

² الفارابي: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. (346/1).

³ ابن منظور: لسان العرب. (383/2).

⁴ الفارابي: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. (346/1).

⁵ الرازي: مقاييس اللغة. (361/5).

⁶ المرجع السابق.

⁷ تالش، محمد أسعد نظامي: منهجية المنهج مدخل الى تأصيل المنهج العلمي. مجلة جامعة الملك سعود. مج.6. ع.1. 1994م.

(ص:347).

ونستطيع إجمال مفهوم المنهج عند العلماء وفق عدة اعتبارات، منها:

الاعتبار الأول: باعتباره قواعد ومنطقات

عرّفه بكار: "بأنه مجموعة من الأفكار والمفاهيم والمسلّمات والانطباعات والرؤى والتساؤلات المترابطة، التي نستخدمها في أثناء الحكم على الأشياء، والتقويم، والحكم على الماضي، وفي أثناء استشراف المستقبل"¹.

الاعتبار الثاني: باعتباره عملية عقلية

عرفه بتل (bittle,C.N.Logic) بأنه: "الترتيب الصائب للعمليات العقلية التي نقوم بها بصدد الكشف عن الحقيقة والبرهنة عليها"².

الاعتبار الثالث: باعتباره طريقة للحوار والنقد

عرّفه العليان: بأنه "الأسلوب أو الطريق الذي ينتظم من خلاله الحوار، أو أي قضية علمية أو سلوكية توضع من خلالها القضايا والأفكار موضع المناقشة أو البحث"³.

الاعتبار الرابع: باعتباره عملية تعليمية

فهو مجموعة من الخبرات التي تستخدمها المدرسة لتدريب الأطفال والناشئة على التفكير والسلوك جماعياً⁴. وقال آخر بأنه: "تنظيم وتخطيط لأنشطة المتعلمين بطريقة منظّمة مقصودة، سواء كانت

¹ بكار، عبد الكريم: حلقة يوتيوب منهجية التفكير من برنامج أفكار للمستقبل. تقديم: حذيفة عكاش. إنتاج قناة رؤية للثقافة والإعلام. السبت 2017/5/30. رابط: <https://www.youtube.com/watch?v=V0Fi4XvgUp8>

² قاسم، محمد محمد: المدخل إلى مناهج البحث العلمي. ط1. بيروت: دار النهضة العربية. 1999م. (ص:52). عزاه إلى: . bittle,C.N.Logic, the Science of Correct thinking, P.270 .

³ العليان، عبد الله علي: حوار الحضارات في القرن الحادي والعشرين. ط1. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر. 2004م. (ص:79).

⁴ انظر: جاسم، صالح عبد الله: نظرية المنهج استشراف مستقبل العلوم في الدراسات البيئية. مجلة كلية التربية جامعة عين شمس. ع25. ج1. 2001م. (ص:237).

هذه الأنشطة داخل المدرسة أم خارجها، وسواء كانت مرتبطة بجوانب تعليمية أم تدريبية¹.

الاعتبار الخامس: باعتباره توجهاً بحثياً وصفيًا

فعرّف بأنه: "عملية فكرية منظمة، أو أسلوب أو طريق منظم دقيق وهادف، يسلكه الباحث المتميز بالموهبة والمعرفة والقدرة على الإبداع، مستهدفًا إيجاد حلول لمشاكل أو ظاهرة بحثية معينة"².

أما مفهوم المنهج المراد في هذه الدراسة -وهو المرتبط بالمعنى اللغوي-: الطريق المنظم الموصل إلى النتائج وفق قواعد محددة.

ويأتي مفهوم التفكير المنهجي في السُّنة النبوية بمعنى: إعمال العقل وفق قواعد التفكير الواردة في السُّنة.

¹ كوجك، كوثر حسين: اتجاهات حديثة في المناهج وطرق التدريس. ط2. القاهرة: عالم الكتب. 2001م. (ص:12-13).

² جديري، ماثيو: منهجية البحث. ترجمة: ملكة أبيض. سوريا: منشورات الثقافة. 2004م. (ص:72).

المبحث الثاني

مكانة التفكير المنهجي ودوره في بناء المنهجية العقلية في السُّنة النَّبوية

المطلب الأول: مكانة التفكير المنهجي في السُّنة النَّبوية

لا شك في أنَّ العقل هو الهبة العظمى التي منحها الله سبحانه وتعالى للإنسان، وامتن الله بها على الإنسان؛ ليكون وسيلته لإدراك الأشياء والتمييز بينها، ومعرفة منافعها ومضارها، فرفعه به قدرًا، ليميز عن غيره من المخلوقات، وجعله مناطًا للتكليف، ومحلاً للثواب والعقاب.

ولما كان التفكير عملية ملازمة لا تنفك عن العقل السليم، أولاهما النبي صلى الله عليه وسلم مكانة عالية في اهتماماته؛ لكونها الطريق القويم لتصويب مسار المسلمين وفق المنهج الإسلامي، ومما يدل على ذلك:

أولاً: الإعلاء من منزلة الممارس للتفكير المنهجي

احتل المفكر منزلة عالية عند النبي صلى الله عليه وسلم، لكون عمله الفكري مطلبًا ملحقًا بوضع الأمور من خلاله في مكانها الصحيح، وتعزّز وجود المسلمين وأداءهم، وتأثيرهم على مشكلات الواقع ومعالجتها، فجاءت السنة موضحة منزلتهم في الآتي:

1. منزلة الممارس للتفكير عند الله عزّ وجلّ

مثال ذلك ما رواه أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «المؤمن القوي، خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف...»¹.

¹ مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت: 261هـ): صحيح مسلم. كتاب القدر. باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي. (4/2052/رقم: 2664).

ذهب النووي إلى أن المراد بالقوة هنا عزيمة النفس في أمور الآخرة¹، لكن اللفظ عام، يدلنا على عموم مواطن قوة المؤمن، فالمؤمن القوي في أي مجال هو أحب عند الله تعالى من الضعيف، وقوة التفكير مُدرجة تحت هذا المفهوم.

وقوة التفكير تستمد منهجيتها من الإيمان، فكلما نما إيمان المسلم دفعه ذلك إلى إنتاج أفكار مستقيمة بمنهجية شرعية؛ لكون الإيمان يولد لديه رقابة ذاتية في أفكاره وتصرفاته ومشاعره، فتوقظ همته في تنمية هذه الأمانة وتوظيفها في كل ما هو خير له ولغيره، بما يحقق غايات المسلم في الاستخلاف، وفي المقابل فإنه كلما وُظف تفكير المسلم في الجوانب الحسنة زوّد ذلك العقل بالمفاهيم الصحيحة التي تزيد إيمانه، فكان هو الأحبّ إلى الله تعالى.

2. منزلة الممارس للتفكير في المجتمع

مما يبين منزلة الممارسين للتفكير أن يخصهم النبي صلى الله عليه وسلم بالذكر في مجالسه، أو يكلفهم بمهام خاصة؛ يقدمهم فيها على غيرهم تكريماً لهم، وبيئاً لمكانتهم.

مثال ذلك ما رواه أبو مسعود، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح مناكبنا في الصلاة ويقول: «استنوا، ولا تختلفوا، فتختلف قلوبكم، ليلني منكم أولو الأحلام والنهي² ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»³.

¹ انظر: النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت: 676هـ): المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج. ط2. بيروت: دار إحياء التراث العربي. 1392هـ. (215/16).

² «أولو النهي»: "هي العقول والألباب، واحدتها نهية، بالضم؛ سميت بذلك لأنها تنهى صاحبها عن القبيح". ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات الشيباني الجزري (ت: 606هـ): النهاية في غريب الحديث والأثر. تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي. بيروت: المكتبة العلمية. 1399هـ-1979م. (139/5).

³ مسلم، صحيح مسلم. كتاب الصلاة. باب تَسْوِيَةِ الصُّفُوفِ. وإقامتها. وَفَضْلُ الْأَوَّلِ فَالْأَوَّلِ مِنْهَا. وَالْأَزْدِيحَامُ عَلَى الصَّفِّ الْأَوَّلِ. وَالْمُسَابَقَةُ إِلَيْهَا. وَتَقْدِيمُ أُولِي الْفَضْلِ. وَتَقْرِيْبُهُمْ مِنَ الْإِمَامِ. (1/323/رقم: 432).

وقد علّل النووي تقديم النبيّ صلى الله عليه وسلم لصاحب النُّهى، بقوله: "لأنه يتفطن لتنبيه الإمام على السهو لما لا يتفطن له غيره، وليضبطوا صفة الصلاة ويحفظوها وينقلوها، ويعلموها الناس، وليقتدي بأفعالهم من وراءهم، ولا يختص هذا التقديم بالصلاة، بل السنة أن يُقدّم أهل الفضل في كل مجمع"¹.

وإن في تقديم رسول الله صلى الله عليه وسلم لأولي النهى رفعٌ لقدرهم، فهو على علم بأن منظومتهم المعرفية والفكرية متفوقة على غيرهم؛ لكونهم أكثر قدرةً على استثمار إمكاناتهم الذهنية بشكل جيد، سواء في فهم ما يقال، أو في حفظه، كما أن وضعهم الفكري وما يمتلكونه من خبرات واسعة تفتح لهم أبواب إنتاج الأفكار السليمة مما يقال، وإن تقديره لهم أمام العامة يُعطي حافزاً لغيرهم على تنمية قدراتهم الفكرية، للوصول إلى هذه المنزلة.

وما نال المفكر هذه المنزلة إلا لدور القوة الفكرية وأهميتها على مستوى الفرد والأمة، فقوة التفكير واستقامتها هي التي تفتح على جوانب تنمية شخصية الفرد الأخرى، وقد لعب المفكرون في كل عصر دوراً قيادياً بارزاً في دفع عجلة التقدم والرقى في شتى ميادين الحضارة، فالحركات الاجتماعية والسياسية لتحرير الذات البشرية وإطلاقها من عقال الجهل، وتشخيص علل المجتمع، وإعطاء الأدوية لعلله؛ كل ذلك وغيره كان لهم الدور البارز فيه².

¹ النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج. (155/4).

² انظر: فخري، ماجد: المفكر العربي أمام تحديات الحضارة المعاصرة. مجلة الفكر العربي المعاصر. مركز الإنماء القومي. 1980م. (ص:53).

ثانياً: تعظيم أجر الممارس للتفكير المنهجي

مثال ذلك ما رواه عمرو بن العاص، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا حكم الحاكم

فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر»¹.

في الحديث دعوة ضمنية إلى التفكير الصحيح، سواء في الأمور الشرعية كالنصوص، أو فيما

يعرض للمسلم من قضايا ومسائل، فالاجتهاد في حد ذاته عملية عقلية، يقوم المجتهد فيها على

إعمال التفكير في الوقائع والمسائل وفق قواعد وأسس موصلة إلى الحكم عليها.

وعندما يدرك المسلم أنه كلما زاد دقة تفكيره استحق الأجر المضاعف؛ أحسّ بمكانة عمله، ليدفعه

ذلك إلى مضاعفة حرصه في النظر والبحث والمقارنة، وإعادة النظر مرة بعد مرة في المسألة أو

الموقف المفكر فيه، وفق القواعد المنهجية المعطاة، حرصاً منه على مقاربة الصواب.

وإن إدراك النبي صلى الله عليه وسلم لحاجة الأمة إلى نموذج الفرد المفكر الذي يردُّ حوادث الناس

إلى منهج الله وقواعد كتابه، دفعه إلى ملء أمته بالحماس، وتعزيز قدراتهم التنافسية للوصول إلى

الأجر العظيم.

ثالثاً: الإشادة بالأداء الفكري الصحيح ومدح صاحبه

الثناء والمدح مهما كان نوع الإنجاز ومقداره؛ تُسرُّ به النفوس، ويُشعرها بمكانة العمل الذي قامت

به، فيحفزها على الاستمرار في تنمية الإنجاز المثلى عليه وتطويره، لذلك كان ثناء النبي صلى الله

عليه وسلم على المفكر كبيراً، إشارةً منه إلى مكانة هذا العمل العظيم.

¹ البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي (ت: 256هـ): صحيح البخاري. كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة. باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ. تحقيق: محمد زهير بن ناصر. ط1. دار طوق النجاة. 1422هـ. (9/108/رقم: 7352).

مثاله ما رواه أبي بن كعب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أبا المنذر، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟» قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟» قال: قلت: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: 255]. قال: فضرب في صدري، وقال: «والله ليهنك العلم أبا المنذر»¹.

مقتضى سؤال النبي صلى الله عليه وسلم، حثُّ لأبي بن كعب على التفكير في آيات الله، والتفكير في آيات الله لا يكون عن هوى وتخمين، وإنما يقوم على توظيف قواعد كانت كامنة عندهم لتحليل الآيات وفهمها والمقارنة بين ألفاظها للوصول إلى المراد، فعندما اتبع أبي بن كعب تلك القواعد المنهجية، وأصاب الإجابة؛ أثنى رسول الله على إنجازه الفكري مباشرة، بالقول حينما قال: "لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ"، وبالفعل حينما ضربه على صدره، اعترافاً برجاحة عقله، وبياناً لرفعة الإنجاز الذي وصل إليه بقدراته الفكرية، "فما إنجازات الإنسان إلا نتاج للتفاعل بين قدراته وأفكاره، وعندما يُثني الآخرون على إنجازات أي إنسان، فإنهم بذلك يعترفون ضمناً بجودة أفكاره، وصلاحية قدراته، وبرجاحة عقله"².

المطلب الثاني: دور التفكير المنهجي في بناء المنهجية العقلية

لمّا كان العقل موضع اهتمام الشريعة، وكان عرضة للانحراف والضلال؛ كان لابدّ من بنائه وفق منهج يكفل تطويره وحمايته، فكما أن الجسد يحتاج إلى البناء والغذاء، فكذلك العقل أيضاً، وهو من باب أولى.

¹ مسلم: صحيح مسلم. كتاب صلاة المسافرين. باب فضل سورة الكهف. وآية الكرسي. (1/556/رقم: 810).

² العمرات، أحمد صالح: أثر الثناء في ترشيد السلوك الإنساني. مقال غير محكم. مجلة الأمن والحياة. جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية. مج16. ع197/1997م.

والعقل بما فيه من وظائف لا يثمر إلا إذا سار وفق منهجية صحيحة منضبطة، أساسها سلامة منهجية التفكير التي يظهر دورها في تشكيل منهجية العقل من خلال التالي:

أولاً: صياغة أولويات العقل

قامت أولويات العقل عند العرب وقبل نزول القرآن الكريم على القبلية واللون وصاحب النفوذ السياسي والمالي، ويصدق عليهم قول القائل "اختلط الحابل بالنابل"¹، فنزل القرآن الكريم الذي من أهدافه إعادة صياغة العقول وفق أسس منطقية، فما كان منه صلى الله عليه وسلم إلا أن قام بما بدأ به القرآن؛ فعمل على ضبط العقل وتوجيهه نحو بناء محكم، قائم على أسس، كان من ضمنها العمل على ترتيب الأفكار وفق أولويات معتبرة في المنطق الشرعي والعقلي.

وإن جاز لنا القول؛ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام بحملة إصلاحية على أولويات العقل عند الأمة المسلمة الجديدة، فشكّل عقولهم تشكيلاً متبايناً عما كانوا عليه في سالف حياتهم.

يظهر ذلك فيما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه، أنّ رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة، فقال: متى الساعة؟ قال: «وماذا أعددت لها». قال: لا شيء، إلا أنني أحب الله ورسوله، فقال: «أنت مع من أحببت»².

فجوابه صلى الله عليه وسلم: "وماذا أعددت لها" فيه توجيه واضح للعقل، بأن كل شيء يود معرفته والاطلاع عليه يترتب عليه أقوال وأفعال، يجب على العقل استحضاره والبناء عليه، فيوجد العقل رابطاً بين مقدمات الفكرة بأبعادها ونتائجها، ليعطيه رؤية واضحة متوازنة لتلك الأفكار، يستطيع من

¹ "الاختلاط معروف؛ والحابل الذي يصيد بالحبل؛ والنابل الذي يصيد بالنبل. فيضرب ذلك في اختلاط الرأي". اليوسي، الحسن بن مسعود بن محمد (ت: 1102هـ): زهر الأكم في الأمثال والحكم. تحقيق: د محمد حجي. د محمد الأخضر. ط1. المغرب: الشركة الجديدة - دار الثقافة. الدار البيضاء. 1401هـ-1981م. (195/2).

² البخاري: صحيح البخاري. كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. باب مناقب عمر بن الخطاب. (12/5/ رقم: 3688).

خلالها تحديد الفكرة الجوهرية الأكثر نفعًا، بطريقة محكمة متأنية، عندها تُعطى كلُّ فكرة ما يناسبها من العناية والاهتمام.

فالتفكير في أمر متعذر علمه، كموعِد الساعة لا مصلحة فيه، وفيه هذر للوقت واضطراب وتوتر للعقل، ولا ينبغي أن يكون همّ المؤمن موعدها مادام أنه موقنٌ بقدومها، ولكن إشغال الفكر بما يحقق أهداف الخلافة، وينجيه من سخط ذلك اليوم هو الأهم، فتصاغ أولويات العقل وتسخر طاقاته بما يناسب هذا الترتيب، فيكون باعثًا على زيادة حرصه واجتهاده على العبادات والطاعات ومراعاة تقوى الله في كل حركة استعدادًا لذلك اليوم العظيم.

يقول عماد الدين خليل: "إن إعادة النظر من حين لآخر في سلّم المشكلات، وإعادة تصنيف هذه المشكلات وترتيب الأولويات حماية للجهد واغتنامًا لفرصة العمر، وتوفير الطاقات والموازنة الدقيقة بين الحاجات والإمكانات وعدم الخلط بين الأمنيات والإمكانات"¹.

ويعتبر البُعد عن المنهج النبوي في مراعاة الأولويات من أسباب الانحطاط الفكري والسلوكي للأمة الإسلامية اليوم، فهذرنا للطاقات الفكرية بالخوض في المسائل الفرعية، أو بما لا قيمة له، سيكون على حساب القضايا الكبرى، فإذا ما أردنا الإنجاز الأمثل للأداء في كافة المجالات؛ فإنه لابدّ للعقلية المسلمة من ترتيب سلّم أولوياتها.

ثانياً: ضبط أثر العواطف والانفعالات على العقل

هناك فروق مختلفة في استجابة الأفراد للمواقف، وقد تختلف ردة فعل الفرد نفسه على ذات الموقف من وقت لآخر، كل ذلك راجع إلى مدى قدرة العقل على إدارة عواطفه وضبطها، من خلال تنشيط

¹ خليل، عماد الدين: حول إعادة تشكيل العقل المسلم. ط1. مطابع الدوحة الحديثة. 1403هـ. (ص:20).

التفكير المنهجي في فهم الموقف أو الحدث؛ لتوجيه العواطف لخدمة هدف ما، والذي يؤثر على سلوك الفرد الاندفاعي وينظمه.

وقد حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على ضبط عواطفه وانفعالاته في المواقف التي يسبب انفلاتها خلل في الحكم على الموقف وفي التعامل معه.

ومثال ذلك ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بينما نحن في المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: مَهْ مَهْ، -وفي رواية أبي هريرة عند البخاري: (فثار إليه الناس ليقعوا به¹)-، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تترموه دعوه» فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه فقال له: «إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول، ولا القذر إنما هي لذكر الله عز وجل، والصلاة وقراءة القرآن»².

فحرصُ الرسول صلى الله عليه وسلم على ضبط العواطف والانفعالات في حالة مغايرتها ومنازعتها للعقل، دفعه إلى التفكير في المؤثرات التي كانت سببًا للسلوك الخاطئ من الأعرابي، فهو قد جهل آداب المسجد وحرماته، فتكون النتيجة التعامل مع الموقف بعقلانية وواقعية، وفي المقابل غشيت الانفعالات عقول الصحابة وحجبت عنهم رؤية الواقع.

فنتقدير النبي صلى الله عليه وسلم وإدراكه لجهل الأعرابي؛ أعطى العقل تصورًا واضحًا عن الموقف، ولأسلوب الذي يتبعه معه؛ فكان مأل هذا التفكير ضبط العقل من أي ردود بعيدة عن الواقع، وتحوُّل شعور الغضب إلى شعور أقرب ما يكون إلى التودد والرأفة، رغبة في علاج المشكلة وتحقيق أهدافه الدعوية بتعليم ذلك الأعرابي الأحكام الشرعية.

¹ البخاري: صحيح البخاري. كتاب الأدب. باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: يسروا ولا تعسروا. (30/8/ رقم: 6128).

² مسلم: صحيح مسلم. كتاب الطهارة. باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات. (1/236/ رقم: 285).

المبحث الثاني

مجالات التفكير المنهجي وضوابطه في السُّنة النَّبوية

المطلب الأول: مجالات التفكير المنهجي في السُّنة النَّبوية

بما أن التفكير هو تفاعل عقل الإنسان مع أحداث الحياة في جميع مراحلها، فإنَّ مجالاته متعددة متنوعة، يكاد يشمل جميع مناحي الحياة، لذا سنقوم بإبراز أظهر تلك المجالات وأهمها، خاصة تلك التي تعتبر بمثابة الأصول للفروع، وهي:

أولاً: التفكير المنهجي في مجال العقيدة

لقد اهتم الرسول صلى الله عليه وسلم بترسيخ العقيدة وفق أسس عقلية قائمة على مراعاة التفكير المنهجي، باعتباره دعامة التوصل إلى الاعتقاد الثابت الصحيح، فمن خلال نظرة متأنية إلى نصوص السُّنة النَّبوية؛ نجد أنها أعطت التفكير المنهجي دوره في تأصيل العقيدة على محورين اثنين؛ يتمثلان في: تأصيل الإيمان بصفات الله وفهمها، ومعالجة الفساد العقدي، وبيانها كالاتي:

المحور الأول: تأصيل الإيمان بصفات الله وفهمها وفق التفكير المنهجي

من مقاصد القرآن الكريم والسُّنة النَّبوية تأصيل العلاقة بين الإنسان وربه، وفق القناعة العقلية؛ بدعوة الناس إلى الإيمان بالله عزَّ وجلَّ بعيداً عن التلقين الموهي بالإجبار الذي لا مفرَّ منه، وإنما بالتفكير القائم على منهجية صحيحة، يصل بالعقل إلى إدراك أبعاد الإيمان بالله وبصفاته، وإدراك آثار الاعتقاد بذلك وآثار نبذه، ليصل بالمدعويين إلى أن هذا الإيمان ضمان سعادتهم في الدنيا والآخرة.

ومن صفات الله التي قامت السُّنة النَّبوية بتأصيل فهمها وفق التفكير المنهجي:

1. صفة الرحمة، وبيانها وفق التفكير المنهجي

ومثال ذلك ما رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قدم على النبي صلى الله عليه وسلم سبي، فإذا امرأة من السبي قد تَحَلَّبُ تَذْيِهَا¹ تسقي، إذا وجدت صبياً في السبي أخذته، فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا النبي صلى الله عليه وسلم: «أترون هذه طارحة ولدها في النار» قلنا: لا، وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال: «لله أرحم بعباده من هذه بولدها»².

في هذا القول من رسول الله صلى الله عليه وسلم "أترون هذه" توجيه لأصحابه لاستحضار عقولهم في بيان سعة رحمة الله؛ من خلال صورة حسية يشهدها الناس يومياً بأبصارهم وتسمعها آذانهم، فيدفعهم إلى التفكير فيها، لتكون محصلة التفكير إدراك مظاهر رحمة تلك الأم، يلي ذلك إجراء مقارنة بين ما تم استخلاصه من أفكار في الموقف، وبين ما هو غير محسوس من صفات الله، فيخلص العقل إلى تشكيل صورة ذهنية لأوجه الاتفاق بين رحمة الله تعالى - والله المثل الأعلى - وبين رحمة الأم؛ فكما أن رحمة هذه الأم تمنعها من إلقاء ولدها في النار، فالله تعالى برحمته الواسعة أرحم من أن يُلقي أحبابه المؤمنين في النار، فيمتلئ قلب المؤمن حباً ورحمة، يفيضها على غيره من المخلوقات.

قال الحافظ ابن حجر: "وفيه ضرب المثل بما يدرك بالحواس لما لا يدرك بها؛ لتحصيل معرفة الشيء على وجهه، وإن كان الذي ضرب به المثل لا يحاط بحقيقته، ... ومع ذلك فقربها النبي صلى الله عليه وسلم للسامعين بحال المرأة المذكورة"³.

¹ "أي تسبل ثديها باللبن". لاشين، موسى شاهين: فتح المنعم شرح صحيح مسلم. ط1. دار الشروق. 1423هـ-2002م. (316/10). وفي النسخ الأخرى: قَدْ تَحَلَّبَ -بفتح الحاء وتشديد اللام- تَذْيِهَا -بالرفع-: أي تهيأ لأن ي حلب. انظر: ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت: 852هـ): فتح الباري شرح صحيح البخاري. رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار المعرفة. 1379هـ. (430/10).

² البخاري: صحيح البخاري. كتاب الأدب. باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته. (8/8) رقم: (5999).

³ ابن حجر: فتح الباري. (431/10).

2. صفة القدرة، وبيانها وفق التفكير المنهجي

ومثال ذلك ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رجلاً قال: يا نبي الله، كيف يُحشر الكافر على وجهه؟ قال: «أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة»¹.

استشكل على عقل الصحابي تصور ما جاء في قوله تعالى:

﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ [الفرقان: 34]²، لكونه خلاف ما يتناسب مع

الطبيعة الإنسانية بأن المشي يكون على الأقدام، فذكره الرسول صلى الله عليه وسلم بما عنده من مفاهيم دينوية تدل على قدرة الله تعالى، القادر على كل شيء، ليتفكر فيها، ثم يقارن بين ما هو مُسَلَّم عنده، وما استشكل عليه، فالفكرة المشتركة في ذلك ويؤمن بها العقل يقيناً أن الله على كل شيء قدير، فهي قدرة مطلقة لا يحدها زمان ولا مكان، فينتهي بتفكيره هذا إلى أن قدرة الإنسان بالمشي على الأقدام إنما هي من الله تعالى، وهو نفسه الذي سيجره يوم القيامة على وجهه، وبذلك استطاع العقل إزالة الإشكال الذي جرى عليه، وأيقن مجدداً صورة جديدة من صور قدرة الله.

قال سيد قطب: "أمام القدرة الإلهية تتساوى جميع الأعمال التي تبدو في نظر الإنسان وبالقياس إلى قدرته وإلى تصوره متفاوتة السهولة والصعوبة، حسب ما اعتاده وما رآه، والمعتاد المرئي في عالم البشر ليس هو الحكم في تقدير الأمور بالقياس إلى قدرة الله"³.

وإن وضع النبي صلى الله عليه وسلم لهذا التصور أمام تفكير أمتة؛ تسلياً لنفوسهم عما يلقونه من ظلم، فإذا تفكّر المسلمون في أبعاد هذا المفهوم، ورسخ في عقولهم؛ هانت عليهم كل قوة يظهرها حكام الأرض، فيسعى المسلم بكل ما يملك إلى تحرره من عبادتهم وطاعتهم، وفي المقابل يكفُّ

¹ البخاري: صحيح البخاري. كتاب الرقاق. باب كيف الحشر. (8/109/رقم: 6523).

² انظر: ابن حجر: فتح الباري. (11/382).

³ سيد قطب: في ظلال القرآن. (4/2211).

ظلمه عن أخيه الإنسان، فالظالم بظلمه واستكباره وتعاليه سرعان ما سينقلب في الدنيا أو الآخرة إلى ذلة وهوان، فيهبز بذلك كيانههم، لعلهم يعودون إلى رشدهم.

المحور الثاني: معالجة الفساد العقدي وفق التفكير المنهجي

في رحم التصادم الذي يُشهد بين العقيدة الإسلامية الصحيحة والعقائد الفاسدة في كل عصر؛ لابد من إبقاء عقيدة التوحيد نقيّة واضحة، والعمل على نفي غيرها، بإظهار وهمها وسقطها، ليعصم عقول المؤمنين من الانجرار نحوها، وذلك بمنهجية قائمة على أساليب يرتضيها العقل، كالحوار والمناقشة بالحجج والبراهين.

وقد أولى النبي صلى الله عليه وسلم جانب دحض العقائد الفاسدة اهتمامًا كبيرًا، كان من أخطرها عقيدة الشرك.

مثال ذلك ما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم: "أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: «أن تجعل لله نِدًّا وهو خَلْقك». قلت: إن ذلك لعظيم، قلت: ثم أي؟ قال: «وأن تقتل ولدك تخاف أن يطعم معك»¹.

فلم يكتفِ الرسول صلى الله عليه وسلم بإثبات أن الشرك هو من أكبر الذنوب، بل عقب باجتماع أساسه بالمنطق السديد، بقوله: "وَهُوَ خَلْقَكَ"، ليوجه تفكير الصحابي إلى لطيف صنع الله وإتقانه في خلقه، فيصل بالعقل إلى ضرورة وحدانية الله، فكيف يُسوَّى في العبادة بمن لا ينفعنا شيئًا ولا يضرنا؟!.

¹ البخاري: صحيح البخاري. كتاب تفسير القرآن. باب قوله تعالى: {فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون} [البقرة: 22]. (18/6/ رقم: 4477).

قال ابن تيمية: "الاستدلال على الخالق بخلق الإنسان طريق عقلي صحيح، فالاستدلال على الخالق بخلق الإنسان في غاية الحسن والاستقامة، وهي طريقة عقلية صحيحة. وهي شرعية؛ دلّ القرآن عليها، وهدى الناس إليها، وبينها وأرشد إليها"¹.

فإذا استخدم المسلم عقله بالتفكير بهذه الطريقة؛ دحض العقل كل ارتياب قد يشوب عقيدة توحيدة، وإن قابل في مسيرته أفكارًا وتصورات باطلة قد تشككه وتحرفه عن عقيدته، فإن تلك المنهجية الفكرية ستشكّل دِرْعًا لحماية العقل من المضي معها، فينتهي المسلم إلى ما يطمئن قلبه، ويمثلها في حياته كلها، فالتوحيد يعني الإيمان بأنه لا خالق ولا رازق، ولا حاكم إلا الله، فإن عرف المسلم ذلك، أقرّ بأن الخضوع لله وحده، فاطمئن لرزقه، وعلم أنّ الله مطلع عليه، فيحرص على رضاه قولاً وعملاً.

وتأمل الأسلوب النبوي البارع في عرض كبائر الأعمال، فلم يتتابع في عرضهم، فكان له أن يقول: "أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدَاءً وَهُوَ خَلَقَكَ" ثم "وَأَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ..." وهكذا، بل وقف الرسول صلى الله عليه وسلم وقفة لطيفة، يعطي فيها للسائل فسحة للتفكير في نفسه وفي الآفاق من حوله، فلا يقصر تفكيره فقط بالكلام المتلقى، وإنما أرشده إلى أدلة حسية عملية ينظر فيها ويتأمل، لتكون نتيجة تفكيره هو تقرير وحدانية الله وإبطال عقيدة الشرك. واستعظام الصحابي ابن مسعود رضي الله عنه لذلك دليل على تحقّق ما أراده النبي صلى الله عليه وسلم.

ثانياً: التفكير المنهجي في مجال العبادات

سعى النبي صلى الله عليه وسلم إلى تثبيت أبعاد العبادات الروحي والاجتماعي وتأكيدها في عقل المسلم، بهدف السعي نحو ترجمة ما اقتنع به العقل بالسلوك القويم، فكان عليه السلام يدفع المسلمين

¹ ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد الحنبلي الدمشقي (ت: 728هـ): النبوات. تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان. ط1. الرياض: أضواء السلف. 1420هـ-2000م. (292/1).

إلى التفكير المنهج في العبادات للكشف عن أثرها، فتُبصر بذلك عقول المسلمين رحمة الله بهم، وتثير يقيناً بحكمة هذه العبادات في تحقيق مصالحهم ودرء المفاسد عنهم، والذي يظهر في الآتي:

1. الإنابة في أداء فريضة الحج، وفقه حُكمها وفق التفكير المنهجي:

ومثال ذلك ما رواه ابن عباس رضي الله عنه أن امرأة جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت: إن أُمي نذرت أن تحج فماتت قبل أن تحج، أفأحج عنها؟ قال: «نعم، حجي عنها، أرأيت لو كان على أُمك دين أكننت قاضيته؟»، قالت: نعم، فقال: «اقضوا الله الذي له، فإن الله أحق بالوفاء»¹.

أراد النبي صلى الله عليه وسلم من قوله: "أرأيت لو كان" بثّ منهجية سليمة للتفكير في أحكام العبادات، بهدف الوصول إلى فقهها، فقام بدعوة عقل السائلة إلى استحضار قواعد شرعية سابقة، وهي قضاء الدين عن الميت، لتقوم بعدها بالتفكير فيها للوصول إلى إدراك العلاقات بين المسائل، فيتبين للسائلة ارتباط جواب السؤال بما تم استحضاره عقلاً، فيكون الحكم واضحاً مُقنعاً للسائل.

وفي ذلك يقول الحافظ ابن حجر: "فيه مشروعية القياس وضرب المثل ليكون أوضح وأوقع في نفس السامع، وأقرب إلى سرعة فهمه، وفيه تشبيه ما اختلف فيه وأشكل بما اتفق عليه"².

ومن هنا كان الفقه خلاصة أعمال عقل العالم في النصوص الشرعية، لذا كانت الخيرية للفقيه الذي يُعمل تفكيره وفق تلك الأسس المنهجية لاستنباط الأحكام الشرعية، كما دلّ عليه قوله صلى الله عليه وسلم: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»³.

¹ البخاري: صحيح البخاري. كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة. باب من شبه أصلاً معلوماً بأصل مبين قد بين الله حكمهما ليفهم السائل. (102/9/ رقم: 7315).

² ابن حجر: فتح الباري. (66/4).

³ البخاري: صحيح البخاري. كتاب فرض الخمس. باب قول الله تعالى: ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾ (85/4/ رقم: 3116).

2. بيان فضل الصلوات الخمس وأثرها وفق التفكير المنهجي:

ومثال ذلك ما رواه أبو هريرة، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمساً، ما تقول ذلك يبقى من درنه؟»¹ قالوا: لا يبقى من درنه شيئاً، قال: «فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله به الخطايا»².

لقد أوصل النبي صلى الله عليه وسلم فضل الصلوات الخمس وأثرها من خلال صورة حسية يستحضرها العقل، ويتخيلها حاضرة أمامه، فينشط تفكيره في فضاء تلك الصورة، ليكون حاصل التفكير فيها؛ أن الماء يغسل الجسد من الدرن، وكذا الصلاة، فالمدامومة على أدائها في أوقاتها يغسل القلب والروح والنفس مما قد يعلق بها من وحل الدنيا وماديتها.

قال حسن طراد: إنَّ الصلاة حمّام روحي لاقتضاءها نظافة الروح والنفس والضمير مما يعلق بها أثناء انطلاقها في درب الحياة³، ويظهر مدى فاعلية الصلاة وتأثيرها، على تقوية الإيمان بالله وتوطيد العلاقة الفكرية والروحية به، لينتج من ذلك استمرار المؤمن المصلّي على الاتصال التفصيلي بخالقه الذي يعبده ويصلي له، بكل عمل يمارسه على صعيد الحياة⁴.

فمعرفة المسلم لأثر أداء الصلاة على نفسه ومجتمعه بهذه المنهجية؛ يرفع من حرصه على أدائها في وقتها، وذلك بالتفكير في الأسباب والظروف التي قد تعيقه عن أدائها، فيسعى إلى إزالتها،

¹ قال الخطابي: "وأصل الدَّرَن: الوسخ". الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم البستي (ت: 388 هـ): غريب الحديث. تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرياي. خرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي. دمشق: دار الفكر. 1402هـ-1982م. (509/1).

² البخاري: صحيح البخاري. كتاب مواقيت الصلاة. باب الصلوات الخمس كفارة. (112/1/ رقم: 528).

³ انظر: طراد، حسن: من وحي الإسلام. ط1. بيروت: دار الزهراء. (ص: 240).

⁴ انظر: طراد، حسن: فلسفة الصلاة في الإسلام. ط1. بيروت: دار الزهراء. 1420هـ-1999م. (ص: 31).

ويصبح أكثر تنظيمًا وتخطيطًا ليومه، بما يناسب أوقات الصلاة، فيظهر أثرها على مستوى الفرد وأسرته وعلاقته بمجتمعه فتهدب سلوكه وتضبط وعوده.

ثالثاً: التفكير المنهجي في مجال الأخلاق

ومثاله ما روته عائشة رضي الله عنها: أَنَّ رجلاً استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم، فلما رآه قال: «بئس أخو العشيرة، وبئس ابن العشيرة» فلما جلس تطلق النبي صلى الله عليه وسلم في وجهه، وانبسط إليه، فلما انطلق الرجل قالت له عائشة: يا رسول الله، حين رأيت الرجل قلت له كذا وكذا، ثم تطلعت في وجهه وانبسطت إليه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا عائشة، متى عهدتني فحاشاً، إن شرَّ الناس عند الله منزلةً يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره»¹.

ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم هو ما نسميه بـ(المدارة)، فأراد أن يسنَّ لأُمَّته مذهب في التعامل، تُبقي على التواصل، واستمرار الحياة الاجتماعية، إذ أن مباسطة الناس ومخالطتهم ومداعبتهم تزيد في الألفة، وتساعد على التخلص من الكبر والترفع المذموم².

وقد قرّر الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله: "مَتَى عَهْدَتِي فَحَاشَا" مبدأ ثبات عنصر الأخلاق ورسوخه، فمنهجية التفكير الصحيح تقوم على عناصر ثابتة، قادرة على استيعاب تقلبات المجتمع وأفراده، يبقي العقل ثابتاً مستقراً، وتمنعه من الانحراف عن مساره، بتغير الزمان أو الأشخاص؛ فالتفكير في أن الشخص له صفات سلبية لا يعني تغيير التعامل الأخلاقي وفقاً لذلك، فثبات المنهجية الفكرية يستلزم ثبات الاتجاه الأخلاقي، وخاصة إن كان المفكر هو المتصدر للدعوة، فينعكس إيجابياً على تعاملاته مع المدعوين.

¹ البخاري: صحيح البخاري. كتاب الأدب. باب «لَمْ يَكُنْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاحِشاً وَلَا مُتَّحِشاً». (8/13/رقم: 6032).

² انظر: بكار، عبد الكريم: عصرنا والعيش في زمانه الصعب. ط2. دمشق: دار القلم. 1425هـ-2004م. (ص278).

رابعاً: التفكير المنهجي في مجالات السنن الإلهية

لقد أولى النبي صلى الله عليه وسلم موضوع السنن الإلهية مساحة كبيرة في حديثه ومجالسه؛ لدورها في تسيير شؤون الكون والخلق، فوضع الرسول صلى الله عليه وسلم قواعد منهجية لكيفية التعامل مع هذه السنن، تقوم على إعمال العقل فيها لإدراك كيفية القيام بعمارة الأرض، وبناء الحضارة وفق قوانينها، فيتحقق بذلك انقياد العقول والقلوب والأبدان لله، رجاء رحمته، وحمداً وشكراً على نعمه، ومن تلك السنن:

1- السنن الكونية الطبيعية، والكشف عن أبعادها وفق التفكير المنهجي

والمقصود بالسنن الكونية: القوانين التي يسير الكون وفقها، بنظام مُحكم لا يتخلف ولا يملك الإنسان شيئاً إزاء تغييرها، وليس له إلا أن كيف حياته معها، ويستفيد منها بكل ما لديه من وسع وجهد وطاقه¹.

ومن السنن الكونية التي استثمرتها السُّنة النبوية فكرياً: سنة تعاقب الليل والنهار.

مثال ذلك: ما رواه أبو ذر الغفاري رضي الله عنه، قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد عند غروب الشمس، فقال: «يا أبا ذر أتدري أين تغرب الشمس؟» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش»².

اغتنم الرسول صلى الله عليه وسلم رؤية غروب الشمس ومعه حبه أبو ذر ليستفهمه عنها، وينقله من مجرد الرؤية السطحية إلى بصيرة القلب، فيعمق تفكيره في هذا المخلوق الذي سخره الله للإنسان،

¹ انظر: الدغامين، زياد خليل: إعمار الكون في ضوء نصوص الوحي. إسلامية المعرفة: مجلة الفكر الإسلامي المعاصر. ع1429/54هـ- 2008. (ص:44).

² البخاري: صحيح البخاري. كتاب فرض الخمس. باب «وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ» [يس: 38]. (6/123/ رقم:4802).

يتعاقب بعملية دائمة لا تنقطع، تكون سكناً في وقت، وسراجاً مُنيراً في وقت آخر، بما يحقق التوازن لحياة الإنسان، فيصل بالإنسان إلى استشعار نعمة الله عليه في تقديرها، فتسير العقول والأبدان عملاً لله وشكراً له، ويعطي دافعاً للعقل إلى التفكير باستمرار في تطوير إمكانيات الإنسان ووسائله، لتوظيف الحركة الدائمة لهذا المخلوق في خدمة البشرية.

وعلى الإنسان أن يتعلم من الكون دروساً وعبراً، فانتظام ما في الكون ينبغي أن ينعكس على الإنسان في حياته، فيضبط حركته وسلوكه، وإذا كان ما في الكون يسير في حركة دؤوبة نشطة فينبغي لهذا النشاط أن ينعكس على سلوك الإنسان ليقوم على عمارة الكون دأباً¹.

كما أن تفكير الإنسان في حركة الشمس المستمرة، وانقيادها لله لأجل مسمى بالرغم من عظمتها؛ ينتهي بالعقل إلى تقرير مفهوم صحيح، أن المخلوق مهما كبر وعظم فإنه لا شيء أمام عظمة الخالق، ليكون هذا المفهوم مدعاةً لتواضع الإنسان وانقياده لله في كل خطوة يخطوها، ولا ينتفع بهذه الآيات إلا ألو الألباب أصحاب المنهجية السليمة في التفكير.

2- السنن الاجتماعية، والكشف عن أبعادها وفق التفكير المنهجي

المراد بالسنن الاجتماعية: تلك "الطريقة المتبعة في معاملة الله تعالى للبشر على سلوكهم وأفعالهم وموقفهم من شرع الله وأنبيائه وما يترتب على ذلك من نتائج في الدنيا والآخرة"².

وقد شجّع النبي صلى الله عليه وسلم التفكير في هذه السنن، وإبراز ما فيها من خيري الدنيا والآخرة؛ لأن الأمة التي تمتلك الأفكار البناءة في استثمار هذه السنن وإبصار آثارها، سيكون لها الأثر الأكبر

¹ الدغامين: إعمار الكون في ضوء نصوص الوحي. (ص: 41-42).

² زيدان، عبد الكريم: السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية. بيروت: الشركة المتحدة للتوزيع. (ص: 13).

على مجتمعاتها، في تقدمها في مناحي الحياة، وفي حلها للمشكلات التي تواجهها، ومن تلك السنن ما ورد في ابتلاء المؤمنين، وسنة التدرج، وبيانها كالآتي:

أ. سنة الابتلاء للمؤمنين، واستثمارها في الاتجاه الصحيح في ضوء التفكير المنهجي:

ومثال ذلك ما رواه خباب بن الارت رضي الله عنه، قال: شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، قلنا له: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو الله لنا؟ قال: «كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمنَّ هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله، أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون»¹.

أراد النبي عليه السلام من ذكر نماذج من ابتلاء الجماعات السابقة؛ إخبارهم أن دأب كل أمة مؤمنة أن تمر بأدوار كالتي مروا بها، فوجههم إلى أن لا يجزعوا ولا يستعجلوا، بل يشغلوا عقولهم بالتفكير في كيفية استثمار هذه السنة بمنهجية صحيحة، بفهمهم للماضي ومعرفة أسباب تمكين الأمم السابقة، لمواجهة حاضريهم وحل مشكلاته، ثم التفكير في كيفية صناعة المستقبل الحضاري.

قال السباعي: "إنما تقوم الدعوات وتنهض الأمم بتطهير صفوفها من المنافقين والمخادعين، ولا يثبت للشدة إلا كل صادق العزيمة، مخلص النية، ثابت المبدأ"².

فبالابتلاء تنهوى عزائم، وترجف أقدام لتعود أدرجها، فينقى الصف المسلم من الفئة المنافقة المعيقة لصناعة التمكين، لتبقى الجماعة المؤمنة الثابتة التي تحمل راية التمكين في الدنيا، وتغور بالمنزلة

¹ البخاري: صحيح البخاري. كتاب المناقب. باب علامات النبوة في الإسلام. (4/201/رقم: 3612).

² السباعي، مصطفى: السيرة النبوية دروس وعبر. ط8. بيروت: المكتب الإسلامي. 1405هـ-1985م. (ص: 160).

العليا في الآخرة، فتفكيرهم بتلك المنهجية وبالثواب العظيم الذي أعده الله للمبتلين يبيث فيهم تفاؤل النفس ويقين القلب، فيواصلوا السير بعزم وثبات.

ب. **سنة التغيير**، وتجاوز تحدياته وفق التفكير المنهجي:

كان النبي صلى الله عليه وسلم مطلعاً على المعضلات المتأصلة في حياة العرب، وكان على يقين بأن أي تغيير سيطراً على منهجية التفكير سيكلف الكثير، لاسيما قضايا الإيمان والبعث، وما يتعلق بالنفوذ السياسي، لذلك حرص على رسم مراحل منهجية منضبطة لتغييرهم وبنائهم البناء القويم، ومن أهم الأسس التي اتبعها رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيل التغيير؛ **التدرج، ومراعاة المصالح**، وبيان ذلك كالآتي:

أولاً: التدرج في التغيير، ومدى ارتباطه بالتفكير المنهجي:

ومثاله ما رواه عبد الله بن عباس رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث معاذاً رضي الله عنه إلى اليمن، فقال: «ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم»¹.

أراد الرسول صلى الله عليه وسلم من وصيته أن يسهل على معاذ بن جبل رضي الله عنه مهمته في إحداث التغيير في المجتمع اليمني وفق قانون التدرج، فبدأ بتأسيس قواعد البنیان، ألا وهي العقيدة، ثم البناء على مراحل، بدأها بالصلاة ثم الزكاة، وقد أحرز الزكاة مراعاة لطبيعة شخصية الإنسان المحبة للمال، فقبل التفكير في فرض تغييرات اقتصادية شاملة؛ لا بد من تأسيس الناس عقائدياً

¹ البخاري: صحيح البخاري. كتاب الزكاة. باب وجوب الزكاة. (2/104/رقم: 1395).

وروحياً، ليتقبلها الناس برحب وسعة، وإلا ستكون النتيجة باهظة من ردة فعل الناس السلبية، وقد يؤدي إلى فتنتهم ورفضهم للمدعو إليه.

إن "الغاية من التدرج هي الوصول إلى التطبيق الكامل لشريعة الإسلام، والتدرج إنما هو وسيلة لتحقيق هذه الغاية، وليس غاية في حد ذاته، وهذا يستلزم من القائم بالتدرج أن يضع الأهداف، ويرسم الخطط، ويحدد المراحل"¹، وأن يفكر بتأنٍ قبل الانتقال من مرحلة إلى أخرى، حتى يتيقن من أنهم تشربوا المرحلة السابقة فكرياً وسلوكياً، لذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم بعد كل أمر، "فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ"، أي لا تفرض الأمر عليهم فرضاً، بل جاهد في إقناعهم، بحلم وأناة.

ثانياً: مراعاة المصالح أثناء التغيير، ومدى ارتباطه بالتفكير المنهجي:

ومثاله ما روته أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ألم تري أن قومك حين بنوا الكعبة اقتصروا عن قواعد إبراهيم» قالت: فقلت: يا رسول الله، أفلا تردّها على قواعد إبراهيم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لولا حدثان قومك بالكفر لفعلت»².

من أجل تحقيق نتائج مرضية من عملية التغيير، ينبغي أن يسبق ذلك التفكير في الأسباب الدافعة له، والمصالح التي سنجنيها منه، وفي الأسباب التي قد تؤدي إلى مقاومة التغيير، وبموازنة العقل بين المصالح والمفاسد يكون تغليب أحدهما على الآخر.

¹ الفوز، زياد بن عبد الله بن محمد: التدرج في تطبيق الشريعة وعلاقته بالسياسة الشرعية. (رسالة ماجستير). جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. السعودية. 1427هـ/1428هـ. (ص:58).

² مسلم: صحيح مسلم. كتاب الحج. باب نقض الكعبة وبنائها. (2/969/رقم:1333).

قال النووي: "وفي هذا الحديث دليل لقواعد من الأحكام منها؛ إذا تعارضت المصالح أو تعارضت مصلحة ومفسدة وتعذر الجمع بين فعل المصلحة وترك المفسدة بُدئ بالأهم"¹.

فإن كان إعادة بناء الكعبة على قواعد إبراهيم عليه السلام يحقق بعض المصالح، فهو أمر مشروع مُستحب، ولكن لحداثه عهد أهل مكة بالإسلام، وأن تغييراً مفاجئاً يمس البيت الحرام المقدس لن يكون مُرحَّباً به عند الكثير منهم، وسيكون ذلك مدعاة إلى مفسدة أكبر، كالنزاع والفتنة وزعزعة الاستقرار، لذلك كان القيام حينئذ بهذا التغيير مخالفاً لمقصود الشارع في حفظ وحدة الأمة وأمنها.

المطلب الثاني: ضوابط التفكير المنهجي في السُّنة النَّبوية

لقد راج في العالم الغربي دعوى فتح العقل على مصراعيه، وكثر الإلحاح على توظيف العقل بحرية مطلقة في كافة المجالات، فاختلطت المفاسد بالمصالح، وساء تقدير العقل واستعماله، لذا كان لابد من تزويد عقل المسلم بضوابط تفكير منطلقة من السُّنة النَّبوية حتى لا يتجاوز عقل المسلم حدوده التي رسمها الشارع له، فذلك هو الضمان الوحيد لاستقرار العقل وحمايته من التكلف والتشعب، وينعكس ذلك على حسن الأداء.

والمقصود بضوابط التفكير: الحدود التي يجب على العقل ألا يتجاوزها في أثناء نشاطه الفكري. ولا تعارض بين هذه الضوابط وبين حرية التفكير، فالضوابط وُجدت لاستعمال العقل في المساحة التي خُلق لأجل أن يعمل بها، لا أن يُرهَق فيما لا يدركه فتيته، ولا يعمل في حيز يعود على المفكر بالضرر، ومن شأن الضوابط العمل على تعزيز نشاط العقل في المجالات التي تحقق حصيلة نتائج تعود بالنفع على المفكر وعلى غيره.

¹ انظر: النووي: شرح النووي على مسلم. (89/9).

وفي ذلك يقول السفاريني: "إن الله عزَّوجلَّ خلق العقول، وأعطاهما قوة الفكر، وجعل لها حداً تقف عنده من حيث ما هي مُفَكِّرة، لا من حيث ما هي قابلة للوهب الإلهي، فإذا استعملت العقول أفكارها فيما هو في طورها وحدها ووفت النظر حقه؛ أصابت بإذن الله تعالى، وإذا سلطت الأفكار على ما هو خارج عن طورها ووراء حدِّها الذي حده الله لها؛ ركبت متن عمياء، وخبطت خبط عشواء، فلم يثبت لها قدم، ولم ترتكن على أمر تطمئن إليه"¹.

وقد قُدِّر للنشاط العقلي أن يأخذ مكانه على يد النبي الكريم، الذي وضع له الضوابط الدقيقة، التي جاءت كالآتي:

أولاً: الضوابط المتعلقة بالقضايا الدينية

الضابط الأول: ترك التفكير في ما لا يدرك من الغيبات

الغيبات نوعان: نوعٌ قد يُعلم بالتفكير والنظر بما شاء الله لعباده، من تمكينهم بمعرفة أسبابه، كوقت نزول المطر، وما أخبرنا عنه من أخبار الأمم السابقة، ونوعٌ استأثر الله بعلمه بكل جوانبه، كعلم الساعة²، فغاب عن إدراك الحواس، فانعدمت قدرة العقل على التفكير فيه، لتجيء السنة آمرة بالإعراض عن مثل هذا النوع من التفكير، حفاظاً على العقل من التيه والتخبُّط.

ومن أمثلة ما ينبغي ترك التفكير فيه من الغيبات التي لا يدركها العقل: ترك التفكير في ماهية ذات الله.

¹ السفاريني، شمس الدين أبو العون محمد بن أحمد الحنبلي (ت: 1188هـ): **لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية** لشرح الدرّة المضية في عقد الفرقة المرضية. ط2. دمشق: مؤسسة الخافقين ومكتبتها. 1402هـ-1982م. (1/105).

² انظر: الغنيمان، أحمد عبد الله: **علم الغيب في الشريعة الإسلامية**. ط1. المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم. 2004م. (ص: 35-36).

مثاله ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه قال: «يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا، من خلق كذا، حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته»¹.

فلما كان الله جلّ في علاه لا تدركه الأبصار؛ عجز العقل عن إدراك ماهية ذاته؛ لأن العقل مرتبط بالمحسوسات، يفكر وفق ما عنده من معلومات حسية سابقة، ولما كان الله ليس كمثله شيء؛ امتنع عنه ذلك، وكان أي سؤال عن ذاته فاسدًا مستحيلًا عقلاً، ولذلك جاء التوجيه النبوي بالانتهاء عن خوض العقل في ذات الله، وأن يستعيز بالله من الشيطان الرجيم؛ لأن الشياطين لم تأت قطعاً للحث على التفكير بذات الله رغبة منها في الخير، وإنما هي وسيلة من وسائل الإضلال عندهم، وطريق لأسر العقل في شباك تلك الشبهة، وتكدير صفو النفس، وقد تكون فيما بعد مصدرًا لأزمات نفسية على المفكر وعلى من حوله.

يقول سامي عامري: "إنه سؤال حاضر حضور تفكر الإنسان في ربه، ولذلك فهو يبلبل عقول بعض المؤمنين بخالفهم كل عصر، وطريق طرده هو الاستعاذة بالله من وسوسة الشيطان كما هو الهدي النبوي، فإن ألحَّ السؤال على العقل وتمكّن من الصدر؛ فدواؤه النظر وإمعان الفكر في حقائق العقل والوجود"².

لذلك كان تجاوز الحد للتفكير في ذات الله منهياً عنه، لضمان استقرار العقل، وتوجيهها لإمكاناته الفكرية لتعظيم الخالق والخضوع له، وإلى فهم السنن التي بثها في الكون.

¹ البخاري: صحيح البخاري. كتاب بدء الخلق. باب صفة إبليس وجنوده. حديث رقم (123/4) رقم: (3276).

² عامري، سامي: فمن خلق الله؟. ط2. هذا الكتاب من سلسلة إصدارات المؤسسة العلمية الدعوية العالمية. برعاية مركز تكوين للأبحاث والدراسات. 1438هـ-2017م. (ص:17).

الضابط الثاني: عدم التفكير في تجاوز دلالة النصوص الشرعية وتطبيقاتها

من أهم وظائف العقل تجاه النصوص الشرعية تدبرها وحسن التفكير فيها، لاستنباط ما فيها من بيان وحكمة، وتطبيقها على الواقع، بعيداً عن الخوض فيما لا يدركه العقل، أو بغير مراد من سوق النص، تحقيقاً لمقصد الشارع من تلك النصوص، وكان تجاوز هذه المنهجية طريقاً لهدم مقاصد النصوص الشرعية ومعانيها، فجاءت السنة تدعو إلى:

1. ترك التكلف في التفكير بدلالة النصوص الشرعية

ومثاله ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج، فحجوا»، فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو قلت: نعم لوجبت، ولما استطعتم»، ثم قال: «ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه»¹.

إن العبادات التوقيفية، كالصلاة والصوم والحج، قد بين منها الشارع على لسان نبيه ما هو الخير والنفع، وموقف المسلم منها التسليم والانقياد، وألا يولج عقله في التفكير بتفصيلات لم يبينها الشارع؛ لكون التفكير فيها مدعاة لهلاك صاحبه ومجلبة للضيق، لذا كان السؤال مذموماً من قبل السائل حول فرضية الحج في كل عام؛ لأنه باب مغلق لو فتح لوقعت الأمة فيما لا تطيق.

فبحث الصحابة وتقرعهم؛ يترتب عليه تشديد بزيادة التكاليف من إيجاب واجبات أو تحريم محرمات؛ لكون السؤال مخالف لمقصود الشارع بتقليل التكاليف، وتوسيع منطقة العفو، الذي لم يجيء اعتباطاً

¹ مسلم: صحيح مسلم. كتاب الحج. باب فرض الحج مرة في العمر. (975/2/رقم: 1337).

ولا مصادفة، وإنما هو أمر مقصود للشارع الذي أراد لهذه الشريعة العموم والخلود والصلاحية لكل زمان ومكان، لهذا قال في الحديث "نروني ما تركتكم"، فهو دعوة إلى الوقوف عند دلالة النصوص بعيداً عن الجدل الفكري¹.

2. ترك التفكير فيما يتجاوز الحد في تطبيق النصوص

ومثاله ما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: ومن يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد، حب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه أسامة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أتشفع في حد من حدود الله، ثم قام فاختطب، ثم قال: إنما أهلك الذين قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»².

إن الاحتكام إلى شرع الله وأحكامه ليس موضع اختيار، متى راق لعقولنا أخذنا به، ومتى لم تستسغه عقولنا تركنا العمل به، بل لابد من الاستسلام للنص، قولاً وعملاً، دون تفريق بين مكلف ومكلف مهما علت رتبته، وما حصل من الصحابي أسامة رضي الله عنه هو محاولة تجاوز العقل لحدوده، بالتفكير في الامتناع عن تطبيق العقوبة؛ لورود فكرة جاهلية مفادها؛ أن العقوبات لا تقام على الأشراف وأبنائهم، وإنما على الضعفاء وأقوامهم.

فقد كانت نتيجة الضغط على أسامة رضي الله عنه أنه أخطأ في التقدير، فشفع للمرأة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأراد رسول الله ردع أسامة، ووضع حد لما آل إليه تفكيره بتجاوز حدود

¹ انظر: القرضاوي، يوسف: مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1993م. (ص140-141).

² البخاري: صحيح البخاري. كتاب أحاديث الأنبياء. باب حديث الغار. (4/175/رقم:3475).

تطبيق النص الشرعي، واضعاً مقدمات فكرية واضحة لما سيحدث، تقوم على تشخيص الواقع وتاريخ الأمم، لبيان الآثار المترتبة على تجاوز هذا الحد، وهو انتشار الفساد الذي يكون سبباً لهلاك الأمة، جاعلاً مبدأ العدالة الاجتماعية في قوله "ولو أن فاطمة" مفهوماً للانطلاق، يقوم على أن الإسلام لا يتعلق بأشخاص، وإنما بالمنهج والفكرة.

فتشديد النبي صلى الله عليه وسلم على مسألة شمولية التطبيق للأحكام والعقوبات، يكمن في أن في عدم تطبيقها أو تطبيقها بشكل انتقائي نشر للفساد الذي ينهش كل جوانب حياة الأمة، ولن يتحقق السلام والاستقرار في مجتمع، ما لم يسد العدل ونفاذ القوانين دون اعتبار لخصوصية أي كان¹.

نحن لا نقول بمنع التفكير في الظروف المحيطة بتنفيذ الحكم، فإن وجد ما هو معتبر شرعاً يمنع إقامته فهذا أمر آخر، "فإن كانت الشريعة الإسلامية تهتم بإقامة الحد على الجاني لما فيه من الردع والزجر والإصلاح، إلا أنها تهتم في المقابل بجانب التقدير والرحمة لوضعه وحالته كإنسان"²، فالحديث إنما يتحدث عن تنفيذ الحكم عند توفر شروطه وانعدام الموانع الشرعية، حينها من الضروري أن تبقى الأحكام والمبادئ الشرعية مستعلية على الجميع، وهذا أحد أسرار بقائها.

¹ انظر: بكار، عبد الكريم: تكوين المفكر: خطوات عملية. ط1. القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع. 2010م. (ص107). وبكار، عبد الكريم: المشروع الحضاري: نحو فهم جديد للواقع. ط1. القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر. 1431-2010م. (ص38).

² الودعان، إبراهيم بن فهد بن إبراهيم: قواعد وضوابط عقوبات الحدود والتعازير. دراسة تأصيلية تطبيقية. دكتوراه الفلسفة في العلوم الأمنية. كلية الدراسات العليا قسم العدالة الجنائية. جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية. 2008م. (ص123-124).

الضابط الثالث: ترك التفكير في المتشابهات من النصوص الشرعية

المتشابه في النصوص نوعان: **حقيقي** استأثر الله بعلمه كموعد الساعة، ونسبي جعل الله لبعض عباده سُبلاً لمعرفتها، يتحصّله الراسخ في العلم لحاجته إلى فقه عميق وعلم دقيق وتدبّر للمسائل، فالاشتباه للناظر لا للدليل ذاته¹.

والنوع الثاني هو المراد بمعنى المتشابهات في هذا الموضع، وهو المقصود من لفظ "المشبهات" في حديث النعمان بن بشير الذي قال فيه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «الحلال بيّن، والحرام بيّن، وبينهما مشبهات² لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات: كراع يرعى حول الحمى، يوشك أن يواقع، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا إن حمى الله في أرضه محارمه...»³.

قال ابن رجب: "كلام النبي صلى الله عليه وسلم يدل على أن هذه المشبهات من الناس من يعلمها، وكثير منهم لا يعلمها، فدخل فيمن لا يعلمها نوعان: أحدهما: من يتوقف فيها؛ لاشتباهاً عليه، والثاني: من يعتقد ما على غير ما هي عليه"⁴.

وتقسيم النبي صلى الله عليه وسلم الناس في موقفهم من المتشابهات دافعه الاختلاف في العقول والتباين في مستوى التفكير، فالنص النبوي دعوة ضمنية لمن اشتبه على عقله نص ما، أو واجه

¹ انظر: الجبوري، محمد عباس نعمان: تأويل التشابه عند المفسرين. (رسالة دكتوراه). جامعة الكوفة-العراق. 2008م. (ص36-46-52).

² "الشبهة): الالتباس، و(في الشرع): ما التبس أمره فلا يدري أحلال هو أم حرام وحق هو أم باطل". مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط. (471/1). وقال ابن حجر: "مشبهات بوزن مفعلات، بتشديد العين المفتوحة، وهي رواية مسلم، أي شَبَّهَتْ بغيرها مما لم يتبين به حكمها على التعيين، وفي رواية الأصيلي مُشَبَّهَات بوزن مفعلات، بقاء مفتوحة وعين خفيفة مكسورة، وهي رواية ابن ماجه، وهو لفظ بن عون والمعنى أنها موحدة اكتسبت الشبه من وجهين متعارضين". ابن حجر: فتح الباري. (127/1).

³ البخاري: صحيح البخاري. كتاب مواقيت الصلاة. باب فضل من استبرأ لدينه. (20/1/رقم:52).

⁴ ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد الحنبلي (ت: 795هـ): جامع العلوم والحكم. ط7. تحقيق: شعيب الأرنؤوط - إبراهيم باجس. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1422هـ-2001م. (203/1).

نصوصاً مُشكّلة في مسألة ما، ولم يمتلك الأدلة والمعلومات الكافية للترجيح، فلم يدرك حقيقتها بين الحلة أو الحرمة، أن يترك التفكير فيها؛ لأن التهاون فيها طريق لإصدار أحكام غير صحيحة توقع المسلم في الحرام، وتجعله يضع دينه وعرضه موضع طعن الناس.

ثانياً: الضوابط المتعلقة بالقضايا الدنيوية

الضابط الأول: ترك التفكير فيما لا يجلب مصلحة

كلما انصبَّ تفكيرُ العقل في الأمور غير النافعة أو التي لا يرجى منها مصلحة ما؛ هدر طاقاته الفكرية في إنتاج مفاهيم ومعلومات خاطئة أو أمور هامشية بعيدة عن الواقع، وعندها لن يكون قادراً على مواجهة المشاكل التي تواجهه وحلها حلاً سليماً؛ لذلك كان للنبي صلى الله عليه وسلم موقف واضح من ذلك، يظهر من خلال الآتي:

1. دعوة النبي إلى إشغال العقل فيما يحقق المصلحة للفرد والمجتمع.

ومثاله ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «...، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز»¹.

فإعمال العقل بالتفكير فيما لا مصلحة منه ولا نفع؛ يقتضي إشغاله فيما لا فائدة منه، وحرف الجهود العقلية بإنتاج أفكار رديئة تترجم إلى أنماط سلوكية فيما بعد، نراها في أفراد تافهة، يقضون حياتهم فيما لا فائدة فيه، وفيما هو من التوافه، ليكون السقط الأخلاقي والسلوكي من نتائجها.

لذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالحرص على التفكير في كل ما يُحقّق نفعاً، ورفع العجز عن العقل في كسب المعارف النافعة الصالحة؛ لأن في ذلك صيانة للأمة من استفحال التافهة

¹ انظر: مسلم: صحيح مسلم. كتاب القدر. باب في الأمر بالقُوّة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله. (4/2052/رقم: 2664).

الاجتماعية، التي تلعب دورًا في انتشار الجهل ومجالس اللهو بموضوعاتها الخالية من أي فائدة، عندها ستُغفل مشاكل الأمة المصيرية، فلا تجد من يفكر في حلها، وتقعد الأمة الإسلامية -أفرادًا وجماعات- غايتها السامية من هذه الحياة، وما نشهده على مواقع التواصل الاجتماعي من تتبع السفاسف وترك القضايا الكبرى، خير دليل على ما وصلنا إليه من بعدنا عن المنهج النبوي.

2. غضب النبي صلى الله عليه وسلم من التفكير فيما يضر ولا يحقق المصلحة

ومثاله ما رواه أبو موسى الأشعري، قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء كرهها، فلما أكثروا عليه المسألة غضب وقال: «سلوني»، فقام رجل فقال: يا رسول الله، من أبي؟ قال: «أبوك حذافة»، ثم قام آخر فقال: يا رسول الله، من أبي؟ فقال: «أبوك سالم مولى شيبه»، فلما رأى عمر ما بوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغضب قال: إنا نتوب إلى الله عز وجل¹.

يرسم الحديث منهج الإسلام في المعرفة، ويعلمهم أدب السؤال، وحدود البحث، وأن المعرفة في الإسلام إنما تُطلب لمواجهة حاجة واقعة، وفي حدود تلك الحاجة الواقعة²، وإنَّ حرية الإنسان في التفكير للبحث عن الأفكار الجديدة، لا يعني تسخير قدراته في إثارة أمور لا نفع فيها، أو مضارها أكبر من نفعها، فالحرية الفكرية قائمة ما لم تؤدَّ إلى الضرر للنفس وللغير، لذلك كانت أسئلة بعض الصحابة دافعًا لغضب النبي صلى الله عليه وسلم، كونها ضربت من العبث العقلي، قد تلحق بهم وبأمهاتهم أذى اجتماعي عفا عنه الإسلام، موحياً إليهم أن هذا ليس المسار الصحيح التي يؤمل من الأمة الإسلامية استنفاد طاقاتها الفكرية فيه.

¹ البخاري: صحيح البخاري. كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة. باب ما يكره من كثرة السؤال. وتكلف ما لا يعنيه. (95/9/ رقم: 7291).

² انظر: قطب: في ظلال القرآن. (986/2-987).

فأراد عليه الصلاة والسلام تصحيح المسار بخلق وعي بمضار هذا النوع من التفكير، محذراً لهم بالإقلاع عنه قبل أن يصبح منهجاً في كل مجلس ونقاش، فتمتلئ عقولهم بكل ما هو غث، فيُغَيَّب بذلك عن أذهانهم ما يكتنفهم في عصرهم من مسائل ومشكلات.

الضابط الثاني: ترك التفكير السلبي في الماضي بالندم على ما فات

ومثاله ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «...، وإن أصابك شيء، فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان»¹.

فالنبي صلى الله عليه وسلم ينهى في حديثه عن التفكير بالماضي مُتَحَسِّراً متأسفاً عليه، فكلمة "لو" من أدوات توجيه اللوم إلى النفس، وإشغالها بالخطأ عن الصواب، وهذه الأفكار إنما هي مفاتيح أبواب كثيرة لعمل الشيطان، يلج عن طريقها إلى عقل الإنسان، مورداً فيه كل الاحتمالات السيئة، لتغشى العقل الذي يصير تائهاً حائراً لا يرى طريقه، فيصل بأرض الفكر -ألا وهي العقل- إلى الجذب، لتتعدم الأفكار الايجابية الصحيحة، ويحل الرديء مكانها، وهذا من شأنه أن يؤثر على سلوك المسلم ويُقيده في يومه وعمله ونومه، ويؤثر على أداء مهمته في الحياة.

إن ملف الماضي عند العقلاء يُطوى ولا يروى، فالتفاعل مع الماضي والقلق منه ضياع للحاضر، وتمزيق للجهد، ونسف للساعة الراهنة، فلا بد من تنظيف الماضي من كل ذلك وتحويله إلى خبرات وتجارب وعبر لترتب قيم الحاضر²، وإن تجاوز هذا الحدّ منهي عن التفكير فيه.

¹ مسلم: صحيح مسلم. كتاب القدر. باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستيعانة بالله وتقويض المقادير لله. (4/2052/ رقم: 2664).

² انظر: الفقي، إبراهيم: حياة بلا توتر. مصر: دار إبداع للنشر والتوزيع. 1430هـ-2009م. (ص 127-129).

وقد وضع الرسول صلى الله عليه وسلم علاجاً يُعطيُ مهمة الشيطان، وذلك بالتوقف عن التفكير في الماضي بالاستعانة والتوكل على الله تعالى والتسليم له، بأنَّ كلَّ ما يحدث للمؤمن هو خيرٌ، ليُقدِّم عندها العقل على تحويل الأفكار الماضية الهادمة لفكره وسلوكه؛ إلى أفكار بناءة، يتخذ منها طريقاً لمروره على الحاضر وإلى المستقبل.

الضابط الثالث: ترك التفكير فيما لا يتناسب والمجال المعرفي

إن ادّعاء العلم والفهم في كل مجال افتراء لا يصدق فيه أحد، وادّعاء ذلك له عواقب وخيمة على الفرد والمجتمع، لذلك نجد النبي صلى الله عليه وسلم يدعو إلى معرفة حدود العقل في المجالات المعرفية، ويظهر ذلك في نهْي النبي عليه السلام عن منازعة أهل الاختصاص.

ومثاله ما رواه عبادة بن الصامت، قال: «بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في المنشط والمكره، وأن لا ننزع الأمر أهله، وأن نقوم أو نقول بالحق حيثما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم»¹.

فقول الصحابي: (وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ)، يعني: "ألا ينزع أهل الاختصاص من هم دونهم في هذا الاختصاص"².

وهدف الرسول صلى الله عليه وسلم من إدراج هذا البند في المبايعة، أن يغرس في عقول أمته مبدأ احترام التخصص، فلكل مجال أهله الذين يفكرون في مسائله وتطويره وتقييمه، فحق لكل فرد أن يفكر فيما يُعرض أمامه من أفكار حسب مجاله المعرفي، دون أن يتجاوز في تفكيره إلى غيره، فلا

¹ البخاري: صحيح البخاري. كتاب الأحكام. باب: كَيْفَ يُبَايِعُ الْإِمَامُ النَّاسَ. (9/77/رقم: 7199).

² المقدم، محمد أحمد إسماعيل: سلسلة الإيمان والكفر (بتريقيم الشاملة آليا). (8/21). مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع

الشبكة الإسلامية <http://www.islamweb.net>

يفكر المهندس مثلاً في القضايا الطبية وكيفية معالجة المرضى، ويحاول ابتكار أفكار جديدة للعلاج، وهو ليس أهلاً لذلك.

و"المجتمع المتماسك القوي الآمن الذي يصبو نحو الأمثل والأفضل والتقدم والرفي هو الذي يحرص على التخصص، ووضع الرجل المناسب في المكان المناسب، أما إن قُلبت الموازين ...، فهذا ينذر بمجتمع ضعيف هالك"¹، تسود فيه الأفكار الرديئة كل موضع، وتكثر فيه العثرات وتكبر المشكلات، وسيشهد المجتمع تدنياً واضحاً في دقة الحلول والنتائج، بخلاف ما لو شُغل الفرد بالتفكير في مسائل تخصصه بشكل صحيح، فإننا نرى التميز والإبداع والإسهام بشكل كبير في نهضة المجتمع ورقية. ونرى النبي صلى الله عليه وسلم ينزل عند رأي أهل الخبرة والتخصص، ويتبع رأيهم الذي يرونه، وهو ما نلاحظه جلياً فيما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم مرَّ بقوم يلحقون -أي النخل-، فقال: «لو لم تفعلوا لصلح» قال: فخرج شيصاً²، فمر بهم فقال: «ما لنخلكم؟» قالوا: قلت كذا وكذا، قال: «أنتم أعلم بأمر دنياكم»³.

لقد أقر النبي صلى الله عليه وسلم في قوله "أنتم أعلم بأمر دنياكم" لرأي المتخصصين وأهل المعرفة والتجربة في ذلك، فأهل المدينة أهل زرع وحرث، في حين أن أهل مكة أهل تجارة، والنبي صلى الله عليه وسلم كان تاجراً وراعياً، وهو عليه السلام عندما أشار إليهم بترك تلقّحه لم يكن يقصد الأمر

¹ عبد الرزاق، نعيم أسعد: التخصص في ضوء السنة النبوية وأثره على المجتمع. مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية. الجامعة الإسلامية. غزة. فلسطين. مج22. ع2014/2م. (ص:113).

² الشيص: "التمر الذي لا يشتد نواه ويقوى، وقد لا يكون له نوى أصلاً". ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث. (518/2).

³ مسلم: صحيح مسلم. كتاب الفضائل. باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً، دون ما ذكره صلى الله عليه وسلم من معاش الدنيا، على سبيل الرأي. (4/1836/رقم:2363).

القطعي، كما جاء في رواية أخرى «فإني إنما ظننت ظناً، فلا تؤاخذوني بالظن»¹، فهو رأي يحق لأهل التخصص قبوله أو رفضه سواء في هذا الجانب أو في كل جوانب الحياة.

وقد ذم النبي صلى الله عليه وسلم مسلك التفكير غير المراعي للجانب المعرفي والذي يؤدي بدوره إلى فوضى علمية، واعتبرها من الأدلة الجلية على قرب الساعة، فيما رواه أبو هريرة عنه أنه قال: «إذا وُسِدَ الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة»².

"والأمر" هنا لفظ عام، يضم في معناه المجالات كافة، سواء ممن يُحتاج فيها إلى راحة عقل وعمق في التفكير؛ كمراكز اتخاذ القرار أو الابتكار، أو ممن يحتاج فيها إلى جهد عملي أعلى، فإذا قُلد الفرد في مجال غير مجاله، أو تخصص غير تخصصه، حينها غاب التكامل بين قدراته وبين ما يفكر في معالجة قضاياها، وهذا جدير بالإرهاق الفكري، والذي نتيجته ضحالة الأفكار من جهة، وتجميد طاقات عقلية أخرى كانت قادرة على الارتقاء بذلك المجال من جهة أخرى.

وقد راعى الصحابة هذا الضابط فيمن يولونه شؤونهم العامة، نرى ذلك فيما رواه عامر بن واثلة، أن نافع بن عبد الحارث، لقي عمر بعسفان، وكان عمر يستعمله على مكة، فقال: من استعملت على أهل الوادي، فقال: ابن أبزى، قال: ومن ابن أبزى؟ قال: مولى من موالينا، قال: فاستخلفت عليهم مولى؟ قال: إنه قارئ لكتاب الله عز وجل، وإنه عالم بالفرائض، قال عمر: أما إن نبيكم صلى الله عليه وسلم قد قال: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً، ويضع به آخرين»³.

¹ المرجع السابق. (4/1835/رقم: 2361).

² البخاري: صحيح البخاري. كتاب العلم. باب من سئل علماً وهو مشغول في حديثه فأتم الحديث ثم أجاب السائل. (1/21/رقم: 59).

³ مسلم: صحيح مسلم. كتاب صلاة المسافرين وقصرها. باب فضل من يقوم بالقرآن، ويعلمه، وفضل من تعلم حكمة من فقه، أو غيره فعمل بها وعلمها. (1/559/ح: 877).

فمن كمال تفكير الصحابي نافع بن عبد الحارث معرفته بأهلية ابن أبيزى وتقديمه على غيره من أهل مكة وإن كانوا أصحاب مكانة اجتماعية أعلى منه؛ وذلك لكونه أعلم بأحكام الشرع، وبالتالي أقدر على التفكير في ضوء الكتاب الحكيم، وعدم مخالفته، فيكون تفكيره متيناً وقراراته راشدة، ويحميه من الهوى والتردي في مهالكه.

ولابد من التنويه على أن عدم منازعة أهل الاختصاص لا يُلغي النّقد البناء والاستفسار والسؤال بغرض التعلم؛ فتقافة الفرد لا تنمو ولا تصحح ما فيها من أخطاء إلا بالسؤال والحوار، كما أن النّقد البناء من شأنه أن يمنع نفس المتخصص من السقوط في غيابة استبداد تخصصه.

الفصل الثاني

أصول التفكير المنهجي في ضوء السُّنة النَّبوية

مدخل الفصل

عُنيت السُّنة النَّبوية بإعمال التفكير وفق منهج له أصوله وقواعده، لكونها تمثل لبنة حماية العملية الفكرية من أن يشوبها خللٌ أو تشويهٌ أو انحراف عن المنهج الإسلامي وغاياته، من خلال إدراك العقل للمعارف والمواقف وحسن التعامل معها، فتفكير النبي صلى الله عليه وسلم في المعارف والوقائع والأسئلة التي وجهت إليه لم يكن عشوائياً أو عفويّاً، إنما بُنيَ على أصول محددة.

ويُقصد بلفظ "أصول": القواعد التي تضع العقل في الإطار الفكري الصحيح.

وهي تُعتبر من المصادر الأصلية التي تضبط العقل وتعطيه منهجية التفكير، فالعقل بحاجة إلى قواعد المنهجية حتى يؤدي دوره، فمتى كانت هذه الأصول ثابتة راسخة في العقل، كانت دافعة إياه إلى تعزيز عمله باستقامة ورشاد.

ولقد جاءت الأصول النبوية في ثلاثة جوانب: الأول: الأصول الفكرية، والثاني: الأصول العلمية، والثالث: الأصول العملية، وتمثل هذه الجوانب منظومة كلية متكاملة؛ إذا اختل أحدها انعكس أثره على عمل العقل، ثم على سلوك الفرد والمجتمع.

ولكي تتجلي لنا الأصول بكل جوانبها، ويتضح لنا الفرق بينها؛ فإنه لا بدّ من التعريف بكل نوع وبيان ما يندرج تحته من أصول فرعية، كل ذلك في ضوء النماذج النبوية، إضافة إلى الوقوف على حقيقة دور كل نوع في إنتاج أفكار منهجية أصيلة في إطار رؤية شرعية متكاملة.

المبحث الأول

الأصول الفكرية للتفكير المنهجي في السُّنة النبوية

من القضايا التي عُنِيَ القرآن الكريم بها، وضع منطلقات من المبادئ والمفاهيم التي تحتّ العقل المسلم على الانطلاق وفقها في التعامل الفكري مع الأحداث والمواقف، وهذا ما نجده في المنهج النبوي أيضاً، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يُضَمِّن أقواله وأفعاله منطلقات، يغرس من خلالها المبادئ، ويبني التصورات.

ولكي نستطيع إدراك التوجيهات النبوية بهذه المنطلقات؛ فإنه لابد لنا من التعريف بالأصول الفكرية، ثم ذكر أنواعها من النماذج النبوية؛ بهدف الوصول إلى دور كل أصل في تكوين التفكير المنهجي وآثار التفكير في ضوءها، كل ذلك في إطار الضوابط التي تضمن للعقل تحقيق أهدافه في العملية الفكرية.

المطلب الأول: مفهوم الأصول الفكرية

أولاً: معنى الفكر لغة

الفكر هو اسمٌ للتَّفَكُّر، وهو إعمال الخاطر في الشيء¹، ومالي فيه فِكْرٌ: أي حاجة²، وقال الفيومي: "الفِكْرُ بالكسر تردد القلب بالنظر والتدبر لطلب المعاني، ولي في الأمر فِكر، أي نظر وروية"³.

فمعنى الفكر يدور حول النظر القلبي في الشيء ابتغاء لمعرفة ما، فمعناه في اللغة موافق لأحد معاني التفكير.

¹ انظر: ابن منظور: لسان العرب. (65/5).

² انظر: القاموس المحيط (ص: 458).

³ الفيومي: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. (479/2).

ثانياً: معنى الفكر اصطلاحاً

اختلف العلماء في تعريف الفكر اصطلاحاً¹، باعتبار عدة:

أ. فمنهم من جعله مساوياً للتأمل والتدبر؛ كالغزالي، جاء في تعريفه تحت عنوان "بيان حقيقة الفكر وثمرته" قال: "اعلم أن معنى الفكر هو إحضار معرفتين في القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة"، ثم تابع وقال: "فإحضار المعرفتين السابقتين في القلب للتوصل به إلى المعرفة الثالثة يسمى تفكيراً واعتباراً وتذكراً ونظراً"².

فهذا التعريف يبين أن منبع الفكر عند الغزالي من القلب، وهدفه الوصول إلى معرفة ثالثة، والتي قد تكون أفكاراً أو أحاسيس أو خيالات، ولم يحدد الإمام الغزالي آليته وموضوعه.

ب. منهم من جعل للفكر معنيين؛ معنى خاصاً، ومعنى عاماً، فقد جاء في المعجم الفلسفي أنه: "إعمال العقل في الأشياء للوصول إلى معرفتها. ويطلق بالمعنى العام على كل ظاهرة من ظواهر الحياة العقلية"³.

فالمعجم في تعريفه قصر الفكر على أداء العقل في كل ما يقع في نطاق تصوره الذهني.

ج. ذهب آخرون إلى حصر الفكر بنتائج التفكير؛ فقد عرّفته الباحثة إسراء عطا خليل: بأنه "التحصيل النهائي لكل المعطيات⁴ التي يصلها العقل في معرفته للأشياء، وإظهار ما استطاع من إدراكها في مخزونه الفكري، من خلال طرائق التفكير، سواء المكتسب الناتج عن فهمه أو

¹ انظر: قراءة في مفهوم الفكر: إعداد مركز رؤيا للبحوث والدراسات. 2017/10/6: <http://ruyaa.cc/Page/1052>

² أبو حامد، محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: 505هـ): إحياء علوم الدين. بيروت: دار المعرفة. (425/4).

³ صليبا، جميل (ت: 1976م): المعجم الفلسفي. بيروت: الشركة العالمية للكتاب. 1994م. (154/2).

⁴ تقول الباحثة: "والمقصود بالمعطيات من قيم ومعارف وفقه، فالقيم والمعارف "علوم وخبرات مكتسبة"، والفقه تبرز فيه معطيات النشاط الفكري". انظر: خليل، إسراء عطا: الحصانة الفكرية في السنة النبوية دراسة موضوعية. (رسالة ماجستير). الجامعة الإسلامية. غزة. فلسطين. 1435هـ-2015م. (ص: 14-15).

المستقى من فهم غيره"¹، فالباحثة حصرت الفكر بنتائج عملية التفكير والقدرة على إظهارها وتوظيفها.

د. ومنهم من عرّفه باعتبار كونه عملية تبادلية؛ فعرفه صاحب الكليات: بأنه "الانتقال من المطالب إلى المبادئ ورجوعها من المبادئ إلى المطالب"².

بمعنى أن هناك مقدمات محصلة في العقل سابقاً، يتوصل من خلالها إلى نتائج، وأننا من خلال النظر في النتائج ككل يمكننا تكوين قوانين وقواعد للعقل يعتمد عليها في غير ذلك من المواقف، فيفهم من التعريف أن الفكر عملية تبادلية بين ما تم تحصيله في الماضي وما سيتم تحصيله مستقبلاً، لكنه لم يحدد موضوعه ولا آلية ذلك ولا الأداة المستخدمة لذلك.

هـ. ومنهم من عرّفه وفق جملة من المنطلقات التي يؤدي العقل من خلالها وظيفته؛ ويتمثل ذلك بما عرفه الجابري، بأنه: جملة من المبادئ والمفاهيم والتصورات والأفكار المكتسبة، التي تنتظم وتترسخ في الذهن ضمن ثوابت وحدود معينة، يفكر العقل ويفهم ويحكم ويعترض وفقها"³.

فالفكر عبارة عن بعض المفاهيم والمعرفة والخبرات التي يقوم العقل بتحويلها إلى ما له قيمة، أو العملية التي تُنقل بها الحقيقة إلى العقل من خلال الحواس المختلفة، أو بعض العمليات الذهنية والعقلية التي يقوم بها العقل البشري، فتجعله قادراً على فهم العالم الذي يعيش فيه ويتعامل معه ليصل إلى أهدافه.

¹ المرجع السابق.

² أبو البقاء، أيوب بن موسى الحسيني الحنفي (ت: 1094هـ): الكليات. تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري. بيروت: مؤسسة الرسالة. (ص: 67).

³ انظر: الجابري، محمد عابد الجابري: إشكاليات الفكر العربي المعاصر. ط2. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية. 1990م. (ص: 51-52).

ويعد تعريف الجابري من التعاريف الجامعة لمفهوم الفكر المراد في هذا المقام، والذي في ضوءه نستطيع القول إن الأصول الفكرية في ضوء السُّنة النبوية نقصد بها: بُنية من المنطلقات والأفكار والمفاهيم المكتسبة الراسخة في العقل، المؤطرة بإطار الهدي النبوي، يؤدي وظيفته وفقها.

المطلب الثاني: المنطلقات الفكرية للتفكير المنهجي

المنطلق الأول: تسليم الفكر للنص الشرعي، والتفكير المنهجي في ضوءه

ويُقصد بالنص الشرعي: الكلام الوارد في النص القرآني أو الحديث النبوي الثابت.

وإن التسليم للنص الشرعي مطلب ضروري لدوام إعمال العقل وفق الغاية التي وضع لأجلها؛ فصحة التفكير وسلامته منوط بسلامة المصدر، ومن أهم الأمور وأدقها في بناء التفكير وتوجيهه بمنهجية سليمة تحديد نصوص الوحي، التي هي ربانية المصدر، والاعتماد عليها عند أي عملية تفكير، فهي الأصل المركزي الذي يُعرف به التفكير السليم الصحيح من غيره، وعليه تقوم سائر الأصول الأخرى¹.

إن "العقل بحد ذاته محدود القدرات والطاقات، خاضع لكثير من موانع التفكير السليم؛ يحتاج إلى من يحدد له السبيل القويم، ويضع له معايير التعامل مع ما حوله"²، فلأجل نجاح أي منهجية يتبعها العقل في التفكير؛ لابد للمسلم من بناء تفكيره وفق منهجية الوحي المتكاملة، التي تقوم على توظيف العقل في مكانه الصحيح المحقق لعبودية الله.

¹ انظر: رابعة، محمد مجلي، والزيوت، عبد الله أحمد: منهج القرآن في التحصين الفكري. 2016م. (ص:16).

² مطالقة، أحلام، والشريفين، عماد: العلاقة بين العقل والوحي وانعكاساتها الفكرية والتربوية. مجلة المنارة. مج20. ع2/2014م. (ص:250).

لذلك حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على تعميق أصل التسليم للوحي في عقول أمتة؛ من خلال تأكيده صلى الله عليه وسلم على هذا الأصل وإشاعته، والاستدلال على عاقبة مخالفته، ومن خلال محاكمة تفكير الأفراد في ضوءها؛ وبيانها كآلاتي:

أولاً: إشاعة أصل التسليم والاستدلال على عاقبة مخالفته

ومثاله: ما حصل للسائل عن فرضية الحج في كل عام، فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج، فحجوا»، فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لو قلت: نعم لوجبت، ولما استطعتم"، ثم قال: «ذرّوني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه»¹.

فالرجل السائل لم يراعي أصل التسليم عند سؤاله وطلبه للعلم؛ لذا كان لابد للنبي صلى الله عليه وسلم من تأصيل فكرة التسليم للنص؛ وذلك بإتيان ما أمروا به والابتعاد عن ما نهوا عنه، وعدم الخوض فيما لم يبينه الشرع لاسيما في وقت التنزيل، وهذا متمثل في قوله عليه السلام: «إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه».

وجوهر هذا الأمر فكرياً أن الاستسلام لما قاله الله تعالى في القرآن أو على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم في كل موقف، يعني انطلاق التفكير وفق مبادئ الإسلام المتماسكة المتينة، لتصاغ بذلك غايات التفكير بما يحقق مقاصد الإسلام، فإذا استقامت غاية الفرد استقام فكره وسلوكه،

¹ سبق تخريجه (ص: 39).

واستقامة الفرد وصلاحه من صلاح الأمة وتمكينها وبقائها، وأما التكلف في التفكير فقد يجره إلى شبهة أو عداوة مع الآخرين.

ولذلك حرص النبي صلى الله عليه وسلم في حجة وداعه على التوصية بالالتزام بشرع الله؛ بقوله صلى الله عليه وسلم: «وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به، كتاب الله»¹.

فهو يؤكد على وجود منهج واحد يسير وفقه المسلمون جميعاً، لا أن يكون لكل مسلم منهج خاص به؛ فالمنهج الرباني مصدر المنهجية الصحيحة بكل جوانبها، شامل على المبادئ العامة والمعطيات العقلية الثابتة التي أراد الله عز وجل أن يقوم تفكير عباده عليها، فإذا ما أيقن العقل أن الله عز وجل وازع هذا المنهج لمصلحة العباد؛ تلقى هذا المنهج، وسعى إلى أن يكون تفكيره مرتبطاً به خاضعاً له، لا يخالف توجيهاته، ولا يتجاوز ضوابطه وحدوده.

وفي المقابل فإن ضعف أصل التسليم للنص الشرعي، أو عدم استحضار العقل له عند حكمه على المواقف؛ كل ذلك يستدعي الانحراف في التفكير، ويظهر ذلك واضحاً في حديث شفاعة أسامة ابن زيد رضي الله عنه للمرأة المخزومية التي سرقت².

فعدم استحضار الصحابي الجليل أسامة بن زيد لهذا الأصل أدى به إلى إعمال تفكيره بعيداً عن مقصد الشارع، وانتقاله إلى ما هو مرفوض شرعاً، بالامتناع عن تطبيق النص على المرأة، لا لاعتبار شرعي وإنما لمنزلتها بين قومها.

¹ مسلم: صحيح مسلم. كتاب الحج. باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم. (2/ 890/ رقم: 1218).

² سبق تخريجه (ص: 39).

وقد كان الصحابة يغضبون غضباً شديداً ممن يقدم أفكاره بعيداً عن أصل التلقي والانقياد لنصوص الوحي، فهذا سالم بن عبد الله، يروي عن عبد الله بن عمر قوله: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا تمنعوا نساءكم المساجد إذا استأذنكم إليها» قال: فقال بلال بن عبد الله: والله لنمنعهن، قال: فأقبل عليه عبد الله: فسبّه سباً سيئاً ما سمعته سبّه مثله قط وقال: "أخبرك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول: والله لنمنعهن"¹.

وتتبلور آثار التسليم للنص الشرعي على استقامة تفكير المسلم في المنهج النبوي في الآثار الآتية:

1. عمل العقل في الميدان الذي خُلق له

إن الله تعالى هو خالق العقل، وهو بيده مقاليد، وهو الذي وضع له ناموسه الذي يسير عليه، فكيف يتأتى خروج الإنسان عنه؟، ثم إن العقل البشري عاجزٌ عن اكتشاف كامل مكنوناته، لافتقاده ما يؤهله لذلك، فهل يعقل أن يكون مستقلاً في تفكيره في فهم حقيقة ما وراء هذا الكون؟، لذا جاءت النصوص الشرعية ولاسيما السُّنة النبوية مبيّنة لميدان تفكير المسلم بما يحفظ طاقة عقله، ويحقق له الوصول إلى نتائج فكرية حقيقية.

وهذا الميدان يتجلى من خلاله الحد الفاصل بين الفكر الإسلامي وغيره من المناهج الفكرية، والذي يتمثل بـ:

أ. ما يدركه العقل من عالم الشهادة والغيب

¹ مسلم: صحيح مسلم. كتاب الصلاة. باب خروج النساء إلى المساجد إذا لم يترتب عليه فتنة، وأنها لا تخرج مطيبة. (327/1).

أحاط الله عزّ وجلّ بكلّ شيءٍ علماً، فهو سبحانه شاهدٌ على عالم الغيب والشهادة كلّهُ، قال تعالى: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: 10]، أما عقل الإنسان فإن علمه محصورٌ بما آتاه الله تعالى، من علوم الشهادة أو الغيب، لذلك حرص النبيّ صلى الله عليه وسلم على توجيه أمتِهِ إلى التفكير فيما هو في دائرة عمل العقل، مع ضرورة إيمانه بما أمره الله عزّ وجلّ من علم الغيب والشهادة، سواء أدركه بتفكيره أم لا.

يظهر ذلك في حديث أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا، من خلق كذا، حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولْيُنْتَهَ»¹.

فالحديث يرسم المنهج الأمثل في صلة تفكير الفرد لعالمِي الغيب والشهادة؛ فصلة العقل مع الأمور الغيبية البحتة التي اختص الله بها؛ صلةً قوامها التسليم والإيمان على نور من نصوص الكتاب والسنة، وهذا بلا شك يجعله أبعد عن طريق التيه والضلال.

وينبّه الرسول صلى الله عليه وسلم على قصور العقل على تصور كنه الخالق، فيأمر المسلمين ممن تحيئه تلك الأفكار الشيطانية؛ فلينته عنها، فهو قادر على صدها، وتحويل تفكيره إلى عالم الشهادة؛ لتحريره من إसार الشك، ومن أي توجه لا ينتج شيء، ولحماية المسلم من أن يصل إلى مرحلة غرق التفكير في تلك الأفكار اللاواقعية بما يقعده عن السمو فيما يدركه تفكيره.

والنص والعقل في هذا الجانب -كغيره من الجوانب- يسيران جنباً إلى جنب في إقرار عبثية التفكير في الغيبيات؛ فالتوجيه النبوي بالتسليم ليس على حساب العقل، وإنما هو توجيه موافق للعقل الصحيح ذاته، فالعقل الواعي بقدراته، والمتفهم المحترم لها، يعي أن مساره لا بد أن يكون محكوماً في قدراته،

¹ سبق تخريجه (ص: 38).

ويكون على يقين مُبَيَّن أن البحث فيما وراء عالمه عبثي يتجاوز قدراته، فالعقل ميزان صحيح يوصل إلى الحق في هذا الجانب، ولكن الوحي يضبطه ليمنعه من التأرجح والوهم.

ب. تلقي الوحي وفهمه وتنزيله على الواقع

نظرًا لأهمية النص الإلهي في بنية التفكير الإسلامي؛ فإن هاجس هذا الفكر توجه نحو تفسير النص وبيان دلالاته ومقاصده وعمله، وحل مُشكله، الذي يُعدّ الأخير من أبرز المشاكل المعرفية والمنهجية التي أثارها الفكر الإسلامي واعتنى بها بشكل كبير وفي وقت مبكر.

ولمّا كان الحكم على الشيء فرعًا عن تصوره؛ فإن الحكم الصحيح على الشيء أو الموقف وفقًا للتصور الإسلامي هو الذي تكتسب فيه النصوص أحقيتها من التفكير والتحليل والفهم.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يُولي عناية بقضية التفكير بالنصوص لفهم دلالاتها، والتفاعل معها بما يرتبط بنصوص الوحي ذاتها، فيدور معها ولا يتجاوزها؛ مثال ذلك: ما رواه عبد الله، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: 82] شقّ ذلك على أصحاب رسول الله، وقالوا: أينما لم يلبس إيمانه بظلم؟.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنه ليس بذاك، ألا تسمع إلى قول لقمان لابنه: ﴿يَبْنَى لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: 13]»¹.

فسبب الإشكال الذي حصل عند الصحابة في فهم الآية، هو مجيء الظلم بصيغة العموم، فالصحابة رضي الله عنه حملوا الظلم على عمومه والمتبادر إلى الأفهام منه، وهو وضع الشيء في غير

¹ البخاري: صحيح البخاري. كتاب التفسير. باب {لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم} [لقمان: 13]. (6/ 115/ رقم: 4776).

موضعه، والمتمثل بمخالفة الشرع، فسألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فأعلمهم أن المراد من لفظ الظلم نجد معناه في ضوء آية أخرى، وهو الشرك بالله¹.

فلقد نبّه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أصل مهم عند التفكير في النصوص بغرض فهمها؛ وهو التفكير بنصوص الوحي في ضوء نصوص أخرى، "فما أجمل في موضع فُصل في موضع آخر، وما أبهم في مكان بُين في آخر، وما أطلق في سورة أو آية قُيد في أخرى، وما جاء عاما في سياق خُصص في سياق آخر، ولا بد من ضم الآيات والنصوص بعضها إلى بعض، حتى يتكامل الفهم، ويستبين المقصود من النص"²، فأراد في هذا الموقف كغيره من المواقف³ أن يكون لدى الصحابة ملكة تمكنهم من فهم النص الإلهي في ضوء الوحي ذاته، ليكون نبراسًا للعقل يهدي تفكيره إلى فهم صحيح وبالتالي أحكام صحيحة.

فالنبي صلى الله عليه وسلم يؤسس لنظرية بناء الأحكام الشرعية وفق جهد فكري مرتبط بنصوص الوحي، ويدور في فلك مقاصدها، بما لا يؤدي إلى مخالفتها أو تجاوزها، حتى لا يؤدي إلى تضيق الفهم ومناقضته لمقاصد الشارع التي تقوم على التيسير وعدم المشقة في التكليف.

2. حث العقل على البحث عن مرجعية النص وفهم مقصوده

¹ انظر: النووي: شرح النووي على مسلم. (2/ 143).

² القرضاوي، يوسف: كيف نتعامل مع القرآن العظيم. ط3. القاهرة: دار الشروق. 1421هـ-2000م. (ص:220).

³ من ذلك ما رواه ابن أبي مليكة، أن عائشة، زوج النبي صلى الله عليه وسلم: كانت لا تسمع شيئاً لا تعرفه، إلا راجعت فيه حتى تعرفه، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ حُوسِبَ عَذِبَ» قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ أَوَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: {فَسَوْفَ يَحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا} [الانشقاق: 8] قَالَتْ: فَقَالَ: "إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرَضُ، وَلَكِنْ: مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَهْلِكُ". البخاري: صحيح البخاري. كتاب العلم. باب من سمع شيئاً فلم يفهمه فراجع فيه حتى يعرفه. (1/32/103).

فالمنهجية واضحة عند أم المؤمنين رضي الله عنها، من فهم نص الوحي المبلغ به على لسان النبي صلى الله عليه وسلم في ضوء نصوص الوحي الأخرى، لذلك عقت على قول النبي صلى الله عليه وسلم متسائلة بقول الله تعالى.

يظهر أثر التسليم للنص الشرعي في هذا الجانب؛ فيما جاء عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أضحى أو فطر إلى المصلى، ثم انصرف، فوعظ الناس، وأمرهم بالصدقة...، ثم انصرف، فلما صار إلى منزله، جاءت زينب، امرأة ابن مسعود، تستأذن عليه، فقيل: يا رسول الله، هذه زينب، فقال: «أي الزيانب؟» فقيل: امرأة ابن مسعود، قال: «نعم، ائذنوا لها» فأذن لها، قالت: يا نبي الله، إنك أمرت اليوم بالصدقة، وكان عندي حلي لي، فأردت أن أتصدق به، فرغم ابن مسعود: أنه وولده أحق من تصدقت به عليهم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «صدق ابن مسعود، زوجك وولدك أحق من تصدقت به عليهم»¹.

يظهر في هذا الحديث الشريف أثر غراس النبي صلى الله عليه وسلم لمفاهيم الإسلام ومبادئه في عقول أمته، فها هي زينب لم توافق زوجها على ما قاله من حكم الصدقة عليه وأنه أولى من غيره؛ لكون مبدأ التسليم للنص الشرعي أهم وأعلى مكانة من رأي أقاربها ومصلحتهم، فدفعها ذلك للكف عن التصرف بالمال، واستحثها على التفكير في كيفية الوصول إلى الحكم بالدليل الصحيح، فسعت بنفسها للبحث عن الحكم والنظر إلى الدليل من قول الله أو ما يسنه الله على لسان رسوله، فحققت ما تريده من تفكيرها وفق ذاك المبدأ، ووصلت إلى حكم الشارع من لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم، فامتثلت محققة مقصد الشارع في النفقة على عائلتها.

يقول العجلان: "قاعدة التسليم تعزز في نفس المسلم ضرورة أن يطلب الدليل ويبحث عنه ويجتهد في فهم وجه دلالاته حتى يحقق مراد الشريعة منه، وإذا ضعف التسليم ضعف طلب المسلم للدليل، وخفيت عليه أكثر الأدلة، وجعل كثيراً من قطعياته بسبب هذا الإعراض"².

¹ البخاري: صحيح البخاري. كتاب الزكاة. باب الزكاة على الأقارب. (120/2/رقم: 1462).

² العجلان: فهد صالح: التسليم للنص الشرعي والمعارضات الفكرية المعاصرة. ط2. السعودية: مركز التأصيل للدراسات والبحوث. 2015م. (ص: 9-10).

وفي موقف آخر تراهم يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم إن كان كلامه وحياً أم شفاعةً، ومن ذلك ما رواه ابن عباس شاهد على ذلك؛ أن زوج بَرِيرَةَ كان عبداً يقال له مغيث، كأني أنظر إليه يطوف خلفها يبكي ودموعه تسيل على لحيته، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعباس: «يا عباس، ألا تعجب من حب مغيث بَرِيرَةَ، ومن بغض بَرِيرَةَ مُغِيثاً» فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لو راجعته» قالت: يا رسول الله تأمرني؟ قال: «إنما أنا أشفع» قالت: لا حاجة لي فيه¹.

فسؤال بَرِيرَةَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم بـ"تأمرني؟" يؤكد مبدأ تمييز الصحابة بين بشرية الرسول صلى الله عليه وسلم ونبوته، ومدى رسوخه في عقولهم، فكان غاية سؤالها هو الحصول على معرفة وإثبات، تُوجّه بناءً عليها عقلها نحو التفكير فيما ستقوم به، فإن أثبت لها أن الأمر من الله لم تتردد في التسليم لأمر الله، بل تجعل تفكيرها يدور في فلك تحقيق المصلحة المُقدّرة من الأمر، فلمّا أعلمها الرسول صلى الله عليه وسلم أنه مجرد وسيط خَيْرٍ بينهما؛ أكسب عقلها عنان تفكيرها ونتائجها، فكان قرارها مغايراً لما رغبه الرسول صلى الله عليه وسلم.

"مما سبق يتبين أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يُفرّقون بين ما هو تشريع في حقهم وما ليس بتشريع، أو بعبارة أخرى: ما يجب عليهم فيه الاتباع والافتداء، وما هم مخيرون فيه فيه، وكان صادراً على غير هذا المحمل في حقهم، وهذا يدل على أن ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم ليس على درجة واحدة من جهة التشريع"².

¹ البخاري: صحيح البخاري. كتاب الطلاق. باب شفاعته النبي صلى الله عليه وسلم في زوج بَرِيرَةَ. (48/7/رقم: 5283).
² حميدان، منتصر نافذ محمد: السنة بين التشريع ومنهجية التشريع. (رسالة ماجستير). جامعة النجاح الوطنية. نابلس. فلسطين. 2006م. (ص: 44).

ثانيا: وزن تفكير الفرد بميزان نصوص الشرع ومقاصدها العامة

لم يقف النبي صلى الله عليه وسلم عند حد إشاعة أصل تسليم الفكر لنصوص الشرع وضرورة التفكير في إطارها؛ بل وَزَنَ وقيّم تفكير المسلمين وفقّها، فمارس التأصيل تنظيراً وتطبيقاً، فمن كان تفكيره موزوناً ومضبوطاً وفق نصوص الوحي قبله وأثنى عليه، وما خالف ذلك أرشد فيه إلى الصواب ووجه إلى الطريق الصحيح.

وقد كانت توجيهاته صلى الله عليه وسلم في هذا الأمر واضحة صريحة، فأصل التسليم يكسب المسلم الثقة بمسار تفكيره، فيقدم على تقييم الأفكار بكل وضوح بناء على نصوص الوحي، ويكسبه وعياً لأي مفاهيم أو أهواء قد تمسه لتضله وتحرفه عن مراد الله وغاية وجوده على الأرض.

ومن الأمثلة الدالة على ذلك: ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه، جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم، فلما أخبروا كأنهم تقالُّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم، فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»¹.

ومع اهتمامه صلى الله عليه وسلم بتثبيت العبادة في نفوس المؤمنين؛ فقد حرص أن تكون من سماتها الاعتدال والوسطية، في سبيل تحقيق المنهج الإلهي الذي جعل هذه الأمة أمة وسطاً، والتي هي "حالة محمودة غالباً تقوم في العقل الإنساني السليم بالفطرة وتعصمه عن الميل إلى جانبي

¹ البخاري: صحيح البخاري. كتاب النكاح. باب الترغيب في النكاح. (2/7/رقم: 5063).

الإفراط والتفريط"¹، فكل جانب له حق على المسلم لا بد من أدائه، لذلك نرى النبي صلى الله عليه وسلم عندما سمع ما يفكرون به قد رفض تفكير هذه الفئة، لما في تفكيرهم من مخالفة النصوص القائمة على الوسطية والاعتدال.

فمن أجل توازن فكر المسلم ينبغي أن يكون المقصد الوسطي وغيره من مقاصد النصوص حاضرة عنده، يبني تفكيره عليها في تعامله مع نفسه ومع غيره، فهي عصمة للعقل وأمانة من الانحراف، فالرهط الثلاثة لم يستحضروا قول الله عز وجل الذي يقوله على لسان فئة من المؤمنين: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [القصص: 77]، ولا قوله عز وجل: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: 185]، فلو اعتمدوا في تفكيرهم على النصوص الشرعية وفكروا في ضوء مقاصدها؛ لوازنوا فكرهم وغاياتهم بين مطالب الدنيا ومطالب الآخرة، فكما يفكر العقل في الآخرة ويجعلها محور تفكيره لا ينسى أن يفكر بشيء من الدنيا ويتخذها وسيلة للآخرة.

المنطلق الثاني: الحرية الفكرية، والتفكير المنهجي في ضوءها

أولاً: مفهوم الحرية الفكرية

يُقصد بالحرية الفكرية: "أن يكون للإنسان الحق في أن يفكر تفكيراً مستقلاً في جميع ما يكتنفه من شؤون، وما يقع تحت إدراكه من ظواهر، وأن يأخذ بما يهديه إليه فهمه، ويعبر عنه بمختلف وسائل التعبير"².

¹ الفرفور، محمد عبد اللطيف: الوسطية في الإسلام. ط1. بيروت: دار النفائس. 1993م. (ص:27).

² وافي، علي عبد الواحد: حقوق الإنسان في الإسلام. ط5. القاهرة: دار نهضة مصر. 1398هـ-1979م. (ص:229).

ولقد كان من أهداف دعوة النبي صلى الله عليه وسلم تحرير العقل من القيود التي تعيق عمله، وتصده عن الطريق المستقيم، لذلك دعا النبي صلى الله عليه وسلم إلى إزالة قيود العبودية لغير الله، وإعدادًا بالأجر من الله لمن كان سببًا في صناعة هذه الحرية بقوله عليه السلام: «من أعتق رقبة مسلمة؛ أعتق الله بكل عضوٍ منه عضوًا من النار»¹، فالحرية من العبودية المادية هي بداية الطريق لإيقاظ العقل وتحريره معنويًا، فلا حرية فكرية في العبودية المادية، فعقله مَوْجَّهٌ من سيده، يُفكر وفق مصلحته وأهوائه، لأن طاعة العبد لسيده واجبة الطاعة في الرضا والكره، في الصواب والخطأ، في الطاعة والمعصية، وله مسارٌ محدّدٌ، يفضي إلى نتائج محددة، لا غاية يقصد، ولا قواعد يتبع، حينها يحول دون وصول العقل بتفكيره إلى نتائج يرتضيها ومطابقة للحقيقة المرادة.

وقد ذمّ الرسول صلى الله عليه وسلم من كان سببًا في إلغاء هذه الحرية، وجعل خصيمه الله تعالى يوم القيامة²، لكونها دعامة لجميع ما سنه الإسلام من عقائد، وإحدى مقومات الشخصية وانخراطها في المجتمع، وأساس أي مجتمع إنساني سليم³.

ومن الأمثلة على إقرار النبي صلى الله عليه وسلم للحرية الفكرية ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: "بينما نحن جلوس مع النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد، دخل رجل على جمل، فأناخه في المسجد ثم عقله، ثم قال لهم: أيكم محمد؟ والنبي صلى الله عليه وسلم متكئ بين ظهرانيهم، فقلنا: هذا الرجل الأبيض المتكئ. فقال له الرجل: يا ابن عبد المطلب، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «قد أجبتك». فقال الرجل للنبي صلى الله عليه وسلم: إني سائلك فمشدد عليك في المسألة،

¹ البخاري: صحيح البخاري. كتاب كفارات الأيمان. باب قول الله تعالى: {أو تحرير رقبة} [المائدة: 89] وأي الرقاب أركى. (145/8/رقم: 6715).

² فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: " قَالَ اللَّهُ: ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ أُعْطِيَ بِي ثُمَّ عَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِ أَجْرَهُ ". البخاري: صحيح البخاري. كتاب البيوع. باب إثم من باع حرا (83/3/رقم: 2227).

³ انظر عثمان، عبد الكريم: معالم الثقافة الإسلامية. ط6. بيروت: مؤسسة الرسالة. (ص: 58).

فلا تَجِدْ عَلَيَّ في نفسك؟¹، فقال: «سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ» فقال: أسألك بربك ورب من قبلك، الله أرسلك إلى الناس كلهم؟ فقال: «اللهم نعم». قال: أنشدك بالله، الله أمرك أن نصلي الصلوات الخمس في اليوم واللييلة؟ قال: «اللهم نعم» ... فقال الرجل: آمنت بما جئت به².

فقوله صلى الله عليه وسلم للسائل "سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ"؛ دعوة منه للسائل أن يعرض كل الأفكار التي جالت في فكره، وهي دعوة محفزة له للسؤال المفتوح عن أي شيء؛ لعلمه صلى الله عليه وسلم أن إعمال العقل وفق منهج صحيح يبدأ من إفساح المجال له بأن يُفكر ويستفسر ويعبر عن ما يجول في فكره وأشكال عليه من أفكار، فكانت النتيجة أن عاد السائل بعد رحلة التفكير هذه بالإيمان والاستقامة عن رضا وقناعة، وعلى الرغم مما في قوله "مشدد عليك" من بعض الجفاء؛ إلا أنه عليه السلام أفسح له المجال لسماع ما يجول في فكره من تساؤلات في جو من الإنصات والتقدير.

ثانيا: التفكير المنهجي في ضوء الحرية الفكرية

تعد الحرية الفكرية حجر الأساس لإقرار أصول فكرية أخرى تنبثق منها ولا تقوم إلا بها، تأسس الخطاب النبوي عليها؛ باعتبارها تجسيدا حقيقيا لأصل الحرية الفكرية، تقيها من الزوال أو الضياع، عرضها رسول صلى الله عليه وسلم في مواقف كثيرة، نجد أنها تعود إلى أصليين اثنين؛ هما: الاستقلال الفكري، والتعددية الفكرية، وبيانها كالآتي:

1. الاستقلال الفكري وأثره على التفكير المنهجي

¹ قوله: "إني سألتك فمشدد عليك": أي سألتك في لهجة شديدة، وقوله: "فلا تَجِدْ عَلَيَّ" أي فلا تغضب علي في نفسك فإني لم أقصد الإساءة إليك. انظر: قاسم، حمزة محمد: منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري. دمشق: دار البيان. مكتبة المؤيد: الطائف. 1410هـ-1990م. (161/1).

² البخاري: صحيح البخاري. كتاب العلم. باب ما جاء في العلم. وقوله تعالى: {وقل رب زدني علما} [طه: 114]. (23/1/رقم: 63).

يُقصد بالاستقلال الفكري: قدرة العقل على التفكير ذاتيًا مع الالتزام بمعايير العقل، أي التفكير في القضايا والمواقف باستخدام تفكيرنا نحن وليس من خلال وجهات نظر الآخرين¹.

فمن أصول بناء الفكر وضمان حريته أن يكون العقل مستقلاً؛ فلا يُسلم المسلم هذا الكنز إلى غيره، لِيُسَيِّره كما يشاء ويذهب حيث يريد، فأعارة عقله يعني الموافقة المطلقة للمقابل، وترك التفكير والنظر والتأمل فيما يفعل ويقول، وهذا قمة تعطيل العقل والتفكير بحرية، وهي المدخل الذي يدخل معها أهل البدع إلى اتباعهم².

وقد اهتم القرآن الكريم والسنة النبوية باستقلال العقل في تفكيره، وخروجه من تبعية التقليد الفكري والسلوكي، الأمر الذي من شأنه أن يسهم في ضبط أداء تفكير المسلم بما يحقق رضا الله، ومن الأمثلة التي تدل على غرس الرسول صلى الله عليه وسلم لأصل الاستقلال الفكري في العقول:

المثال الأول: استقلال التفكير عن عادات الجاهلية

من إنجازات دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم الثورة الفكرية على عادات الجاهلية الفاسدة، بهدف استقلال العقل عن كل ما يستعبده من مفاهيم جاهلية، لغاية تهيئته لاستيعاب المفاهيم الإسلامية، ثم الانطلاق منها في تقييمه وحكمه على المواقف.

¹ انظر: الشنار، وهاشم: التفكير العلمي وتنمية البشر. (ص:96).

² انظر: الهميلي، جمال يوسف: صناعة الفكر. مكتبة الملك فهد الوطنية. 2016م. (ص:29).

وهذا ما نجده في قوله صلى الله عليه وسلم لأبي ذر عندما ساءب رجلاً فعيّره بأمه: «يا أبا ذر أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية، إخوانكم خولُكم¹، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم»².

ونلاحظ هنا أن تفكير أبي ذر رضي الله عنه كانت فيه بقايا من آفة جاهلية، فعندما ضَعُفَ أصل الاستقلالية عن أحكام الجاهلية؛ ضَعُفَ التفكير المنهجي، لتتسلل الآراء الجاهلية إلى العقل دون تفكير ووعي في مآلات تأثيرها على الأقوال والسلوكيات، فجاءت النتيجة على حساب المبادئ والقيم الإسلامية.

لذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم حازماً في صد موجة التأثير تلك، فهو الذي اعتبر أن كل شيء من أمر الجاهلية هو تحت قدمه³، ومنظماً موجهاً لتفكير أبي ذر نحو مسلك الاستقلالية الفكرية، ليكسب القدرة على تكييف سلوكه وتصرفاته، فالاستقلال في التفكير من الضرورة أن يتبعه الاستقلال بشتى مجالاته ومنه الأخلاقي والتربوي.

المثال الثاني: الاستقلال الفكري عن الاتجاهات القومية العصبية

ويُقصد بالاتجاه القومي⁴ العنصري: مسار يوجه العملية الفكرية ويُسيّرُها وفق مصلحة فرد أو جماعة، إما لمكانتها البرجوازية، أو لاشتراك الفرد المفكر معها في سمات عرقية وتاريخية وثقافية وغيرها.

¹ أي خدمكم أو عبيدكم، وسموا بذلك لأنهم يتحولون الأمور، أي يصلحونها. انظر: العيني، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى الغيتابي الحنفى (ت: 855هـ): عمدة القاري شرح صحيح البخاري. بيروت: دار إحياء التراث العربي. (206/1).

² البخاري: صحيح البخاري. كتاب الإيمان. باب: المعاصي من أمر الجاهلية، ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك (15/1/رقم: 30).
³ وهو ما جاء في خطبة الوداع بقوله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمِي مَوْضُوعٌ» مسلم: صحيح مسلم. كتاب الحج. باب حجة النبي. (889/2/رقم: 1218).

⁴ والقومية: "مجموعة من الروابط الثقافية الناجمة عن تعايش مجموعة بشرية في مكان واحد، ولها تاريخ واحد، ومصالح مشتركة". خلف الله، محمد أحمد: التكوين التاريخي لمفاهيم الأمة، القومية، الوطنية، الدولة والعلاقة فيما بينها. ط2. بحوث ومناقشات الندوة الفكرية "القومية العربية والإسلام" التي نظمها مركز الوحدة المربية - بيروت. 1982م. (ص: 20).

ولقد كانت القومية العصبية من المعايير التي تبنتها الأقوام الجاهلية في مناهجها الفكرية والتربوية وغيرها، فجاء الإسلام ليزيح تلك المعايير، ويُحلَّ محلَّ القومية العصبية التي حكمت تفكير الناس في كثير من المواقف؛ الانتماء للفكرة الإسلامية والاحتكام لتعاليم الإسلام السامية.

إن الإسلام لا يرفض الانتماء القومي من حيث كونه انتماءً طبيعيًا ورابطة قري و نسب وعواطف مستقيمة، ولكن عندما يتعدى ذلك ليكون مبدءاً يحرك فكر الإنسان ويحدد توجهاته ويتحكم بعواطفه، عند هذا يعلن الإسلام معارضته الشديدة لهذه الروابط ويعلن الحرب ضدها¹.

نجد هذا واضحاً جلياً فيما روته عائشة رضي الله عنها؛ أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: ومن يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد، حب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه أسامة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنتشفع في حد من حدود الله». ثم قام فاختطب، ثم قال: «إنما أهلك الذين قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وإيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»².

جاء تفكير النبي صلى الله عليه وسلم مستقلاً عن أي مؤثر، متخطياً تبعية الفكر لجماعة محددة، لذلك جاء حكمه متجاوزاً مع الرؤية الشمولية للنصوص القائمة على تحقيق العدالة الاجتماعية، وأن الناس جميعاً متساوون في حمل مسؤولية أخطائهم، واعتبر هذا النهج في التفكير طريقاً لتجنب مصير الأمم السابقة، ومنقذاً للمجتمع من الفساد، ورافعاً لدرجة الأمن والاستقرار فيه.

¹ انظر: أبو علي، عبد الحميد: الحدود الفاصلة بين العروبة والإسلام. مجلة الوعي - لبنان: ع34. السنة الثالثة. 1410هـ - 1990م. نقلاً عن مجلة العالم: الصادرة في لندن باللغة العربية، نشرت في عددها رقم 309. 1410هـ - 1990م.

<http://www.al-waie.org/archives/article/11565>

² سبق تخريجه (ص:40).

وعلى النقيض من ذلك التفكير القائم على التبعية للقومية، الذي وقع فيه الصحابي زيد رضي الله عنه، فقد ظنّ أنه يمكن أن يجعل للمرأة التي سرقت شفاعاة خاصة عند النبي صلى الله عليه وسلم لأنها من أشرف القوم، فأقام تفكيره مخالفاً الرؤية الشمولية التي قامت عليها النصوص، فحصر دون إدراك للمآلات تطبيق النص في حدود أفراد أو جماعات، مما يفرغ النصوص من مفهومها الشمولي، فتختفي العدالة، وينتشر الفساد، فتؤول الحال إلى ما آل إليه حال الأمم السابقة ممن أخضعوا تفكيرهم وأحكام عقولهم للتبعية القومية والسلطوية، فكان الهلاك مصيرهم.

إن استناد المفكر المسلم على الانتماء والتبعية القبلية أو الحزبية أو لجماعة وسلطة ما، لا يساعده أن يكون موضوعياً في تفكيره وإصداره للأحكام، فيفقد حياده وإخلاصه للحقيقة، ويعرض عقله إلى نوع من التشويه¹، ويفرض على الفرد أن يفكر وفق سلطتها ومصالحها، في حين أن استقلال تفكير المسلم ضرورة لإعطاء العقل الحرية في التفكير بما يحقق مقصد الشارع.

ونجد هذا المعنى حاضراً فيما رواه جابر رضي الله عنه، يقول: غزونا مع النبي صلى الله عليه وسلم، ... وكان من المهاجرين رجل لعاب، فكسع² أنصاريًا، فغضب الأنصاري غضباً شديداً حتى تداعوا، وقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «ما بال دعوى أهل الجاهلية؟» ثم قال: «ما شأنهم»، فأخبر بكسعة المهاجري الأنصاري، قال: فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «دعوها فإنها خبيثة»³.

¹ بكار: تكوين المفكر. (ص:26).

² الكسع: "هُوَ ضَرْبُ الْأَدْبَارِ". الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت: 538هـ): الفائق في غريب الحديث. تحقيق: علي محمد البجاوي - محمد أبو الفضل إبراهيم. ط2. دار المعرفة - لبنان. (184/1)

³ انظر: البخاري: صحيح البخاري. كتاب المناقب. باب ما ينهى من دعوة الجاهلية. (183/4).

فالحادثة تخبرنا كيف قلبت القومية الأفكار والرؤى عند جماعة المسلمين، فما حصل هو تنحية النصوص القائمة على ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: 10]، ﴿فَأَصْبَحَتْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: 103]، وإغفال العقل لمبدأ التآخي الذي سعى النبي صلى الله عليه وسلم لتحقيقه بداية وصوله المدينة، مع فسح الطريق لفكرة القومية العصبية الذي كان متجذراً في البيئة الجاهلية، وهو ما عبر عنه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: "ما بال دعوى أهل الجاهلية؟".

هذا نتاج القومية في كل زمن، فوضى فكرية واجتماعية، تتمثل في الخروج عن النصوص الشرعية، والتفرق والفتنة، فهي في مبناها ومعناها ومآلاتها خطر على الإطار الفكري الصحيح الملتف حول المبادئ الإسلامية.

المثال الثالث: تأصيل الوعي الفكري ببيان مفسد التبعية الفكرية للأمم الأخرى

جاء البيان النبوي بالاستقلال عن الأمم الأخرى في مناسبات عديدة؛ ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: "خالفوا اليهود"، "خالفوا المشركين"¹؛ حرية العقل البشري من سيطرة التبعية العمياء، وتربيته على حرية الفكر واستقلال الإرادة؛ اكتمال للعقل واستقامة لتفكيره، واكتمال لشخصية المسلم، لهذا نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن التقليد الأعمى؛ لأنه يميئ الفكر والنظر، ويوجب جمودهما وركودهما، ولا يميز بين الحق والباطل، ولا بين الصواب والخطأ².

¹ مثل قوله عليه الصلاة والسلام: "خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ: وَقَرُّوا اللَّحَى، وَأَخْفُوا الشَّوَارِبَ". البخاري: صحيح البخاري. كتاب اللباس. باب تقليم الأظافر. (160/7/رقم: 5892). وقال أيضاً: «إِنَّ الْيَهُودَ، وَالنَّصَارَى لَا يَصْبُغُونَ، فَخَالِفُوهُمْ». البخاري: صحيح البخاري. كتاب أحاديث الأنبياء. باب ما ذكر عن بني إسرائيل. (170/4/رقم: 3462).

² انظر: أبو يحيى، محمد حسن: التجديد في الفكر الإسلامي: مفهومه، أهميته، ضوابطه. عمان: دار يافا العلمية للنشر. 2011م. (ص: 41).

ولقد بيّن لهم بوضوح خطورة اتباع سبيل الأمم الأخرى وآثاره المُدميّة على الفكر والسلوك؛ وتمثّل ذلك بما رواه أبو سعيد رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه قال: «لنتبعن سنن من قبلكم شبرًا بشبر، وذراعا بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب¹ لسلكتموه»، قلنا يا رسول الله: اليهود، والنصارى قال: «فمن»².

وقصد الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله "لنتبعن": أي تقليد الأمم الأخرى بمنطلقاتها وأساليب حياتها، "حتى لو سلكوا جحر ضب"، وهو كناية عن شدة ضيقه ورداءته، فإنهم لاقتنائهم آثارهم واتباعهم طرائقهم لو دخلوا في مثل هذا الضيق الرديء لوافقوهم³، ولو أدى ذلك إلى مخالفة المسلم عقيدته وعقله، ومهما أدى ذلك إلى التكلف والتعسف في تأويل النصوص في سبيل موافقة المتبوع ونصرته.

لقد أراد النبي صلى الله عليه وسلم من قوله هذا أن يُوجد في عقول أمته تصورًا لمرحلة مذمومة قد يشهدها؛ يقوم أصحابها بتحجيد منهج الله واتباع ما يفقدون الحرية الفكرية، وهي مرحلة مغايرة ومخالفة لتلك التي تأسسوا عليها من حرية التفكير، وما يقتضيها من استقلال، كل ذلك ليدفعهم إلى التفكير والمقارنة بين آثار المرحلة التي يعيشونها وآثار مرحلة قادمة، ليدرسوها ويحاولوا تجنب أسبابها.

وفي بيان حال المسلمين اليوم وتبعيتهم للآخرين يقول القرضاوي: "إنّ طاقتنا العقلية معطّلة، لأنّنا نقلّد، ولا نجتهد، نحكي ولا نبدع، ننقل ولا نبتكر، نحفظ ولا نفكر، أي نستخدم تفكير غيرنا، ولا نفكر

¹ الضَّب: "حيوان من جنس الزواحف، من رتبة العضاء، غليظ الجسم خشنه، وله ذنب عريض حرش أعقد، يكثر في صحارى الأقطار العربية". مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط. (532/1).

² البخاري: صحيح البخاري. كتاب أحاديث الأنبياء. باب ما ذكر عن بني إسرائيل. (3456/169/4).

³ انظر: العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري. (44/16).

نحن لأنفسنا"¹، فالحديث فيه ذمٌّ لأولئك الذين يسلكون مسالك منحرفة وهم يقولون: إنا وجدنا الغرب كذلك يفعلون، دون وعي ولا تقدير لعواقب تقليدهم.

ولا يفوت الباحثة التنويه أننا لا نمنع من اقتباس الأمور الدنيوية من اكتشافات علمية وخبرات إدارية وغيرها على ألا تتعارض مع مصالح المسلمين، بالرغم من أننا في الزمن الأول نحن من كنا نتصدر في الخبرات والاكتشافات.

تلك هي آثار التبعية المذمومة، فقدان العقل لمنهجيته القائمة على عدم قبول أي فكرة بلا دليل، والتعصب لها، فتت عزل العقول وتتوقف عن التفكير، وان أُعملت فإنها تكتسب منهجية عملها من المتبوع، فلا قواعد محددة ولا نتائج معينة يضعها العقل بنفسه، وإنما يكون كل ذلك مرسومًا وموضوعًا من قبل المتبوع.

2. التعددية الفكرية وأثرها على التفكير المنهجي

يُقصد بالتعددية الفكرية: "تفاوت الناس في أفكارهم ووجهات نظرهم حول القضايا المختلفة"².

وقد أقرت السُّنة النبوية تعددية التفكير متى بُنيت على أصول صحيحة؛ فجعلت للمجتهد المصيب أجرين، وللمخطئ أجرًا³، ففلسفة الاجتهاد في الشريعة الإسلامية تُعبر عن مكونات التنوع والتعدد الرشيد في الرأي والموقف، وإذا كان ذلك ممكنًا في فروع الشرع؛ فمن باب أولى أن يكون ممكنًا في

¹ القرضاوي، يوسف: أين الخلل؟، ط1. القاهرة: دار الصحوة. 1406هـ-1985م. (ص:10).

² المزيني، خالد بن عبد الله: مفهوم التعددية الفكرية تقسيما وتأصيلا على ضوء السياسة الشرعية. مجلة التأصيل للدراسات الفكرية المعاصرة. مركز التأصيل للدراسات والبحوث. ع2/2010م. (ص:36).

³ قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أخطأَ فَلَهُ أَجْرٌ». سبق تخريجه (ص:18)

المسائل المرتبطة بالحياة العامة، فالإقرار بالاجتهاد هو إقرار بالتعددية على مستوى الرؤية والمنهج، وهذا من عظمة الإسلام وسرّ قوته وخلوده وشموليته¹.

وحين نحاول تأصيل هذا المفهوم من السُنّة النبوية، نجد جملة من الأبعاد الفكرية المنهجية التي أراد النبي صلى الله عليه وسلم تحقيقها من خلال خلق بيئة قائمة على التعددية فيما دون الثوابت الدينية، وذلك من خلال ترسيخ مبدأ الشورى بين المفكرين، وإشاعة فكرة الحوار بينهم، وبيانها كالآتي:

أولاً: ترسيخ مبدأ الشورى بين المفكرين على مختلف اتجاهاتهم

ومن ذلك ما رواه ابن عباس رضي الله عنه يقول: حدثني ابن عمر: ... لما أُسروا الأسارى يوم بدر، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر، وعمر: «ما ترون في هؤلاء الأسارى؟» فقال أبو بكر: يا نبي الله، هم بنو العم والعشيرة، أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار، فعسى الله أن يهديهم للإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما ترى يا ابن الخطاب؟» قلت: لا والله يا رسول الله، ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكني أرى أن تُمَكِّنَّا فنضرب أعناقهم، فتمكن علياً من عقيل فيضرب عنقه، وتُمكنني من فلان نسيبا لعمر، فأضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها، فهوي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر، ولم يهَوَ ما قلت، فلما كان من الغد جئت، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر قاعدين يبكيان، قلت: يا رسول الله، أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أبكي للذي عرض علي أصحابك من أخذهم الفداء، لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة» شجرة قريبة من نبي الله صلى الله عليه وسلم وأنزل الله عز وجل:

¹ انظر: الميلاد، زكي: الفكر الإسلامي قراءات ومراجعات. ط1. بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر. 2012م. (ص: 37-38).

﴿مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُخْرَجَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأنفال: 67]، إلى قوله:

﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ [الأنفال: 69]¹.

فمن هديه صلى الله عليه وسلم تدريب الصحابة على إبداء آرائهم بحرية من خلال مشاركتهم الرأي في مسائل ومواقف تخلو من نص صريح فيها، وقبوله وإن كان مخالفاً لرأيه؛ ما دام أن الرأي قائم على ضوابط علمية منهجية، تدريباً لهم على التفكير فيما يكتنفهم من مشكلات خاصة أو عامة.

ويظهر هذا جلياً في ما حصل من اجتهاد وفق مبدأ الشورى في مسألة بدر، فقد استشار الرسول صلى الله عليه وسلم صاحبيه أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، ثم أخذ بما أذاه إليه فكره موافقاً رأي أبا بكر رضي الله عنه بأخذ الفدية؛ انطلاقاً من مبدأ الرحمة، وتأليفاً لقلوب الأسرى.

فبالرغم من سماع الرسول صلى الله عليه وسلم ابتداءً رأي أبي بكر الموافق لما في نفسه؛ إلا أنه استشار عمر رضي الله عنه انطلاقاً من مبدأ الحرية الفكرية، وفتح المجال لعقله للتفكير في المسألة بقوله: «مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟»، فأبدى عمر رأيه المنطلق من مبدأ الإتيان في الأرض.

فالتعددية الفكرية غاية في الأهمية، ولها ما يبررها من الناحية الفكرية، فالرسول صلى الله عليه وسلم على علم بأن تفاوت العقول والاختلاف في طرق التفكير يستدعي فكرياً هذا الاختلاف، فمجرد امتلاك الكفاءة العقلية العالية لا يكفي لإنتاج أفكار سليمة صحيحة، أو الحكم على المواقف بشكل صحيح، إن كانت الحرية الفكرية غائبة عن الواقع، والتي "هي أم التعددية، فإذا لم تُعد هناك حرية

¹ مسلم: صحيح مسلم. كتاب الجهاد والسير. باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم. (3/ 1385/ رقم: 1763)

فليس هناك تعددية"¹، "وعلى هذا الأساس فإن الشورى تصبح ترجمة عملية لحرية التفكير، وتصبح خادمة لها، ومعرزة لممارستها وضامنة لاستمرارها واشتداد عودها"².

لذلك فإننا نجد أن البعد عن التعصب والإرهاب الفكري، باستشارة الرسول صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه وفتح المجال للتعبير عن أفكاره، أتاح لعقله التفكير بعقلانية بعيداً عن محاكاة غيره، والوصول إلى حل أنفع للقضية المعروضة للتفكير، بتقدير صحيح، ومراعاة للواقع وللآلات، وقد أثبت الوحي صحة ما وصل إليه تفكيره.

ثانياً: إشاعة فكرة الحوار بين المفكرين

تقوم فكرة الحوار على ركيزة وجود آراء متباينة بين أطراف الحوار، يحاول كل طرف فهم وجهة نظر الآخر أو التأثير فيه، "ومن هنا يمكن القول إن الحوار هو نتيجة طبيعية للتعدد، فلولا التعدد والاختلاف لما كان هناك حوار أصلاً"³.

وإن التعدد في وجهات النظر أمر فطري وظاهرة صحية تثري الأمة بالآراء الناضجة، وإذا ما وظف التوظيف الصحيح بحضور الحوار الجاد بين الأطراف المختلفة فإنه وسيلة متميزة لتقدير الأمور من زوايا وأبعاد متعددة⁴.

وتمضي السُّنة النبوية في تأصيلها لفكرة إشاعة الحوار، وبيان دورها في صناعة التفكير المنهجي، ومن ذلك: ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: «يا أبا هريرة» وأعطاني نعليه، قال: «أذهب بنعلي هاتين، فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله

¹ الفقيه، شير: مفاهيم الفكر السياسي في الإسلام. ط1. بيروت: دار البحار. 2009م. (ص:223).

² الريسوني، أحمد عبد السلام: الشورى في معركة البناء. ط1. الأردن: دار الرازي للنشر والتوزيع. 2007م، (ص:43).

³ الشهري، معد صالح: موقف المفكرين المسلمين المعاصرين من التعددية السياسية. الأردن: دار المعتر للنشر والتوزيع. 2017م. (ص:187).

⁴ انظر: الصويان، أحمد بن عبد الرحمن: الحوار وأصوله المنهجية وآدابه السلوكية. ط1. الرياض: دار الوطن. 1413هـ. (ص:33).

إلا الله مستيقناً بها قلبه، فبشره بالجنة»، فكان أول من لقيت عمر، فقال: ما هاتان النعلان يا أبا هريرة؟ فقلت: هاتان نعلان رسول الله صلى الله عليه وسلم، بعثني بهما من لقيت يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه، بشرته بالجنة، فضرب عمر بيده بين ثديي فخررت لاستي¹، فقال: ارجع يا أبا هريرة، فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأجهشت² بكاء...، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا عمر، ما حملك على ما فعلت؟» قال: يا رسول الله، بأبي أنت، وأمي، أبعثت أبا هريرة بنعليك، من لقي يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه بشره بالجنة؟ قال: «نعم»، قال: فلا تفعل، فإنني أخشى أن يتكل الناس عليها، فخلّهم يعملون، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فخلّهم»³.

والحديث يُظهر لنا الحوار الذي جرى بين الرسول صلى الله عليه وسلم وعمر رضي الله عنه في ظل مفهوم التعددية، بسماع الرسول صلى الله عليه وسلم باهتمام وجهة نظر عمر رضي الله عنه والمخالفة لرأيه.

فلمعرفة عمر رضي الله عنه بما يتمتع به الرسول صلى الله عليه وسلم من عقلية منفتحة متقبلة للأفكار المخالفة، اتخذ من الحوار الفكري المنضبط بالآداب التي تعلموها من مدرسة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيلة لمناقشة ما توجه إليه، وعرض رأيه المغاير، والذي كان ضابطه وموجهه إلى مقصده هو تأكيد حق الآخر في الاختلاف الفكري، محاولاً إثراء القضية وإضافة رؤية أصوب للموقف.

¹ مقصوده أنه سقط على الأرض جالساً من شدة الضربة، والاسم هو اسم من أسماء الدبر، وقد يطلق على العجز كما يطلق على حلقة الدبر. انظر: لاشين: فتح المنعم شرح صحيح مسلم. (119/1).

² قال الأموي: «أجهش إذا تهياً للبكاء». ابن منظور: لسان العرب. (276/6).

³ انظر: مسلم: صحيح مسلم. كتاب الإيمان. باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وجرم على النار (1/59/رقم: 31).

فلولا البيئة التعددية لما انتهج العقل مسارًا وبعدًا آخر للتفكير، ولما بحث عمر عن الصواب وخرج بالرأي السوي، وأنتج أفكارًا واعيةً واقعيةً منسجمةً مع ظروف الناس وطبيعتهم، وإعلام الناس بالخبر سيؤدي بهم إلى تكاسلهم واتكالهم، والذي أثمر بموافقة الرسول صلى الله عليه وسلم له، علمًا بأن الرسول صلى الله عليه وسلم نظر لذلك التبليغ من مبدأ البشري للمسلمين.

وعلى هذا المنهاج القويم في توظيف مبدأ التعددية سار الصحابة الكرام من بعد النبي صلى الله عليه وسلم، ومن ذلك ما رواه ابن عباس، قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر فكأن بعضهم وجد في نفسه، فقال: لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله، فقال عمر: إنه من قد علمتم، فدعاه ذات يوم فأدخله معهم، فما رأيت أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم، قال: ما تقولون في قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: 1]؟ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا، وفتح علينا، وسكت بعضهم، فقال لي: أكذاك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: «هو أجل رسول الله أعلمه له»، قال: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ «وذلك علامة أجلك». ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: 3]، فقال عمر: «ما أعلم منها إلا ما تقول»¹.

لقد كان عمر رضي الله عنه يمتلك حسن الإدراك للمبادئ التي تعلمها من مدرسة محمد صلى الله عليه وسلم، والتي تنمي تفكير الأفراد بمختلف مستوياتهم وأعمارهم، وتُسهم في إنماء قدراتهم العقلية على النحو الصحيح، فها هو يدخل ابن عباس رضي الله عنه على الرغم من صغر سنه إلى مجلس

¹ البخاري: صحيح البخاري. كتاب تفسير القرآن. باب قوله: {فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا} [النصر: 3]. (6/179/رقم: 4970).

كبار الصحابة؛ لمعرفته بما يملك من قدرات عقلية إن استثمرت في جو من التعددية الفكرية تقتق ذهنه بالشيء الكثير.

وهذا ما حصل فعلاً، فقد اتصف ابن عباس رضي الله عنه بدقة التفكير وصواب النظر، ورؤيته لما وراء ظاهر النص، حتى سُميَ ترجمان القرآن، لأن "المؤهلات التي اجتمعت في ابن عباس من سعة في العلم، وذكاء في العقل، وسلامة في التفكير، وصدق في المحاكمة، وتقوى في النفس، أنضجت آراء ابن عباس وجعلت لها طعماً قد ينفرد به دون غيره من الصحابة"¹، وهذه المؤهلات لم تكن لتظهر لولا المحضن النبوي ومن ثم العمري الذي اعتنى بتربية النشء على إثارة العقل وإتاحة التعددية الفكرية والترحيب بها بمختلف الآراء.

¹ جي، محمد رؤاس قلعه: موسوعة فقه عبد الله بن عباس. جامعة أم القرى. السعودية: معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي. (44/1).

المبحث الثاني

الأصول العلمية للتفكير المنهجي في السُّنة النبوية

يُشكل حضور الأصول العلمية في سنة الرسول صلى الله عليه وسلم أحد أبرز الأصول الموجهة لتفكير المسلم في مواقف ومظاهر شتى؛ لأن تلك الأصول تؤسس منهجاً دقيقاً يؤدي العقل من خلاله عملياته الفكرية وفق حركة معتدلة منظمة، أساسها إدراك ما يتم إنتاجه من أفكار وقرارات، وإجادة التحليل والتقويم للأفكار الواردة والمواقف المعروضة أمام المسلم، فينشأ لدينا مسلمٌ يفقه الأخذ والعطاء، ويكون على استعداد فكري لرفض أي فكرة أو قبولها بناء على ضعف الدليل أو صحته، ليبلغ المسلم ببناء تفكيره على هذه الأصول رتبة الرشاد.

ولكي تتجلى لنا الأصول العلمية يلزم بيان مفهومها أولاً، ثم بيان أنواعها من النصوص النبوية، ومعرفة دورها في إبقاء تفكير المسلم في مساره الصحيح الذي وضعه الله له.

المطلب الأول: مفهوم "الأصول العلمية" للتفكير المنهجي

أولاً: معنى العلم لغةً

تعددت المعاني اللغوية لمفهوم العلم؛ منها: نقيض الجهل، قال الفراهيدي: "عَلِمَ يَعْلَمُ عِلْماً، نقيض جهل"¹. والإدراك، قال الراغب: "العِلْمُ: إدراكُ الشيءِ بحَقِيقَتِهِ"². والمعرفة، قال ابن منظور: "وَعِلِمْتُ الشيءَ أَعْلَمُهُ عِلْماً: عَرَفْتُهُ"³. وبمعنى اليقين، قال الفيومي: "العِلْمُ اليَقِينُ يُقَالُ عِلِمَ يَعْلَمُ إِذَا تَيَقَّنَ"⁴. فلفظ "العِلْم" في اللغة يدور حول: رفع الجهل بالشيء.

¹ الفراهيدي: العين. (152/2).

² الزبيدي: تاج العروس. (127/33).

³ ابن منظور: لسان العرب. (417/12).

⁴ الفيومي: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. (427/2).

ثانياً: معنى العلم اصطلاحاً

لقد تعددت تعريفات المتخصصين لمفهوم العلم في الاصطلاح كل حسب مجاله، حتى قال بعضهم إنه مستغن عن التعريف¹، فمنهم من عرّفه باعتباره **بُنية من المنطلقات**، فعُرّف بأنه: "مجموعة المبادئ والقواعد التي تشرح بعض الظواهر والعلاقات القائمة بينها"². ومنهم من عرفه باعتباره **طريقة تفكير**، فقل إنه: "إدراك الشيء بحقيقته، وذلك ضربان: أحدهما: إدراك ذات الشيء، والثاني: الحكم على الشيء بوجود شيء هو موجود له، أو نفي شيء هو منفي عنه"³.

كما عُرّف باعتبار **فلسفي نفسي**، فقل إنه: "حصول صورة الشيء في العقل"⁽⁴⁾. وذهب علماء النفس إلى أنه: "وصول النفس إلى معنى الشيء"⁽⁵⁾.

وذهب آخرون إلى تعريفه باعتبار **أكاديمي**، فعُرّف بأنه: "مجال كليات العلوم والبحوث الجادة الموضوعية في التاريخ والآداب والفنون"⁶.

ويمكننا الجمع بين التعريفات السابقة بقولنا إن العلم هو: إدراك العقل حقيقة الشيء اعتماداً على قواعد ومبادئ وخبرات سابقة، تطمئن إليه النفس وتثبت عليه.

¹ انظر: الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت: 816هـ): كتاب التعريفات. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1403هـ-1983م. (ص:155).

² حربي، خالد: **التعليم الديني في الميزان**. الكويت: مجلة الوعي الإسلامي. ع555، 1432هـ-2011م. (ص:28).

³ الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت: 502هـ): **المفردات في غريب القرآن**. ط1. تحقيق: صفوان عدنان الداودي. بيروت: دار القلم. دمشق: الدار الشامية. 1412هـ. (ص:580).

⁴ انظر: الجرجاني: كتاب التعريفات. (ص:155).

⁵ الجرجاني، كتاب التعريفات. (ص:155).

⁶ دويدري، رجاء وحيد: **البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العلمية**. ط1. دمشق: دار الفكر المعاصر. 1421هـ-2000، (ص:22).

ثالثاً: مفهوم الأصول العلمية

أما الأصول العلمية للتفكير المنهجي فيُقصد بها: القواعد التي تُنظم الإنتاج الفكري للعقل.

فتنظيم الإنتاج الفكري للعقل يُعنى به: ضبط حصيلته المعرفية والتحسين من مستواها، فتزيد وعيه بالمعارف الداخلة إلى العقل والخارجة منه.

فالمسلم الذي يمارس التفكير المنهجي باعتماده على هذه الأصول، لا يقبل نتائج بغير مقدمات، ولا يُخضع عقله إلا للحجة والبرهان، ويمتنح أفكاره، ويُخضع معلوماته للمناقشة والاختبار، ولا يُحكّم عواطفه وأهواءه وظنّه في مقامٍ يُطلب فيه اليقين المجرد والعلم المحقق¹.

المطلب الثاني: القواعد العلمية للتفكير المنهجي في السُنّة النبوية

القاعدة الأولى: نبذ الظن وتحري الأدلة العلمية

كثرت النصوص القرآنية والنبوية التي تدعو إلى تحصيل الدليل والبرهان على ما يتم قوله أو قبوله من أفكار، والثناء على من يتبعون الدليل، وزجر من يعدلون عنه، ولأن النصوص النبوية في هذا الباب كثيرة؛ فإنه سيكتفى بالإشارة إلى ما يخدم المقصد الأساسي من هذا المبحث؛ وهو بيان عناية النبي صلى الله عليه وسلم بالدليل والبرهان، ودوره في تكوين التفكير المنهجي، وذلك يظهر في الأمور الآتية:

الفرع الأول: نبذ الظن في الموضع الذي يطلب فيه اليقين

¹ انظر: القرضاوي، يوسف: الرسول والعلم. دار الصحوة. (ص:38).

المتأمل في حقيقة الظن يجد أنه محصلة عملية فكرية قائمة على مثير خارجي، كحدث ما أو أمانة ما، استقبله العقل وأخضعه لعمليات فكرية متتالية، تحركها أمور كثيرة من معلومات ومواقف سابقة، إلى صفات الإنسان ومكنونات قلبه ومستوى إيمانه، يقود الإنسان إلى الظن بسوءه أو إحسانه¹.

وقد جاءت السنة النبوية رافضة لسوء الظن المجرد من أدلة وإمارات، ومثال ذلك: ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا، ولا تجسسوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، ولا تباغضوا، وكونوا عباد الله إخوانا»².

لم يكن تركيز النبي صلى الله عليه وسلم على نبذ الظن يستهدف تخليصهم من رقبة الشك والتخمين فحسب، وإنما لتشكيل مناخ عام يُنشئ عليه عقول أمته، يحفزهم فيه عقلياً ونفسياً على تلمس الدليل في عملياتهم الفكرية، لقيامها على التثبت من أي أمر قبل البناء عليه قولاً أو فعلاً، فلا يُحكم على شخص أو موقف مجرد من القرائن والأمارات اعتماداً على الظن؛ لكون "الأصل في الإنسان البراءة، والمتهم بريء حتى تثبت إدانته"³، فبناء المسلم تفكيره على هذه البصيرة يعطي فهماً دقيقاً للواقع والموقف الذي يفكر فيه، ويعزز من سير تفكير المسلم إلى نتائج وأحكام صائبة أو ما هو أقرب إلى الصواب.

¹ انظر: الراشد، فلو بنت ناصر بن حمد: الظن بين الناس في القرآن الكريم "دراسة موضوعية". مجلة جامعة الملك سعود. 2004م. (ص:317).

² البخاري: صحيح البخاري. كتاب الأدب. باب ما ينهى عن التحاسد والتدابير. (8/19/رقم:6064).

³ انظر: الرُّخَيْلِيُّ، وَهْبَةُ بْنُ مُصْطَفَى: الفقه الإسلامي وأدلته. ط4. دمشق: دار الفكر. (8/6453).

وقد جاءت القاعدة في كتب المتقدمين بلفظ "الأصل براءة الذمة". انظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: 911هـ): الأشباه والنظائر. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1411هـ-1990م. (ص:53). وابن نجيم، زين الدين بن إبراهيم بن محمد (ت: 970هـ): الأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة النعمان. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1419هـ-1999م. (ص:50).

والنهي عند الرسول صلى الله عليه وسلم لا يقف عند هذا الأفق الفكري، بل إن النص يُظهر سوء بناء التفكير على الظن، والاعتماد على التخمين بدل التثبت، وأن ذلك يشكل انحرافاً فكرياً له عواقبه الوخيمة على الفرد والمجتمع.

والظن يبدأ بخاطرة تتقدح في ذهن الشخص، ثم لا يزال الشيطان ينفخ فيها حتى تسيطر على عقله، ثم ينزلها منزلة الحقيقة التي لا مرأى فيها ولا جدال، ومن يبني تفكيره على الظن يتبعه بصياغة شتى تصوراتها بما ينسب إلى الناس التهم، وتوقعهم في البلاء، كأنهم يحسدونه أو يكونون إليه الحقد والكره، فيقوم بتفسير الوقائع بناء على ظنه الفكري وخلفيته النفسية، وما ينتج عن تفكيره بهذه الخلفية من أفكار ظنية يقابلها بمثلها بالبغض والكره والحسد، فيمارس دون وعي نوعاً من التحليل لما يراه ويسمعه مع تضخيمه بدون أي تحفظ¹.

وإنه لن يقف عند هذا الحد، بل إن الظان يبدأ بالبحث عن القرائن والأدلة التي تؤكد وتثبت ظنه وحكمه في الآخر، فينتج سلوك التجسس والتحسس وكشف عورات الناس ونشرها وإن كانت القرائن والأدلة في ذاتها ظنية ومحتمة.

فنخلص إلى أن الظنّ يحول بين العقل وبين نجاحه في اتباع المنهجية القويمة في تفكيره وفي حكمه على المواقف، ويدفع بالعقل إلى اعتماد التخمين كقاعدة عند مواجهته لأي مشكلة أو موقف وهذا ما لم يردده الرسول صلى الله عليه وسلم لأئمة.

¹ انظر: الصويان، أحمد بن عبد الرحمن: نحو منهج شرعي في تلقي الأخبار وروايتها. ط3. دار السليم للنشر والتوزيع. 2000م. (ص: 56-57).

الفرع الثاني: تحري الدليل العلمي

لم يكتفِ الرسول صلى الله عليه وسلم بالنهاي عن الظن وعدم اتكال التفكير عليه، بل كان يتحرى الأدلة العلمية في مواقفه وفي قضاياه، وقبل إصدار أحكامه في كافة الجوانب، ومن ذلك:

1. إقامة الرسول صلى الله عليه وسلم الحجة والدليل على قومه بصحة دعوته.

ومثاله ما رواه ابن عباس رضي الله عنه، قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فهتف: «يا صباحاه» فقالوا: من هذا؟، فاجتمعوا إليه، فقال: «أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل، أكنتم مصدقي؟» قالوا: ما جربنا عليك كذباً، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» قال أبو لهب: تباً لك، ما جمعتنا إلا لهذا؟¹.

قال ابن حجر: "قوله أرأيتم لو أخبرتكم إلخ، أراد بذلك تقريرهم بأنهم يعلمون صدقه إذا أخبر عن الأمر الغائب"².

ولقد هدف الرسول صلى الله عليه وسلم من سؤالهم عن صدقه، تثبيت قاعدة في النقاش، تحفظ صحة الكلام الذي سيقال، من التشكيك والافتراءات، فأحالهم إلى ماضيه معهم ليتفكروا فيه، ويقروا ويشهدوا بكل موضوعية أنه الصادق الأمين، فيقيم عليهم البرهان على صدق ما سيبلغهم إياه، لذا قدّم النبي صلى الله عليه وسلم دليله وبرهانه قبل عرض فكرته ليكون الدليل هو سياق تفكيرهم، فيعملوا عقولهم في نطاقه، مما يقودهم إلى حقيقة نبوته صلى الله عليه وسلم وصدقها.

¹ البخاري: صحيح البخاري. كتاب تفسير القرآن. باب (6/179/رقم: 4971).

² ابن حجر: فتح الباري. (8/503).

إن المنهجية الصحيحة تُلزمهم بالتصديق والإيمان بما جاء به؛ لأن المتصدر لهذه الدعوة هو ذاته الذي وصفوه وما زالوا بالصادق الأمين، وقالوا فيه "ما جربنا عليك كذبًا"، فتكذيبهم يدل على حيدتهم عن هذه المنهجية مع يقينهم بصحتها.

ثم إن أبا جهل لم يمتز في الجدل، ولم يبطل أصل فكرة الرسالة؛ لأن حجة الرسول صلى الله عليه وسلم فيها واضحة وسلطانه فيها قوي، وهو يستمد حجته من الواقع؛ إنما لجأ إلى توجيه تفكيره إلى أمر آخر وهو "الجمع" بقوله "ما جمعنا إلا لهذا؟"، هروباً من المواجهة الفكرية، وهذا دليل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم أقام عليهم حجة عقلية واضحة لا ثغرة فيها، لا تقبل الشك أو الجدل، فقد أيقنوا بصفة دعواه ولكنهم يجحدون، وهو مصداق قوله تعالى:

﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: 33].

2. طلب النبي صلى الله عليه وسلم للدليل في معرض الأحكام القضائية

ومثال ذلك ما رواه وائل بن حجر، قال: كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتاه رجلان يختصمان في أرض، فقال أحدهما: إن هذا انتزى على أرضي يا رسول الله في الجاهلية - وهو امرؤ القيس بن عابس الكندي، وخصمه ربيعة بن عبدان - قال: «بينتك» قال: ليس لي بينة، قال: «يمينه» قال: إذن يذهب بها، قال: «ليس لك إلا ذاك»، قال: فلما قام ليحلف، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من اقتطع أرضاً ظالماً، لقي الله وهو عليه غضبان»¹.

كان النبي صلى الله عليه وسلم على وعي كبير بأهمية التثبت في كافة شؤون الحياة، لذلك نراه في أول موقف اتخذته الرسول صلى الله عليه وسلم عند سماعه للدعوى هو التثبت منها، وطلب البينة

¹ مسلم: صحيح مسلم. كتاب الإيمان. باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار. (1/124/رقم: 224).

من المدعي على دعواه، ليفكر في المسألة والدعوى وفقّه، ويبني حكمه بما يظهر له من رجحان الدليل وصحته، فهو لم يقبل دعواه بمجرد سماعه للدعوى؛ حفاظاً على حقوق الناس، فهذه المنهجية تطبق على كافة أفراد المجتمع، لكون مصلحتها عامة.

قال سيد قطب: "فالتثبت من كل خبر ومن كل ظاهرة ومن كل حركة قبل الحكم عليها هو دعوة القرآن الكريم، ومنهج الإسلام الدقيق، ومتى استقام القلب والعقل على هذا المنهج لم يبق مجال للوهم والخرافة في عالم العقيدة، ولم يبق مجال للظن والشبهة في عالم الحكم والقضاء والتعامل، ولم يبق مجال للأحكام السطحية والفروض الوهمية في عالم البحوث والتجارب والعلوم"¹.

فالاحتكام إلى الدليل يعني تنحي الظن والهوى والمصالح والعصبية جانباً، ليحضر الفكر بدوره الذي يؤدي إلى بناء الأفكار والتصورات وفقاً للدليل المرشد له، في حين أن إطلاق العنان للعقل ليفكر فيما يشاء ويبني على ذلك ما يشاء؛ يؤدي إلى ضياع العدل الذي هو مطلب للشرع، وأحد منافع الظلم المحرم شرعاً، و«لو يعطى الناس بدعواهم، لادعى ناس دماء رجال وأموالهم»².

وقد سار الصحابة الكرام على هذه المنهجية؛ فأخذوا يفتشون عن البينة لأي دعوى أو قول أو خبر، ومن ذلك: ما رواه أبو سعيد الخدري، يقول: كنت جالساً بالمدينة في مجلس الأنصار، فأتانا أبو موسى فزعاً أو مذعوراً قلنا: ما شأنك؟ قال: إن عمر أرسل إليّ أن آتية، فأتيت بابه فسلمت ثلاثاً فلم يرد عليّ فرجعت فقال: ما منعك أن تأتينا؟ فقلت: إني أتيتك، فسلمت على بابك ثلاثاً، فلم يردوا عليّ، فرجعت، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له،

¹ سيد قطب: في ظلال القرآن. (4/2227).

² مسلم: صحيح مسلم. كتاب الأقضية. باب اليمين على المدعى عليه. (3/1336/رقم: 1711).

فليرجع» فقال عمر: أقم عليه البينة، وإلا أوجعتك. فقال: أبي بن كعب: لا يقوم معه إلا أصغر القوم، قال: أبو سعيد: قلت أنا أصغر القوم، قال: فاذهب به¹.

فالمأمل في موقف عمر رضي الله عنه تجاه ما سمعه من الصحابي الصدوق العدل من خبر، ومطالبته إياه بالإثبات على صحة خبره؛ يوحي بوعي عمر بالمنهج النبوي، بما يقوم على التآني والتريث في إصدار الأحكام، إلى أن يتم عرض الدليل ثم التفكير في صحته، وبناء حكمه على ما تبين له؛ لأنه كان على يقين أن اتباع هذا المنهج هو طريق لحفظ الدين، والتفريط بهذا المنهج هو ضياع للسنة النبوية ودس فيها ما ليس منها.

وقد كان لمنهجية عمر رضي الله عنه هذه أثرها في بداية المراحل الأولى لنشأة علم النقد الحديثي، الذي أنشأه العقل المسلم على غير مثال سابق، ويمثل إضافة هامة متفردة في التأصيل للفكر المنهجي، والتحصيل الثقافي والتميز الحضاري للمسلمين².

فيتبين لنا أن هذا الأصل هو: طريق لحفظ الدين أولاً، وحقوق الناس وأعراضهم ثانياً، ونحن المسلمون في زمن الانفتاح المعرفي والاجتماعي، نشهد كثرة الشائعات والأفكار المنحرفة التي يتاح نشرها بسهولة، فنحن بأمر الحاجة إلى تطبيق هذا المنهج الدقيق؛ تحرياً للحق، وحماية لفكرنا من أن يَحْبُطُ حَبْطَ عشواء.

¹ مسلم: صحيح مسلم. كتاب الآداب. باب الاستئذان. (3/1694/رقم:2153).

² انظر: الأحذب، خلدون محمد سليم: أثر علم أصول الحديث في تشكيل العقل المسلم. ط1. السعودية: مجمع الفقه الإسلامي. 2006م. (ص:7).

القاعدة الثانية: التجرد من الهوى واتباع الموضوعية

الفرع الأول: التجرد من الهوى وأثره على التفكير المنهجي

ويُقصد بالتجرد من الهوى: رفض استجابة العقل لشهوات النفس ورغباتها، مع استمرارية أعمال التفكير والنظر في الموقف بهدف الوصول إلى الحق وقبوله والانقياد له¹.

وقد اعتنى النبي صلى الله عليه وسلم بهذه القضية تشخيصاً وتوجيهاً وعلاجاً، مما يدل على خطورة أثرها على الفكر والسلوك، ففي دعوة النبي صلى الله عليه وسلم المسؤول لاستقلال فكره عن هواه، روى أبو حميد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل عاملاً، فجاءه العامل حين فرغ من عمله، فقال: يا رسول الله، هذا لكم وهذا أهدي لي. فقال له: «أفلا قعدت في بيت أبيك وأمك، فنظرت أيهدى لك أم لا؟» ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية بعد الصلاة، فتشهد وأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: «أما بعد، فما بال العامل نستعمله، فيأتينا فيقول: هذا من عملكم، وهذا أهدي لي، أفلا قعد في بيت أبيه وأمه فنظر: هل يهدى له أم لا، فوالذي نفس محمد بيده، لا يغل أحدكم منها شيئاً إلا جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه...»².

فحديث أبي حميد رضي الله عنه يمثل صورة من صور اتباع الهوى، وكيف كان موقف النبي صلى الله عليه وسلم من السلوك الذي بَدَرَ من الوالي بأن فرق بين ما أهدي إليه بكونه والي البلد، وما جباه لبيت مال المسلمين.

¹ انظر: صالح، نزار عطا الله أحمد: الموضوعية مفهومها وأثرها في فهم النص القرآني "السمين الحلبي أنموذجاً". جامعة آل البيت: المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية. مج 11. ع 11/2015م. (ص: 61).

² البخاري: صحيح البخاري. كتاب الأيمان والنذور. باب: كيف كانت يمين النبي صلى الله عليه وسلم. (8/ 130/رقم: 6636).

ويظهر في قوله صلى الله عليه وسلم: "هذا من عملكم، وهذا أهدي لي، أفلا قعد في بيت أبيه وأمه فنظر: هل يهدى له أم لا" دعوتهم إلى التجرد من الهوى، ودفعهم إلى التفكير في العاقبة الأخروية، ليتغلغل الفكر فيها، ويصل إلى رؤية واضحة بأن من كان مسؤولاً في الدولة أو المؤسسة، إنما مهمته تنفيذ مصالح الناس، والتفكير في الطرق المشروعة لتحقيق ذلك، لا تنفيذ مصالحه وجني الثروات من خلال منصبه، واستغلاله لتحقيق مصالحه وإرضاء لنزواته.

قال الماوردي: "أما الهوى فهو عن الخير صائدٌ، وللعقل مضادٌ؛ لأنه يُنتج من الأخلاق قبائحها، ويظهر من الأفعال فضائحها، ويجعل ستر المروءة مهتوكًا، ومدخل الشر مسلوكًا"¹.
فهدف النبي صلى الله عليه وسلم من خطابه التحذيري دفع الأهواء عن نفس الصحابي، وأن ينأى بعقله عن اتباع صوت مصالحه، وهذا بالطبع يستدعي ضبط للمعايير التي يحاكم بها ما يأتيه من عطايا وغيرها مما يتعلق بنظام الحكم، فالهوى مستحث للعقل لما تريده النفس لا ما يريده الله ويريده العقل الصحيح.

الفرع الثاني: اتباع الموضوعية

ويُقصد بالموضوعية: قدرة العقل على فحص الأدلة بنزاهة وتجرد، والبعد عن التحيز الشخصي والذاتية في التفكير، وتأسيس الأفكار على الحقائق وليس على المشاعر والتقدير الشخصي².
وسنرى أن السُنَّة النبوية قائمة في بناء التفكير على الموضوعية التي تعتبر من أساسيات تكوين منهجية التفكير السليم لدى المسلم، وفيما يلي أمثلة على ذلك.

¹ الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري (ت: 450هـ): أدب الدنيا والدين. دار مكتبة الحياة. 1986م. (ص: 29).

² انظر: النجار، فايز وآخرون: أساليب البحث العلمي من منظور تطبيقي، عمان: دار الحامد للنشر والتوزيع. 2008. (ص: 9).

أولاً: فحص الأدلة بنزاهة وتجرد

ومن ذلك ما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنه، قال: قال الأشعث بن قيس: كان بيني وبين رجل من اليهود أرض، فجحدني، فقدمته إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألك بينة»، قال: قلت: لا، قال: فقال لليهودي: «احلف»، قال: قلت: يا رسول الله، إذا يحلف ويذهب بمالي، قال: فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا﴾ [آل عمران: 77]¹.

يوضح لنا الموقف النبوي دور الموضوعية في سطوع نور العقل القويم، وهو يوجه التفكير نحو هدف تحقيق شرع الله وعدالته في الأرض، فلقد وجّه الرسول صلى الله عليه وسلم فكره إلى طلب الدليل بنزاهة وتجرد دون التأثير بمعيار الانتماء الديني، فبالرغم من أن المدعي مسلم وخصمه يهودي فإنه لم يحكم للمسلم بالأرض لعدم كفاية أدلته، فالرسول صلى الله عليه وسلم تجرد من أي انتماء ديني ليحاكم ما عرضه الخصمان بمنهجية مستقيمة، طلباً للحق وتحقيقاً للعدل.

ثانياً: البعد عن الذاتية في التفكير

المراد بكلمة "الذاتي" الفردي، فإن وُصف شخص بأن تفكيره ذاتي فهذا يعني أنه اعتاد أن يجعل أحكامه مبنية على شعوره وذوقه، وعلى الجانب الآخر تستند الموضوعية على النظر إلى الحقائق على أساس العقل، فتدرك الأشياء على ما هي عليه دون أن يشوبها أهواء أو مصالح أو تحيزات².

¹ البخاري: صحيح البخاري. كتاب الشهادات. باب سؤال الحاكم المدعي: هل لك بينة؟ قبل اليمين. (3/177/رقم: 3666).

² انظر: عوض، عال: الابستمولوجيا. (ص: 120-121).

إن الخطوة الأولى في البعد عن الذاتية والخلط بين الذات والموضوع بين الأشخاص والمناهج؛ هي وضوح المنهج على مستوى القيم والمبادئ باعتبارها معيارًا يتعامل على أساسها الناس، فلمّا كان الإسلام يهدف إلى سيادة الحقيقة، وإعلاء المنهج بعيدًا عن كل ما يحدّ من عالميته من الاعتبارات الشخصية؛ بذل النبي صلى الله عليه وسلم جهودًا مكثفة حتى يستقر في حس المسلم وفهمه أن المنهج فوق أي اعتبار آخر¹.

مثال ذلك ما رواه عمر بن الخطاب، أن رجلاً على عهد النبي صلى الله عليه وسلم كان اسمه عبد الله، وكان يلقب حمارًا، وكان يُضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد جلده في الشراب، فأُتي به يومًا فأمر به فجلد، فقال رجل من القوم: اللهم العنه، ما أكثر ما يُؤتى به؟، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تلعنوه، فوالله ما علمت إنه يحب الله ورسوله»².

إن التفكير الموضوعي النبوي في الحديث يمتلك إمكانية التمييز بين الشخص وإقامة الحكم، فسمات الصحابي من حبّ الله ورسوله، وحبّ النبي صلى الله عليه وسلم له لم يحمله على تفكير خاص بتطويع الحكم لأجل الشخص ذاته بعدم تطبيقه؛ بل طبق النبي صلى الله عليه وسلم العقاب بعيدًا عن الشخصنة وعن أي توجه ذاتي، وهذا الطرح الفكري هو الضامن لاستمرار الشريعة وأحكامها ونظامها العام.

ويظهر البعد عن الذاتية في تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع المخطئين من الصحابة، فيأتي خطابه موجّهًا إلى الفعل دون نقده للشخص أو التصريح باسمه، بقوله "ما بال العامل"³، "ما بال

¹ انظر: بكار: فصول في التفكير الموضوعي. (ص: 80-81).

² البخاري: صحيح البخاري. كتاب الحدود. باب ما يكره من لعن شارب الخمر، وإنه ليس بخارج من الملة. (8/158/ح 6780).

³ استعمل النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً من بني أسد يُقال له ابن الأتبية على صدقه، فلما قديم قال: هَذَا نَكْمٌ وَهَذَا أَهْدِي لِي، فَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمُبْتَر - قَالَ سُفْيَانُ أَيْضًا فَصَعِدَ الْمُبْتَر - فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: "مَا بِالْغَامِلِ تَبِعْتُهُ فَيَأْتِي يَقُولُ: هَذَا لَكَ وَهَذَا لِي. سبق تخريجه (ص: 88).

أقوام"¹، "ما بال رجال"²، ومثال ذلك ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه، أن نفرًا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم سألوا أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عن عمله في السر؟ فقال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال بعضهم: لا آكل اللحم، وقال بعضهم: لا أنام على فراش، فحمد الله وأثنى عليه، فقال: «ما بال أقوام قالوا كذا وكذا؟ لكني أصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»³.

فقوله صلى الله عليه وسلم "ما بال أقوام" إنما هو لرسم سياسة واضحة في التغيير وعلاج الأخطاء، قائمة على الموضوعية، وبيان المنهج الوسطي الصحيح لهم دون خدش لمشاعرهم، موجهاً فكره إلى المعتقد المتبنى فقط، فاستطاع من خلال هذا الخطاب أن يحوّل الموقف من موقف فردي إلى جماعي، ومن فكرة ضيقة إلى عامة، رابطاً إياها بقضايا مجتمعية تتعلق بأشخاص كثر قد وقع منهم ذلك التوجه الفكري، أو سيقع حتماً، فاستدعى الأمر منه التوعية بجوانبه، وهذا هو التفكير المنهجي واسع الأفق، أن يصل إلى مراده وهدفه سالكاً طريق اللطف والإحسان، شاملاً لأكبر فئة من المفكرين، والذي من شأن هذا أن يزيد من ثقة الناس في مراجعة الداعية أو المربي في تصرفاتهم طلباً للنصح؛ فالستر والبعد عن التجريح عامل مهم في تقبل المدعو للداعية وصفاء القلب تجاهه وتقبل ما يعرضه من أفكار.

¹ مثال ذلك: ما روته عائشة، قالت: أُنْتُهَا بِرَبِيرَةٍ سَأَلَهَا فِي كِتَابَتِهَا، فَقَالَتْ: إِنْ شِئْتَ أُعْطَيْتُ أَهْلَكَ وَيَكُونُ الْوَلَاءُ لِي، وَقَالَ أَهْلُهَا: إِنْ شِئْتَ أُعْطِيتُهَا مَا بَقِيَ - وَقَالَ سُفْيَانُ مَرَّةً: إِنْ شِئْتَ أُعْطِيتُهَا، وَيَكُونُ الْوَلَاءُ لَنَا - فَلَمَّا جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَكَّرْتُهُ ذَلِكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ابْتَاْعِيهَا فَأَعْتِقِيهَا، فَإِنَّ الْوَلَاءَ لِمَنْ أَعْتَقَ» ثُمَّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمِنْبَرِ - وَقَالَ سُفْيَانُ مَرَّةً: فَصَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمِنْبَرِ - فَقَالَ: «مَا بِالْأَقْوَامِ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا، لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنْ اشْتَرَطَ شَرْطًا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، فَلَيْسَ لَهُ، وَإِنْ اشْتَرَطَ مِائَةَ مَرَّةٍ».

البخاري: صحيح البخاري. كتاب الصلاة. باب ذكر البيع والشراء على المنبر في المسجد. (98/1/رقم: 456).

² عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: صَنَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْرًا فَتَرَحَّصَ فِيهِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِهِ، فَكَأَنَّهُمْ كَرِهُوا وَتَنَزَّهُوا عَنْهُ، فَبَلَغَهُ ذَلِكَ، فَقَامَ خُطْبِيًّا فَقَالَ: «مَا بِالْأَقْوَامِ يَلْعَنُ عَنِّي أَمْرٌ تَرَحَّصْتُ فِيهِ، فَكَرِهُوا وَتَنَزَّهُوا عَنْهُ، فَوَاللَّهِ لَأَنَا أَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ، وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً» مسلم: صحيح مسلم. كتاب الفضائل. باب علمه صلى الله عليه وسلم بالله عز وجل وشدة خشيته (1829/4/رقم: 2356).

³ مسلم: صحيح مسلم. كتاب الفضائل. باب علمه صلى الله عليه وسلم بالله تعالى وشدة خشيته. (1020/2/رقم: 2356).

ومثال آخر: ما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنه، قال: بعث النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى بني جذيمة، فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا، فقالوا: صباأنا¹، فجعل خالد يقتل ويأسر، ودفع إلى كل رجل منا أسيره، فأمر كل رجل منا أن يقتل أسيره، فقلت: والله لا أقتل أسيري، ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره، فذكرنا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد» مرتين².

إن أسلوب النبي صلى الله عليه وسلم في تركيزه على سلوك خالد رضي الله عنه والبراءة "مما صنع" لا من شخصه، أسلوب موضوعي يدفعه إلى مراجعة نفسه وخطئه وتطوير نفسه وتعديل مسار فكره العجول.

ثالثا: تأسيس الأفكار على الحقائق

إن إقامة التفكير على حقائق ووقائع محصنة، وتوجيهه وفق مقتضيتها، لا وفق معلومات وهمية أو خواطر شعورية؛ هو بالضرورة إعطاء تصور واضح وصحيح عن الموقف أو الجهة التي تجري العملية الفكرية عليها، فيتوجه تفكير المسلم إلى إنتاج أفكار صائبة وإصدار أحكام صحيحة، لها قيمتها وانسجامها مع مقتضى الحال.

واليك الآن صورا من صور تأسيس الأفكار على الحقائق والوقائع في ضوء المنهج النبوي:

1. تقديم الأفكار بأمانة تامة، بعيداً عن المبالغة والتحويل

¹ صباأنا: "أي خرجنا من ديننا. يقال: صبا البعير: إذا خرج". ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن (ت: 597هـ): كشف المشكل من حديث الصحيحين. تحقيق: علي حسين البواب. الرياض: دار الوطن. (572/2).

قال المهلب: "ولم يفهم خالد من قوله: (صباأنا) أنهم يريدون به أسلمنا، ولكن حمل اللفظة على ظاهرها، وتأولها أنها في معنى الكفر". ابن بطل، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت: 449هـ): شرح صحيح البخاري. ط2. تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم. الرياض: مكتبة الرشد. 1423هـ-2003م. (352/5).

² البخاري: صحيح البخاري. كتاب الأحكام. باب إذا قضى الحاكم بجور أو خلاف أهل العلم فهو رد. (73/9/ رقم: 7189).

ومثال ذلك: ما رواه أبو بكرة رضي الله عنه، قال: أثنى رجلٌ على رجلٍ عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «ويلك، قطعت عنق أخيك -ثلاثًا- من كان منكم مادحًا لا محالة فليقل: أحسب فلانًا، والله حسيبه، ولا أركي على الله أحدًا، إن كان يعلم»¹.

قال النووي: "قوله (ولا أركي على الله أحدًا)، أي لا أقطع على عاقبة أحد ولا ضميره، لأن ذلك مُغيّب عنّا، ولكن أحسب وأظن لوجود الظاهر المقتضي لذلك"².

فالحديث يعزز فكرة الاعتدال في مدح الأخ لأخيه وعدم المبالغة في ذلك، فلقد كان الطرح الفكري من الصحابي يميل إلى المبالغة المفرطة، التي هي ثمرة لعدم الدقة في التفكير بجوانب الممدوح، وعدم استيعاب جوانب شخصيته وسرائره، والتوجيه النبوي يدعو إلى تقديم الفكرة المراد توضيحها للناس كما هي، بلا إفراط ولا تفريط، وقوله "قطعت عنق أخيك"، أي أهلك أخاك الذي قد يوصله مدحك إلى الكبر والغرور بها. لأنه إذا أُعجب بعقله وكياسته وفطنته؛ ترك المشورة واستبد برأيه، وجَهَلَ الناس، لا يصغي إليهم ولا يأخذ بالنصيحة من أحد، فهو يزكي نفسه بما لا تستحقه³، فلن يفتن إلى ضلاله وانحرافه، ولن يرى ما يجب أن يتوب منه، لأنه مستصغر لما أتاه من الذنوب، بالنسبة إلى ما فعله من الطاعات مما يؤدي إلى هلاكه⁴.

¹ البخاري: صحيح البخاري. كتاب الأدب. باب ما جاء في قول الرجل ويُلك. (8/ 38/رقم:6162).

وفي رواية "قطعت ظهر الرجل" -البخاري: حديث رقم 2663- "معناه أهلكتموه، وهذه استعارة من قطع العنق الذي هو القتل؛ لاشتراكهما في الهلاك، لكن هلاك هذا الممدوح في دينه وقد يكون من جهة الدنيا لما يشتبه عليه من حاله بالإعجاب". النووي: شرح النووي على مسلم (127/18).

² المرجع السابق. (126/18).

³ البرش، نعيمة عبد الله: آفات النفس كما يصورها القرآن الكريم دراسة موضوعية. الجامعة الإسلامية. غزة. فلسطين. 1429هـ-2008م. (ص:110-111).

⁴ انظر: الشرقاوي، حسن محمد: نحو علم نفس إسلامي. الهيئة المصرية العامة للكتاب فرع الإسكندرية. (ص:121-122).

لذا أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يكون للمسلمين فكر متماسك، واسع بطبيعة التصور الإسلامي القائم على الاعتدال والوسطية، وتوكيل الأمر إلى الله العالم المحيط بجوانبه، فيعطي التفكير الموضوعية في النظر إلى الشخص، ويتجرد من انحرافات الإطلاقات.

2. النظرة التفصيلية المواجهة للواقع، وترك التعميم

ومثال ذلك ما رواه الصحابي أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «إذا قال الرجل: هلك الناس فهو أهلكهم» قال أبو إسحاق: لا أدري، أهلكهم بالنصب، أو أهلكهم بالرفع¹.

وقوله صلى الله عليه وسلم "أَهْلَكُهُمْ" -بضم الكاف-: أي أكثرهم وأسرعهم في الهلاك، بولعه بعيوب الناس، وأنه يرى لنفسه فضلا عليهم، فيصير معجباً مغروراً، وأما قوله "أَهْلَكُهُمْ" -بفتح الكاف- أي: أن الغلاة الذين يستغلون على الناس، ويؤيسونهم من روح الله تعالى، قد يحملهم ذلك على ترك الطاعة والانهماك في المعاصي فيكون سبباً في هلاكهم².

وتظهر في الحديث صورة من صور الموضوعية العقلية والرشد الإنساني الذي حرص الرسول صلى الله عليه وسلم أن تكون سمة أصيلة من سمات تفكير أمته؛ فوضح بقوله أهمية التفكير التفصيلي في بناء الأحكام بمنهجية علمية محكمة.

والتفكير التفصيلي المطلوب، هو أن يحيط العقل بكل جوانب الموقف أو الأشخاص أو الحالة التي يريد الحكم عليها، فكلما كانت المعلومات والتفصيلات والأدلة التي تم جمعها أدق وأكثر؛ كان التفكير

¹ مسلم: صحيح مسلم. كتاب البر والصلة والآداب. باب النهي عن قول هلك الناس. (4/ 2024/ رقم: 2623).

² انظر: الهروي، علي بن سلطان محمد (ت: 1014هـ). مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح. ط1. بيروت: دار الفكر. 1422هـ- 2002م. (3029/7).

قريبًا من الواقع، متفهما للفوارق بين أصناف الناس لا وفقا للتقدير الشخصي، فقد يكون فئة من الناس في بلد ما معروفين بعصيان الله أو يتصفون بأخلاق سيئة، ولكن هذا لا يعني أن كلهم كذلك، وفي جميع أمورهم هم كذلك، وبالتالي أحكامنا وتعاملاتنا مع أهل تلك البلد سيكون مختلفا من فئة لفئة، ومن موقف لموقف، وهذا قمة النزاهة والإنصاف الفكري.

في حين أن التعميم يجعل من التقدير النسبي قاعدة مطلقة يحاكم الجميع استنادًا إليها، فتُطمس معالم الحقيقة، ويغلب على الفرد التفكير السلبي تجاه من حوله، "ومع الوقت يصبح التعميم سجنًا فكريًا يُسجن فيه الشخص ليصبح منغلًا عن كل ما هو خارج إطار أحكامه العامة على الأشخاص والأشياء من حوله"¹.

كما يظهر بُعد النبي صلى الله عليه وسلم عن التعميم في علاجه لأخطاء بعض الصحابة، بقوله "ما بال العامل"، و"ما بال أقوام"² يفعلون كذا وكذا، فمع تنكيهه للفاعلين، إلا أنه عليه السلام تغادى التعميم المطلق، فعمل على تضيق نطاق الخطأ؛ بجعل وطأة النقد على فئة معينة، فهو يتحدث عن سلوك أفراد لا عن كل المخاطبين.

¹ صابر، سيد: أخطاء التفكير والأمراض النفسية(3). مصر: موسوعة الإيمان. 2019م: <https://cutt.us/aOif4>

² سبق ذكر أمثلة عليها في (ص: 90).

المبحث الثالث

الأصول العملية للتفكير المنهجي في السُّنة النبوية

نصل أخيرًا إلى الأصول العملية المكملة للأصول السابقة، فالاعتماد على هذه الأصول يكون في آخر مراحل التفكير تبعًا لاعتبارات العقل، فليس من مهمتها إدراك الموقف وحقيقته، أو البحث على الدليل، بل يكون دورها في توجيه العقل نحو التفكير في الدليل، بتحليل مادته الفكرية بما يتوافق مع الواقع، ليظل العقل مواكبًا لكل حدث وواقعة في كل زمان ومكان.

ومن هنا فإن المقصود بالأصول العملية للتفكير المنهجي: القواعد التي تدفع العقل إلى استقراغ جهده الفكري للتفاعل مع الواقع، والتحقق من توفر محل التفكير الذي يلزم فيه تطبيق الأفكار الناتجة.

وقد جاءت الأصول على ثلاثة أنواع؛ أولها: فاعلية التفكير، ثانيها: مرونة الأداء الفكري، وثالثها: النظر في مآلات العملية الفكرية.

ولقد هدف النبي صلى الله عليه وسلم من بناء بنية فكرية واقعية؛ تشكيل شخصية مسلمة تجمع بين النظري والعملي، تفهم الواقع وتستوعب ظروفه المتغيرة بصورة عميقة وشاملة ضمن الضوابط التي تصون أصالة نصوص الوحي من جهة الثبات والتغير، وهذا من شأنه أن يرفع من كفاءة التفكير عند المسلم، ويضفي ملامح الحيوية على الفكر الإسلامي عامة، فالأصول العملية المشار إليها في هذا المبحث يمكن عدّها تطبيقات تدل على واقعية الإسلام وحيويته، وصلاحه لكل زمان ومكان.

المطلب الأول: فاعلية التفكير؛ بالتحام التفكير بحياة الناس

إن التفكير النبوي لم تنحصر قيمته في عملية ذهنية مجردة عن الواقع، بل امتدت لتشمل البعد الواقعي لهذا التفكير، فصلاحيّة الفكر الإسلامي لكل زمان ومكان تستدعي فاعلية تفكير عقل المسلم وواقعيته، ومراعاة المآلات التي يبتثها تفكيره في الواقع الحضاري للناس والمجتمع.

وإن واقعية التفكير وفاعليته تكمن في موضوعاته وأساليبه، وتتمثل في صلتها بحياة المجتمع وقضاياها ومشكلاته، وفي المرجعيات التي يتبناها، فيركز العقل على النظر إلى الواقع الموضوعي بوصفه مصدرًا للتصورات والقيم والممارسة الفكرية العملية¹.

لذا نجد النبي صلى الله عليه وسلم قد غضب حين سُئِلَ عن أمور ليس لها أي أثر واقعي، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قَالَ: سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَشْيَاءَ كَرِهَهَا، فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَيْهِ الْمَسْأَلَةَ غَضِبَ وَقَالَ: «سَلُونِي»، فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَبِي؟ قَالَ: «أَبُوكَ حَذَافَةٌ»، ثُمَّ قَامَ آخَرٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَبِي؟ فَقَالَ: «أَبُوكَ سَالِمٌ مَوْلَى شَيْبَةَ»، فَلَمَّا رَأَى عَمْرٌ مَا بَوَّجَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْغَضَبِ قَالَ: إِنَّا نَتُوبُ إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ².

ففي الحديث تم سؤال النبي صلى الله عليه وسلم عن أمور جاهلية عفا الله عنها، ولا وجه للسؤال عما عفا الله عنه، وربما إذا ظهر فيه الجواب ساء ذلك السائل، فغضب النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك، لكون السؤال عن مثل هذا لا ينبغي من جانب³، وليجعل من واقع الناس في ذلك الوقت

¹ انظر: ملكاوي، فتحي حسن: الفكر التربوي الإسلامي المعاصر "مفاهيمه ومصادره وخصائصه وسبل إصلاحه". ط1. الأردن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي. 1442هـ-2020م. (ص:465).

² سبق تخريجه (ص:44).

³ انظر: ابن بطال: شرح صحيح البخاري. (10 / 338).

مركز الاهتمام الفكري من جانب آخر، فيسهم عقل المسلم في تحديد سبل النهوض بذلك الواقع، والارتقاء بالعقل إلى المستوى المناسب في خطابه الديني والحضاري.

ومن هنا كان النهي النبوي عن كثرة السؤال¹، فالتكلف في السؤال راجع إلى تكلف في التفكير في موضوعات بعيدة عن الواقع والإنشغال بها على حساب العمل الواقعي، فالمنهج النبوي قائم على أن التفكير ليس مجرد عملية ذهنية، وممتعة معرفية، بل هو حركة عقلية تنتج عملاً وأثراً، لذلك غضب عليه السلام من بعض الصحابة الذين فكروا وأنتجوا أسئلة لا علاقة بين موضوعها والواقع، فأراد منهم أن يصطحبوا تصور مرحلة فاعلة في إنتاج الأفكار التي تعالج القضايا العامة.

وإن من أسباب ما نشهده من مظاهر تخلف في العالم الإسلامي افتقاد الصلة بين التفكير والواقع؛ فكثير من المسلمين عطلوا تفكيرهم، وكثير منهم أعملوه بعيداً عن النظر في الواقع، لذلك فإن المجتمعات الإسلامية لم تحرز التقدم المرجو، وعمت المفاصد أرجاءها، وكان يمكن للتفكير الواقعي أن يدرأها عنها.

المطلب الثاني: مرونة الأداء الفكري؛ بمراعاة الثوابت والمتغيرات

إن المعرفة الإنسانية المتجددة، تعتبر أمراً ملحاً في تغيير طريقة تفكيرنا في المواقف وفي إدراكنا لها، وهذا مرتبط بدرجة مرونة تفكير الفرد، وفي مدى تقبله في إنتاج أفكار جديدة وفي عدم تعصبه للأفكار القديمة، وهذا الأصل يُكسب العقل ثباتاً في المبادئ والقواعد والأهداف الدينية، ومرونة في انتقاء الوسائل وجعلها متسقة منضبطة بالمبادئ، وموجهة نحو تحقيقها.

¹ فعن وراد كاتب المغيرة بن شعبة: أن معاوية كتب إلى المغيرة: أن اكتب إلي بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فكتب إليه المغيرة: إني سمعته يقول عند انصرافه من الصلاة: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير» ثلاث مرات، قال: وكان ينهى عن قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال.

البخاري: صحيح البخاري. كتاب الرقاق. باب ما يكره من قيل وقال. (100/8/رقم: 6473).

وهذه المرونة ليس معناها الميوعة، لكن معناها أن التطبيق المثالي للدين ليس مقصوراً على صورة واحدة لا يتعداها، فكلما تقدم العقل وازدادت حصيلته من المعرفة ومقدرته على التفكير، وكلما ارتقى المجتمع وتطورت حياته، اتسع الأفق وتعمق العقل في النفاذ لحقائق الدين الأساسية¹.

ونجد هذا الأصل متمثلاً في طريقة تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع الواقع المختلف عن واقعه، **من ذلك** ما رواه أنس بن مالك، يقول: لما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يكتب إلى الروم، قيل له: إنهم لا يقرءون كتاباً إلا أن يكون مختوماً، «فاتخذ خاتماً من فضة، فكأنني أنظر إلى بياضه في يده، ونقش فيه محمد رسول الله»².

فالنبي عليه السلام وازن بين الحكم الثابت وهو الدعوة إلى الإسلام لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، والذي هو مقصد ثابت وغاية لا تتبدل، وبين الوسيلة المتبعة للوصول الداعية لهذه الغاية.

فكان اختلاف الأشخاص المدعويين دافعاً لإعادة التفكير وبناء أفكاره من جديد، وتغيير الوسيلة المتبعة في دعوة فئات مختلفة عن سابقتها، فمع أهل مكة مثلاً كان الخطاب المباشر هو المهيمن، أما أهل اليمن فقد أرسل النبي صلى الله عليه وسلم معاذاً كمبعوث لدعوتهم، في حين آخر كانت الرسائل هي طريقة الدعوة لملوك الروم كما جاء في الحديث.

فعندما علم النبي صلى الله عليه وسلم أن الروم يمتنعون عن قبول أي رسالة بدون ختم، ما كان منه إلا أن قام بتجديد فكره، ونقل وتوظيف أفكار الروم لذات الغرض والهدف؛ لمواكبة متطلبات بيئتهم، وحتى لا يحدث فجوة بين أهداف تفكيره وبين الواقع المختلف بوسائله المتعددة، وبدون أن يتخلى عن

¹ انظر: عثمان، محمد فتحي: **الفكر الإسلامي والتطور**. ط2. الكويت: الدار الكويتية. 1388هـ-1969م. (ص:78).

² البخاري: **صحيح البخاري**. كتاب الجهاد والسير. باب دعوة اليهود والنصارى وعلى ما يقاتلون عليه وما كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى كسرى وقيصر والدعوة قبل القتال. (4/45/رقم:2938).

الثوابت، كانت المرونة الفكرية في اختيار الوسائل -التي لم يكن هناك نص على تحريمها- تحقق الهدف المنشود، لأن في انعدام مثل هذه المرونة الفكرية العملية جمود للأفكار وإعاقة للوصول إلى الأهداف.

ومن المواقف النبوية التي تمثل موقفاً آخر لمرونة التفكير النبوي؛ ما رواه البراء بن عازب، قال: كتب علي بن أبي طالب الصلح بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين المشركين يوم الحديبية، فكتب: «هذا ما كاتب عليه محمد رسول الله»، فقالوا: لا تكتب رسول الله، فلو نعم أنك رسول الله لم نقاتلك، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي: «امحه»، فقال: ما أنا بالذي أمحاه، فمحاه النبي صلى الله عليه وسلم بيده¹.

تتجلى المرونة الفكرية في الموقف النبوي بأروع صورها، فعندما رفضت قريش في وثيقة صلح الحديبية كتابة "رسول الله"، قابل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الموقف السياسي بمرونة واسعة، بعيداً عن أي تزمّت أو جمود، تماشياً مع متطلبات الموقف الخاضع لتقديره للمصلحة العامة، فجعل يمحو كلمة "رسول الله"، في حين أن الصحابي علي رضي الله عنه رفض محوها؛ لكونه وجد أن محو كلمة رسول الله يعتبر انتقاصاً لمكانته صلى الله عليه وسلم.

إن تجديد الفكر اليوم ومواكبة وسائل العصر من ضرورات النهضة في العالم الإسلامي، فحتى لا يحدث فجوة بين الفكر الإسلامي والواقع، لابد من إعادة الامتزاج بين الثوابت والوسائل المعاصرة والمرونة في انتقائها وتقبلها وتيسيرها ما دامت ضمن الثوابت الشرعية.

¹ مسلم: صحيح مسلم. كتاب الجهاد والسير. باب صلح الحديبية في الحديبية. (3/1409/1783).

المطلب الثالث: النظر في مآلات العملية الفكرية

فالنظر في مآلات التفكير أصلٌ معتبر شرعاً وفكراً، ذلك أن المفكر لا يمكنه أن يُصدر أحكاماً على مواقف وقضايا إلا بعد النظر في مآلات ذلك الحكم، فقد يكون من التفكير ما يجلب مصلحة أو يدرأ مفسدة، لكن من المآلات ما هو خلاف ذلك.

فنهاية وخاتمة هذا التفكير مفسدة تساوي المصلحة أو تزيد عليها، وفي مراعاة المآلات عند التفكير المواقف الكثيرة للنبي صلى الله عليه وسلم، ومن ذلك موقفه من قتل زعيم المنافقين، فقد روى جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله حينما أشار عليه ابن الخطاب أن يقتل عبد الله بن أبي بن سلول: «دعه، لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه»¹.

ففي قوله صلى الله عليه وسلم "أن محمداً يقتل أصحابه"، معلّم واضح رسمه النبي صلى الله عليه وسلم لأمته من بعده، وهو تقدير المصلحة والمفسدة التي يؤول إليها تفكير المسلم، والموازنة بينهما، فقد رفض النبي صلى الله عليه وسلم ما فكر به عمر رضي الله عنه، وآثر ترك مفسدة فردٍ واحد كأبي بن أبي سلول؛ تحقيقاً لمصلحة المجتمع والدعوة الإسلامية، وسدّاً لذريعة فتنهم.

فالتفكير الذي انتهجه النبي صلى الله عليه وسلم ليس تفكيراً سطحياً تحكمه اللحظة الراهنة؛ بل هو تفكير مبني على ما سيؤول إليه عملياً في نهاية المطاف، فالمآل العملي الواقعي هو الذي كيّف العقل ووجّهه بوصلة تفكيره في اتجاه آخر.

ومن ذلك رفضه صلى الله عليه وسلم لإقتراح عائشة رضي الله عنها برّد بناء الكعبة على قواعد إبراهيم، بقوله صلى الله عليه وسلم: «لولا حدثان قومك بالكفر لفعلت»².

¹ انظر: البخاري: صحيح البخاري. كتاب تفسير القرآن. باب قوله: {سواء عليهم أستمغرت لهم أم لم تستغفر لهم، لن يغفر الله لهم، إن الله لا يهدي القوم الفاسقين} [المنافقون: 6] [154/6/رقم: 4905].

² سبق تخريجه (ص: 35)

وقد مارس الصحابة تفكيرهم مراعيين المآلات، فنرى عمر رضي الله عنه يخالف النبي صلى الله عليه وسلم في تبليغ الناس بأن من قال لا إله إلا الله دخل الجنة، بقوله: «فإنني أخشى أن يتكل الناس عليها، فَخَلَّهم يعملون»¹.

فلا عبرة ولا التفات إلى هدف المفكر في هذا الموضوع فقط، فلو حَسَنَ هدف المفكر وحسنت وسيلة تحقيقه، وكان للزمان والمكان الواقع فيه التفكير دور في الإفضاء إلى نتيجة مغايرة للهدف الموضوع مسبقاً، كإفضائه إلى محرم أو ضرر ما، فلا يعتبر تفكيراً منهجياً سليماً، ولا بد للتوجه الفكري أن يتغير ويُبنى على الواقع الموجود.

في ختام هذا الفصل؛ تأمل الباحثة أن يكون هذا الفصل بمباحثه الثلاثة وتفرعاته قد أَمَدَّ القارئ بصورة واضحة عن موقع كل أصل ودوره في إحداث التغيير الفكري وإكساب العقل منهجيته للتفكير، وتحسب أن إعادة هذه الأصول حيّة بين المسلمين بمُعاودة بناء تفكيرهم وفق أطرها سيكون الطريق لاستعادة حضور الأمة المسلمة في كل مناحي الحياة.

¹ سبق تخريجه (ص: 77)

الفصل الثالث

أهداف التفكير المنهجي وأساليب تنميته ومعيقاته في السُّنة النبوية

مدخل الفصل

إن موضوع "التفكير المنهجي" لا يؤتى ثماره إلا بوجود أهداف وتطلعات يرجى تحقيقها، فوجود المنهج يعني انعدام العشوائية، وانقياده لأهداف معينة، وقد تبين في الفصل الماضي أن المنهج النبوي اتبع قواعد عديدة في التفكير؛ لتحقيق أهداف سامية أرادها النبي صلى الله عليه وسلم، والهدف حتى يتحقق لأبد من طرق وأساليب لتحقيقه.

وتتفرد الأهداف النبوية عن غيرها من أهداف الأمم والثقافات الأخرى وتمتاز عنها؛ بأنها أهداف ثابتة لا تتغير بتغير المجتمعات والأزمنة والأمكنة، فموطن التغيير والتبديل هو الطرق والوسائل لا الغايات والأهداف.

وعلى هذا جاء الفصل على ثلاثة مباحث، يتمثل الأول في: **أهداف التفكير المنهجي**، والثاني: **الطرق والأساليب الملائمة لتنميته**، والثالث: **معوقات التفكير** التي حرص النبي صلى الله عليه وسلم على التنبيه عليها لتجنب تأثيرها على العقل.

المبحث الأول

أهداف التفكير المنهجي في السُّنة النبوية

إن العملية الفكرية هادفة مقصودة، والوقوف على أهدافها تُحدد لنا مسار النشاط الفكري للعقل، وهذه الأهداف إما أن تكون مبعثاً لترقي الإنسان أو مبعثاً لترديه، ويرجع ذلك إلى ما يختاره الفرد من أهداف سامية أو أهداف ضارة.

والنبي صلى الله عليه وسلم أراد تحقيق أهداف النصوص الإلهية وغاياتها النبيلة؛ لتفضي إلى تحقيق مهمة الإنسان في الأرض، وغايته الكبرى، المتمثلة في العبودية لله، وإعمار الأرض واستخلاف المؤمنين، فمهما تعددت الأهداف وتفرعت فإنها تنتهي إلى تلك الغايات الكبرى.

والمقصود بأهداف التفكير المنهجي: النتائج والغايات التي يُراد تحقيقها من خلال العملية الفكرية.

وقد استطاع النبي صلى الله عليه وسلم أن يحقق أهدافاً جمّة، من خلال التفعيل الصحيح للأصول السابقة، وإننا إذا قمنا باستعراض أهداف التفكير في المنهج النبوي؛ فإننا نحاول إثبات أهم الأهداف وأوضحها، وهي تتجلى في مطلبين؛ أولهما: الأهداف الدينية، وثانيهما: الأهداف الدنيوية.

أولاً: تعميق الإيمان بالله، والعمل بمقتضاه

يمكن القول إن من أهم الأهداف التي حرص النبي صلى الله عليه وسلم على تحقيقها من خلال منظومة التفكير المنهجي، هو ترسيخ الإيمان بالله، "فمفتاح الإيمان التفكر فيما دعا الله عباده إلى

التفكر فيه"¹، فزيادة الإيمان وتقويته يعني تقوية العلاقة بين العبد وخالقه، وذلك يورث استقامة الإنسان في السر والعلن، وفي القول والفعل.

نرى ذلك في حديث أبي ذر رضي الله عنه، قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد عند غروب الشمس، فقال: «يا أبا ذر أتدري أين تغرب الشمس؟» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش»².

فثمرة التفكير هاهنا تكون الوصول إلى عظمة الخالق، فالتفكر في آثار هذه الحركة على الحياة في الأرض تُعلم الإنسان أن مثل هذه الدقة في الحركة لا يمكن أن تكون إلا من خالق عظيم لا يشبهه شيء في صفاته وكماله، وهذا الوجود كله بعظمته وعظمة ما فيه مخلوق لله، عابد له وساجد لمرضاته، فلا بد لهذا التفكير إن خلا من المعوقات أن يقود إلى تمكين الإيمان في النفس، وزيادة اليقين بوحداية الله واستحقاقه للعبادة.

قال أبو حامد الغزالي رحمه الله: "يستفاد من الفكر في الخلق لا محالة معرفة الخالق وعظمته وجلاله وقدرته، وكلما استكثرت من معرفة عجيب صنع الله تعالى كانت معرفتك بجلاله وعظمته أتم"³.

وحين ينظر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى السماء متفكراً فيها، تالياً قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: 190]، متبعا لها صلاة إحدى عشرة ركعة⁴، هو ثمرة للتفكير يجدها الفرد عندما يتفكر في خلق السماوات

¹ ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب الجوزية (ت: 751هـ): حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح. بيروت: دار الكتب العلمية. (ص: 57).

² سبق تخريجه (ص: 31).

³ الغزالي: إحياء علوم الدين. (4/447).

⁴ انظر: البخاري: صحيح البخاري. كتاب: تفسير القرآن. باب قوله: {إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب}. (41/6/رقم: 4569).

والأرض، فالتفكير في هذا الخلق، وفي اختلاف الليل والنهار ثمرته زيادة عظمة الخالق في نفس المتفكر، وزيادة الإيمان واليقين باستحقاق خالقها للعبادة، فيلجأ العبد إلى العبادة ويزيد فيها تعظيمًا لله وشكرًا له على نعمه.

ثانياً: استقامة سلوك الأفراد والمجتمع

إن العملية الفكرية في المنهج النبوي في جوهرها عبارة عن عملية تعديل سلوك، فهي ليست نظريات مجردة، إنما تسعى إلى إحداث تغييرات عملية في سلوك الأفراد إلى الأحسن، وتوجيه السلوك نحو الأصوب، من خلال جعل التفكير وسيلة إلى تصويب السلوك الذي سبق فعله أو سيفعله الفرد، وفرز المقبول من المرفوض، والذي من شأنه خلق اتجاهات سلوكية واعية بآثار السلوك وعواقبه. وما فوضى السلوك وسلبيته إلا انعكاس لغياب المنهجية في التفكير، الذي يعلي المصلحة الخاصة على العامة، ويعلي من الشهوات على حساب الأخلاق.

وفي علاقة التفكير بالسلوك قال ابن باديس: "سلوك الإنسان في الحياة مرتبط بتفكيره ارتباطاً وثيقاً؛ يستقيم باستقامته، ويعوج باعوجاجه، ويثمر بإثماره، ويعقم بعقمه؛ لأن أفعاله ناشئة عن اعتقاداته، وأقواله إعراب عن تلك الاعتقادات، واعتقاداته ثمرة إدراكه الحاصل عن تفكيره ونظره"¹.

وأصول التفكير في المنهج النبوي هي بمثابة الإطار الثابت الذي تتحدد في ضوء مفاهيمه ومبادئه ومنطلقاته معالم الشخصية، فهو يسير من خلالها على هدى وبصيرة، ويحول السلوك العشوائي والانفعالي إلى سلوك منضبط، مدروسة عواقبه قبل الإقدام عليه، فأصل التسليم للنص الشرعي مثلاً، والإيمان بمرجعياته في التفكير؛ هو بذاته منهاج كامل للفكر والسلوك، يزيد من اهتمام الفرد بالرقابة

¹ ابن باديس، عبد الحميد بن محمد الصنهاجي: تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير. جمع وترتيب: توفيق محمد شاهين، محمد الصالح رمضان. تعليق: أحمد شمس الدين. بيروت: دار الكتب العلمية. 2009. (ص:102).

الذاتية، فيحرص على دراسة سلوكه ودفعه وتوجيهه توجيهاً سليماً وفق النصوص الشرعية، مخالفاً أهداف الشيطان المضل له عن سواء السبيل.

ومن طبيعة التفكير المنهجي أنه يسد المنافذ أمام الانحراف السلوكي ويبقي المسلم منه، فعندما يجعل النبي صلى الله عليه وسلم الاستقلالية للمسلم أصلاً في التفكير، وينهى عن تقليد غيره من الأمم، في سلوكهم وهيئتهم، وفي هذا نرى حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "خالفوا المشركين: وقروا الحى، وأحفوا الشوارب"، وإنما أمر عليه السلام بذلك؛ لكون حركة الإنسان مرتبطة بالمنهج الفكري، فالاستقلالية بالمنهج عن الأمم الأخرى هو للحفاظ على معالم السلوك الإسلامي للمجتمع.

وحين يأمر النبي صلى الله عليه وسلم المسلم أن يتثبت مما يسمع ويتتبع الدليل ويحاكمه، إنما يفعل ذلك للحفاظ على استقامة سلوكه، بأن لا تسوقه الظنون أو معلومات غير صحيحة إلى سلوك خاطئ، يؤثر على مكانته بين أفراد المجتمع.

ونرى النبي صلى الله عليه وسلم يأمر بتعديل السلوك المبني على تفكير بعيد عن الصواب، واعتماد السلوك الصائب، وهذا المعنى أشار إليه الحديث الذي رواه عبد الرحمن بن سمرة، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «...إذا حلفت على يمين، فرأيت غيرها خيراً منها، فكفر عن يمينك وأت الذي هو خير»¹. فصالح السلوك مبني على صلاح التفكير، وما تغيير السلوك وإصلاحه، إلا وقد سبقه تغيير للتفكير.

¹ البخاري: صحيح البخاري. كتاب: الأيمان والنذور. (8/127/ح: 6622).

وقد حقق النبي صلى الله عليه وسلم غايته، فاستقامت النفوس والقلوب، وأخرج نساءً ورجالاً قادة للمجتمع، وما بلغت الأمة الإسلامية مرحلة قيادة الأمم إلا باستقامتها وتمسكها بأخلاقها الكريمة، وما ضعفت وانهارت وانحرفت عن الجادة إلا بعد انحراف منهجها الفكري.

والنتيجة: أن خلف كل سلوك بنوعيه الحسن والسيئ تفكير يوجهه ويحركه، فما يعتمد عليه الإنسان في تفكيره من أصول وقواعد هي من توجه سلوكه إلى أحد النوعين، وتغيير السلوك لا بد أن يسبقه تغيير التفكير.

ثالثاً: الامتناع عن التقديم بين يدي الله ورسوله

معنى الامتناع عن التقديم بين يدي الله ورسوله: أن لا يتجاوز العقل حدوده بأن يقول في أمر قبل قول الله فيه على لسان نبيه، أو يقترح على الله ورسوله اقتراحاً، وأن لا يقضي في أمر لا يرجع العقل فيه إلى قول الله وقول رسوله¹.

"وهو منهج في التلقي والتنفيذ، وهو أصل من أصول التشريع والعمل في الوقت ذاته، وهو منبثق من تقوى الله، وراجع إليها، هذه التقوى النابعة من الشعور بأن الله سميع عليم"²، وحسبنا أن الله عز وجل قد بدأ سورة الحجرات بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات: 1]، والآية "عامة في النهي عن جميع أحوال التقدم المراد"³، يضم الفكر والقول والعمل، فالله عز وجل يخاطب المؤمنين في كل زمان أن يمتنعوا عن التجاوز في كل حالاته.

¹ انظر: سيد قطب: في ظلال القرآن. (3338/6).

² المرجع السابق.

³ ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (ت: 1393هـ): التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية للنشر. 1984هـ.

(217/26).

وعدم سلوك هذا المسار في التفكير، لا يكون إلا من خلال الأصل الأساسي للتفكير المنهجي القائم على التسليم للنص الشرعي وعدم تجاوز التفكير في غير مدلولاته، فمن الأهداف التي حققها هذا الأصل في المنهج النبوي أن المكلف لا يُقدم على فكر ولا حكم شرعي حتى يعلم حكم الله فيه، ولا يُقدم على فعل دنيوي حتى يعلم عدم مخالفته للنصوص الشرعية.

والتفكير فيما لم يشرعه الله عزّوجلّ، والسؤال عنه هو من التقديم بين يدي الله، فكما روى أبو هريرة رضي الله عنه، عن سؤال أحدهم عن فرضية الحج في كل عام، حيث قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج، فحجوا»، فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو قلت: نعم لوجبت، ولما استطعتم»، ثم قال: «ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه»¹.

فدلالات النص النبوي باعثة إلى تعريف العقل حدوده، وتأديبه بأن لا يتجاوز تفكيره ما شرعه الله، بما يرفع مكانة العقل فوق الوحي بمسابقته للتشريع وجعله حاكمية عليه.

ونجد هذا المعنى في شفاعة أسامة رضي الله عنه للمخزومية التي سُرقت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما كان من النبي صلى الله عليه وسلم إلا أن قال له مؤنباً: «أتشفع في حد من حدود الله؟!»².

فلم يجز لأسامة أن يتقدم بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم معارضاً تطبيق النص بتفكيره، مساقاً نحو عاطفته من جهة، ورافعاً مكانة عقله فوق نصوص الوحي من جهة أخرى، جاعلاً تفكيره

¹ سبق تخريجه (ص: 39).

² سبق تخريجه (ص: 39).

أصلاً شرعياً يحتكم إليه، سائناً النصوص تحت مصالحه، يستثني منها ما يريده، فكل تفكير صدر على هذا الوجه مخالف لأصل التسليم، فلا مزية في عدم اعتباره.

رابعاً: الكشف عن قوانين الله وسننه في الكون والحياة

والكشف عن سنن الله في المجتمعات هدف أساسي من أهداف التفكير المنهجي، شدد النبي صلى الله عليه وسلم عليه، وكرر لفت العقول إليه، ووجه العقول إلى النظر فيما حولهم والاعتبار ممن سبقهم، في الأشخاص والزمان والمكان، والأحوال المتغيرة، للكشف عن معالم سنن الله في الكون وأحوال أهله، للعمل على إعمار الأرض بما ينسجم مع سنن الله وقوانينه.

ولن يتحقق فهم الكون وسننه إلا من خلال رؤية عقلية منهجية، يعرف المسلم من خلالها كيف يجمع ويلم ويقارن ويختزل ويركب وصولاً إلى الحقائق التي يبغيها، فمثلاً الكشف عن السببية والأخذ بشروطها المنهجية؛ كسب كبير للعقل البشري، وإضافة قيمة مكنته من إعادة التشكل في صيغ أكثر قدرة على العطاء والإبداع¹.

ومثل هذا نلمسه في ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم قصص الأمم السابقة في تمكينهم وهلاكهم بحث المسلمين على التفكير فيها لاستخلاص السنن، والاعتماد عليها في تمكينهم وتغييراتهم الاجتماعية والاقتصادية وغيرها، من ذلك ما رواه جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه

¹ خليل: حول إعادة تشكيل العقل المسلم. (ص:50)

وسلم، قال: «...، واتقوا الشُّحَّ¹، فإنَّ الشُّحَّ أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم²»³.

إنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم يعالج نفوسًا بشريَّة تحمِل ذات سمات من سبقوها، فإنَّ البشر يتشابهون بسمات خيِّرة وسمات شريرة، فأراد أن يثير في نفوسهم الخير والكرم والعطاء، ويحررهم من رقة البخل والشح والركون إلى الدنيا والتسابق فيها، فقَصَّ على الصحابة مصيرًا من مصير الأمم الغابرة؛ ليتفكروا فيها، ويأخذوا العبرة من السلوكيات التي أدت لزوالهم، فنبَّه العقول إلى أنَّ الشُّحَّ من المعاصي المهلكة للشعوب التي تنتشر فيها، والمدمرة لاستقرارها؛ وليحضهم على التفكير في العاقبة المريعة لمن يتبع نهج تلك الأمم؛ فيعملوا على صون النفس وتنقيتها من هذا المرض، بما يُبقي على الأمة ويأخذها إلى شط النجاة من مصير تلك الأمم.

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "إنما أهلك الذين قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد"⁴.

¹ الشُّحُّ: الشين والحاء، الأصل فيه المنع، واختلف في الفرق بينه وبين البخل؛ وقيل: البخل في أفراد الأمور وآحادها، والشح عام؛ وقيل: البخل بالمال، والشح بالمال والمعروف، وقيل أن الشح هو أشد البخل، وهو أبلغ في المنع من البخل من حيث كونه بخلا مع حرص ولؤم، فيقال تشاح الرجلان على الأمر، أي أراد كل واحد منهما الفوز به ومنعه من صاحبه. انظر: ابن منظور: لسان العرب (495/2)، الرازي: مقاييس اللغة (178/3). والعسكري: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (ت: نحو 395هـ). معجم الفروق اللغوية. تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي. ط1. مؤسسة النشر الإسلامي. 1412هـ. (ص: 295).

² وإنَّ الحامل على سفك دمائهم، هو حب ذات المال والشغف به وبقائه لديه وجمعه وازدياده، فالشُّحُّ يتفرع من حب المال، فيكون الشُّحُّ على ذهابه في النفقات، والطمع في زيادته، وقد يحرص الإنسان على ضم مال الغير إلى ماله بلا تفكير في العواقب، ولا يدرك مال الغير إلا بالامتناع عن أداء حقوق الغير، أو بالحرب والعصبية المفضية إلى القتل وسفك الدماء واستحلال المحارم. انظر: الصنعاني، محمد بن إسماعيل بن صلاح (ت: 1182هـ): سبل السلام. دار الحديث. (259-658/2). وقد قال سيد قطب في شرح قول الله تعالى: {وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الحشر: 9]: "فهذا الشُّحُّ، شح النفس، هو المعوق عن كل خير؛ لأنَّ الخير بذل في صورة من الصور؛ بذل في المال، وبذل في العاطفة، وبذل في الجهد، وبذل في الحياة عند الاقتضاء، وما يمكن أن يصنع الخير شحيح يهم دائمًا أن يأخذ ولا يهم مرة أن يعطي، ومن يوق شح نفسه، فقد وقى هذا المعوق عن الخير، فانطلق إليه معطيًا بأذلاً كريماً، وهذا هو الفلاح في حقيقة معناه". قطب: في ظلال القرآن. (3527/6).

³ مسلم: صحيح مسلم. كتاب البر والصلة والآداب. باب تحريم الظلم. (4/1996/رقم: 2578).

⁴ سبق تخريجه (ص: 40).

فالتفكير في مصير تلك الأمم وفهم أسباب هلاكهم؛ يخلص إلى الكشف عن سنة اجتماعية مفادها أن انتشار الظلم والفساد والمحسوبية في أي أمة أو مؤسسة أو دائرة ما سيكون مصيرها انهيارها وهلاكها، فالعاقل من يُطَوِّع هذه السنن لسعادته وبقائه، والجاهل من يتجاهلها فيكون مصيره كمصير السابقين.

بالإضافة إلى أن بيان النبي صلى الله عليه وسلم بعض التفاصيل حول ما واجهته الجماعة المؤمنة في الأمم السابقة، من قتل وتعذيب وملاحقة؛ إنما كان ليغذي فكر المؤمنين بأن سنة الصراع بين الحق والباطل موجودة في كل زمان ومكان، وأن وسائل الباطل في صدّ المؤمنين منزوعة الرحمة والإنسانية.

مثال ذلك ما رواه خباب بن الأرت عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: «كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض، فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله، أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون»¹.

فالتفكير في تجارب المؤمنين يضع الأمة أفرادًا وجماعات على الصراط المستقيم الذي يتوافق مع قانون الله في التمكين والنصر، ويقرر أن النصر والتمكين لا يتأتى إلا بالتمحيص والصبر وعدم الاستعجال، وذلك من السنن المهمة التي على الأمة المسلمة مراعاتها اليوم، فلا عودة لتمكين ولا نصر إلا بتضحيات وجهاد وصبر، لا بالقعود والاتكال، "فالنواميس التي تحكم الحياة جارية لا تتخلف، والأمور لا تمضي جزافًا، إنما هي تتبع هذه النواميس، فإذا هم درسوها، وأدركوا مغازيها،

¹ سبق تخريجه (ص: 33).

تكشفت لهم الحكمة من وراء الأحداث...، واستشرفوا خط السير على ضوء ما كان في ماضي الطريق، ولم يعتمدوا على مجرد كونهم مسلمين، لينالوا النصر والتمكين بدون الأخذ بأسباب النصر¹.

خامساً: حل المشكلات على نحو منظم

تتنوع المشكلات التي تواجه الفرد، ما بين مشاكل اقتصادية، واجتماعية، وسياسية وغيرها، وإن نوعية الحلول المقدمة تعتمد على طريقة التفكير التي يتبناها الفرد، بما يتضمن تحليل المشكلة من الأسباب والظروف المحيطة بها، إلى التفكير في الوسيلة المناسبة لحلها.

وقد استطاع النبي صلى الله عليه وسلم توظيف الأداء الفكري الفعال لحل المشكلات التي واجهته في حين، أو واجهت الأمة في حين آخر، من تلك المشكلات:

1. المجاعة التي واجهت المسلمين في فترة من الفترات، فعن عابس بن ربيعة قال: قلت لعائشة رضي الله عنها: أنهى النبي صلى الله عليه وسلم أن تؤكل لحوم الأضاحي فوق ثلاث؟. قالت: «ما فعله إلا في عام جاع الناس فيه، فأراد أن يطعم الغني الفقير»².

فالقرار الذي صاغه النبي صلى الله عليه وسلم من نهيه عن إدخال لحوم الأضاحي فوق ثلاثة أيام، إنما كان هدفه حل مشكلة المجاعة والفقر التي واجهت المسلمين، فقام بداية بالتفكير في الفترة التي هي فيها؛ وهي فترة العيد، وبما فيه من وفرة الأضاحي، فحفر المجتمع المسلم؛ ليتفاعل ويشارك واقعاً في حل المشكلة، بما لا يترتب على الناس الحرج، والذي تمثل بتوزيع باقي الأضاحي على الفقراء بعد الإدخال لثلاثة أيام.

¹ سيد قطب: في ظلال القرآن. (1/478).

² البخاري: صحيح البخاري. كتاب: الأطعمة. باب: ما كان السلف يدخرون في بيوتهم وأسفارهم، من الطعام واللحم وغيره. (7/76/7) رقم: (5423).

2. تحقيق الوحدة الإسلامية

من المشكلات التي كان للتفكير المنهجي دور في حلها؛ مشكلة المهاجرين الاقتصادية والاجتماعية، فلمّا هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة كانت قضية انسجام الناس بعضهم مع بعض، على قمة هرم المشاكل التي سعى النبي صلى الله عليه وسلم إلى التفكير فيها لإيجاد حل لها، إضافة إلى المشكلة الاقتصادية المتعلقة بالمهاجرين، إذ أنهم تركوا أموالهم وأولادهم ومساكنهم¹.

واستطاع النبي عليه السلام بتفكيره الراقي أن يعالج تلك المشكلات بطريقة مبتكرة لم يألفوها من قبل، وهو ما يعرف اليوم بمصطلح التكافل الاجتماعي، والذي يعرف في الفكر الإسلامي "بالإخاء".

قال الشيخ الغزالي في وصفه لهذا الحل: "ومعنى هذا الإخاء أن تذوب عصبية الجاهلية فلا حمية إلا الإسلام؛ وأن تسقط فوارق النسب واللون والوطن، فلا يتأخر أحد ولا يتقدم إلا بمروءته وتقواه، وقد جعل الرسول هذه الأخوة عقدًا نافذًا لا لفظًا فارغًا؛ وعملاً يرتبط بالدماء والأموال لا تحية تثرثر بها الألسنة ولا يقوم لها أثر"².

سادسًا: اكتساب المعرفة الصحيحة

أدوات المعرفة ثلاث، هي: الوحي في ميدان الغيب، والعقل، والحس في ميدان الآفاق والأنفس³، والأفراد يسعون لاكتساب المعرفة؛ لحاجتهم إليها في حياتهم اليومية، وإن النشاط الفكري يُسهم في تعميق المعرفة لديهم، والوصول إلى المعرفة شكل من أشكال الدافعية العقلية الداخلية التي تدفع

¹ انظر: الخزاعي، فائزة بنت عبد الله بن غطيش: المنهج النبوي في التعامل مع المشكلات والأزمات. مجلة الحكمة. ع50/2015م. (ص:424).

² الغزالي، محمد (ت: 1996): فقه السيرة. تخريج: محمد الألباني. ط6. مصر: دار الكتب الحديثة. ط6. 1965. (ص:190).

³ انظر: الكيلاني، ماجد عرسان: فلسفة التربية الإسلامية. ط1. بيروت: دار البشائر. 1407هـ-1987م. (ص:248).

العقل إلى التفكير، فالأفراد ذوي الحاجة العالية إلى المعرفة يتطلب ذلك منهم المزيد من الجهد الفكري بالبحث والسؤال أكثر من غيرهم¹.

ومن طرق اكتساب المعرفة اجتهاد الصحابة رضوان الله عليهم في السؤال عن أحكام بعض المسائل المستجدة في زمانهم؛ لمعرفة موقف الشرع منها، إضافة إلى اتباع النبي صلى الله عليه وسلم أسلوب السؤال والجواب في كثير من المواقف، ليحرك تفكير من حوله، فيوسع مداركهم ومعارفهم، ليدرك المخاطب من خلال السؤال حقائق كان يجهلها.

والمعرفة الصحيحة نجدها عند توافر منهجية تصل إليها، فمثلاً جوابه صلى الله عليه وسلم للمرأة التي جاءت تطلب معرفة حكم قضاء الحج عن أمها، كان بإحالتها إلى التفكير في قضاء الدَّين «أرأيت لو كان على أمك دَيْنُ أكنْت قاضيتها؟»²، دفعها إلى المقارنة بين الحالتين وغيرهما مما تشابهت العلة بينهما؛ للوصول إلى الحكم الشرعي الصحيح في هذه المسألة وفي غيرها.

والنتيجة أن توسيع دائرة المعرفة يتطلب من الإنسان تمرين الذهن على التدبر، والتفكير، وتقليب الأمور على كل وجه ممكن، مما يرقى الذهن، وينمي، ويوسع دائرة الأفكار والمعارف الصحيحة، والعقول الرجيحة، وعدم ذلك أو قلته يضعف القريحة، ويُخمد الفكر، ويُحدِث البلادة، وتستولي عليه الأفكار التي لا تسمن ولا تغني من جوع³.

¹ انظر: جرادات، عبد الكريم، والعلي، نصر: الحاجة إلى المعرفة والشعور بالذات لدى الطلبة الجامعيين دراسة استكشافية. المجلة الأردنية في العلوم التربوية. مج6. ع4/2010م. (ص:320).

الخياط، ضياء قاسم، وسلمان، ربيع حازم: أثر استخدام نموذج مارزانو لأبعاد التعلم في تعديل أنماط التعلم والتفكير لدى طلاب السنة الثالثة في كلية التربية الرياضية. مجلة الرافيدين للعلوم الرياضية. جامعة الموصل. مج19. ع62/2013م. (ص:222).

² سبق تخريجه (ص:28).

³ انظر: السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (ت:1376هـ): الرياض الناضرة. ط1. القاهرة: دار المنهاج. 1426هـ-2005م. (ص:156)، (ص:63).

سابعاً: الوقوف على مقاصد الأمور

يُعدّ التفكير في مقصد ما شرعه الله من جهة، ومقصد أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأفعاله من جهة أخرى؛ محوراً هاماً في جلب العقول نحو درايتها والإحاطة بها، لما للمقاصد من دور في مجارة الواقع المتغير واستيعابه، وفي فهم العوامل المتعلقة بطبيعة الحكم، في حين أن غياب هذا الهدف يعني حضور التفكير السطحي الذي هو عثرة في طريق الفهم الصحيح.

وقد وجّه النبي صلى الله عليه وسلم التفكير إلى معرفة مقصد بعثته عليه السلام، والذي يتجلى لنا فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إنما مثلي ومثل الناس كمثلي رجل استوقد ناراً، فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها، فجعل ينزعهن ويغلبنه فيقتحم¹ فيها، فأنا آخذ بِحُجْرِكُمْ² عن النار، وهم يقتحمون فيها»³. قال ابن حجر: "وحاصله أنه شبه تهافت أصحاب الشهوات في المعاصي التي تكون سبباً في الوقوع في النار بتهافت الفراش بالوقوع في النار اتباعاً لشهواتها، وشبه ذبه العصاة عن المعاصي بما حذرهم به وأنذرهم بذب صاحب النار الفراش عنها"⁴.

فالتفكير في المثال يوصل المخاطب إلى المقصد الأساسي من بعثته صلى الله عليه وسلم خاصة، وبعثة من سبقه من الأنبياء عامة، ألا وهو إرشاد الناس إلى الخير، ونصحهم والمجاهدة بالبيان، والنصح لهم بكل الأساليب والطرق؛ لانتشالهم من غيابة المعاصي، المسببة للوقوع في النار.

¹ أصله القحم، فيقال قحم في الأمر قحوماً، وتقحيم النفس في الشيء: إدخالها فيه من غير روية. انظر: ابن فارس: مجمل اللغة (ص:744). ابن منظور: لسان العرب. (462/12).

² وأصل الحجرة موضع شد الإزار، واحتجز بالإزار إذا شده على وسطه. انظر: ابن منظور: لسان العرب. (332/5).

³ البخاري: صحيح البخاري. كتاب الرقاق. باب الانتهاء عن المعاصي. (102/8/رقم: 6483).

⁴ ابن حجر: فتح الباري. (318/11).

وقوله "فجعل ينزعهن ويغلبهن"، يدل على استمرار النصيح ودفع أنفسهم عن المعاصي، فهو يجاهد في إبعادهم عن النار، وهم مصرّون على الولوج فيما يسبب دخول النار، "فالنفس سريعة الميل إلى الهوى، وفيها بذرة الكبّر على الحق؛ ولذلك تحتاج من يصدها من خارجها عن نكران الحق والإقبال على الباطل"¹، وهذه هي مهمة الرسل.

إن معرفة المسلم حكمة النبوة بوصفها الطريق الوحيد لاستقامة الإنسان، المرشد إلى الحق والناهي عن الباطل؛ يعود بثمرة كبيرة على الإنسان، إنها ثمرة اقتداء المسلم برسولنا، وبذل أقصى جهده في سبيل دعوة الناس؛ لإنقاذهم من النار، مهما واجه من غلظة من المدعوين.

وقد كان الصحابة يستفرغون وسعهم لمعرفة مقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويتضح انتهاج الصحابة لتحقيق هدف فهم مقصد النبي صلى الله عليه وسلم، سؤال عائشة رضي الله عنها عن سبب امتناعه عن هدم الكعبة لإرجاعها على قواعد إبراهيم، فأشار إليها بالمقصد المانع لذلك؛ بقوله «لولا حدثان قومك بالكفر لفعلت»².

أراد النبي صلى الله عليه وسلم تربية العقل السليم على الفهم والتعليل والتحليل بعيداً عن السطحية، وذلك بإدراك مقصد الأفعال والأقوال قبل الإقدام أو الحكم عليها، فتحري المقاصد هو طريق لحسن الفهم المرتبط باستيعاب الواقع وتشعباته.

قال الشاطبي: "النظر في مآلات الأفعال معتبر مقصود شرعاً، كانت الأفعال موافقة أو مخالفة، وذلك أن المجتهد لا يحكم على فعل من الأفعال الصادرة عن المكلفين بالإقدام أو بالإحجام إلا بعد

¹ عامري، سامي: براهين النبوة والرد على اعتراضات المستشرقين والمنصرين. السعودية: مركز تكوين للدراسات والأبحاث. ط1. 1438هـ - 2017م. (ص:29).

² سبق تخريجه (ص:35).

نظره إلى ما يؤول إليه ذلك الفعل، مشروعًا لمصلحة فيه تستجلب، أو لمفسدة تُدرأ، ولكن له مآل على خلاف ما قصد فيه"¹.

ثامناً: تحقيق الحصانة الفكرية، بحماية العقل من الأفكار الهادمة

ونعني بالحصانة الفكرية: "حفظ الفكر وصيانته مما يعكر صفوه من الأفكار الهدامة أو الدخيلة، أو الشبهات المضللة، وحمايته من الانحراف، وتحصينه بالعلم والمعرفة في مواجهة كل فكر منحرف"².

والمسلمون اليوم يواجهون تحديات عديدة؛ لعل في مقدمتها الأمن والحصانة الفكرية، والذي لا سبيل إلى تحقيقه إلا بالتمسك بأصول التفكير المنهجي، التي تقوم على مبدأ دراسة المسلم لأي فكرة تُعرض عليه، ثم تحليلها؛ لبيان صحتها من سقمها، فإن وجدَ المسلم بأن تلك الفكرة مما لا ينبغي له أن يتبناها؛ دفعها العقل إلى الخارج وأعرض عن متابعتها، وتعتبر هذه المنهجية بمثابة سد منيع للأجيال أمام الأفكار الغربية الهادمة؛ بتمييز الخبيث ورفضه من الطيب وقبوله.

والناظر في الأحاديث النبوية يجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم قام بتحسين العقل من الأفكار الخاطئة على محورين اثنين؛ يتمثلان في ذمّ من يُحدّث بكل ما يسمع، والبيان الفكري لصواب المفاهيم من خطئها، وبيانها كالاتي:

المحور الأول: ذمّ من يُحدّث بكلّ ما يسمع دون تفكر في ذلك المسموع

¹ الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي (ت: 790هـ): الموافقات. تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان. ط1. القاهرة: دار ابن عفان. 1417هـ-1997م. (5/177).

² الزهراني، حسن بن محمد بن علي الدعيبي: الأمن الفكري لدى الطلاب مظاهره وصوره وطرق الوصول إليه. مجلة كلية التربية. جامعة أسيوط. مج32. ع3/2016م. (ص:291).

ومثال ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع»¹.

أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم لأئمة تشكيل مناعة معرفية للعقل ضد الأفكار القائمة على وهم أو خطأ ما، ومنع دخولها إلى العقل وتشربها إياها، وذلك من خلال الدعوة إلى التفكير في أي فكرة قد تُسمع، والامتناع عن تصديق أي فكرة بدون دليل معتبر، "فاتباع الدليل ...، يوجب له القوة والعدة والسلاح، والمادة التي يستلزم بها في طريقه"²، فيتجنب المسلم الخبيث من الأفكار، ويتبنى الصحيح النافع؛ ليقوم بعدها باستثمارها، ونقلها إلى الناس للبناء عليها، وهذا ما دعا إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر: 18]، أي "يستمعون ما يستمعون من القول، فتلتقط قلوبهم أحسنه وتطرد ما عداه"³.

وفي ضوء ذلك يقول أحمد السيد: "إن العناية بغرس معاني التفكير الصحيح، القادر على التمييز بين المقبول والمردود من المعلومات، يعتبر أمراً مهماً جداً في التحصين من الشبهات وتعزيز المناعة الفكرية"⁴.

وبغير ذلك نمح الأفكار الخاطئة تأشيرة الدخول لعقولنا، فتكون العاقبة انحرافاً عن الصراط المستقيم، وتشويهاً للسلوك، وسرعان ما تنمو تلك الآفات بين الناس وتشوش عليهم رؤية الحقيقة، فتغدو أفكاراً مسلّمة عند عوام الناس، لا تقبل الإزالة ولا التبديل، ولا حتى التأويل، هذه المخاوف شكّلت حافزاً

¹ مسلم: صحيح مسلم. المقدمة. باب النهي عن الحديث بكل ما سمع. (10/1/رقم:5).

² ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب الجوزية (ت: 751هـ): مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. تحقيق: محمد المعتمد بالله البغدادي. ط3. بيروت: دار الكتاب العربي. 1416هـ-1996م. (458/1).

³ قطب، سيد قطب إبراهيم الشاربي (ت: 1385هـ): في ظلال القرآن. ط17. القاهرة: دار الشروق. 1412هـ. (3045/5).

⁴ السيد، أحمد يوسف: سابغات. ط3. مركز تكوين للدراسات والأبحاث. 1438هـ-2017م. (ص:45).

للنبيّ صلى الله عليه وسلم للتشديد على من نقل الأخبار دون معرفة صحتها، والنظر في مآلات نشرها.

المحور الثاني: البيان الفكري لصواب المفاهيم من خطئها:

ومثال ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه، قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا عدوى ولا صفر ولا هامة¹» فقال أعرابي: يا رسول الله، فما بال إبلي، تكون في الرمل كأنها الظباء، فيأتي البعير الأجرب فيدخل بينها فيجربها؟ فقال: «فمن أعدى الأول؟»².

جاء سؤال الأعرابي لشبهة مشاهدة بعينه، فالمرض ينتقل بمجرد اقتراب البعير الأجرب من السليم، فجاء الجواب العقلاني: "فمن أعدى الأول؟" أي أنّ المرض ابتداءً من الله، ولكنه أوجد أسباب المرض ومنها العدوى.

وقد قصّد الرسول صلى الله عليه وسلم من إجابته نفي ما كان يعتقد الصحابي من اعتقاد أصحاب الطبيعة؛ فإنهم كانوا يرون أن العلل المُعدية مؤثرة لا محالة، فأعلمهم بقوله هذا أن ليس الأمر على ما تتوهمون، بل هو متعلق بالمشيئة³.

¹ قيل أن الصفر هي حية تكون في البطن تصيب الماشية والناس، وقيل أنها أعدى من الجرب، فكان أهل الجاهلية يعتقدون أنها تقتل صاحبها بذاتها، دون ربطه بالأجل، فرد ذلك رسول الله، وقال: لا يموت أحد إلا بأجله. وقيل أن معنى قوله (لا صفر) إبطال ما كان أهل الجاهلية يفعلونه من تأخير المحرم إلى صفر في التحريم. أما الهامة في قوله (لا هامة)، فإنها اسم طائر كانت العرب تسميه الصدى، وقيل: إنه ذكر اليوم، وقيل أن النبي صلى الله عليه وسلم أراد إبطال ما كان أهل الجاهلية يقولونه في ذلك، وذلك أنهم كانوا يقولون: إذا قتل الرجل فلم يطلب وليه بدمه ولم يثار به خرج من هامته طائر يسمى الهامة فلا يزال يزفر عند قبره حتى يثار به. انظر: ابن بطال: شرح صحيح البخاري. (417/9). والخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم البستي (ت: 388هـ): معالم السنن. ط1. حلب: المطبعة العلمية. 1351هـ-1932م. (233/4).

² البخاري: صحيح البخاري. كتاب الطب. باب لا صفر. (128/7) رقم: (5717).

³ انظر: الطيبي، شرف الدين الحسين بن عبد الله (ت: 743هـ): شرح الطيبي على مشكاة المصابيح (الكاشف عن حقائق السنن). تحقيق: عبد الحميد هندائي. ط1. الرياض: مكتبة نزار مصطفى الباز. 1417هـ-1997م. (2979/9).

فلم يَغْضُ الرُّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الطَّرْفَ عَنِ الْفِكْرَةِ الْخَاطِئَةِ الَّتِي عَرَضَهَا الْأَعْرَابِيُّ، بَلْ وَاجَّهَهَا بِكُلِّ وَضُوحٍ وَعَقْلَانِيَّةٍ؛ لِيُوجِّهَ الْعَقْلَ إِلَى الْمَسَارِ الصَّحِيحِ الْمَقْرَرِ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ وَإِرَادَتِهِ فِي كُلِّ اتِّجَاهٍ، عَنِ طَرِيقِ التَّفَكِيرِ فِي أَسْبَابِ الظَّاهِرَةِ الْمَقْرَرَةِ مِنْ قَبْلِ الْعَقْلِ وَتَحْلِيلِهَا، ثُمَّ الْمَقَارَنَةِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَسْبَابِ الْحَالَةِ الْأُخْرَى الَّتِي اسْتَشْكَلَهَا الْعَقْلُ، لِيَصِلَ بِنَفْسِهِ إِلَى اسْتِئْصَالِ الشَّبْهَةِ مِنْ جُذُورِهَا.

وَبَيَانِ الرُّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْأَفْكَارِ الْخَاطِئَةِ، يَكُونُ عَقُولًا حَذَرًا مِنْ قَبُولِ أَيِّ فِكْرَةٍ، مَهْمَا كَانَ حَجْمُهَا، بِغَيْرِ الْبَحْثِ وَالتَّنْقِيبِ عَنْ صَحَّتِهَا أَوْ سَقَمِهَا، فَيُعْطِي الْعَقْلُ الْقُوَّةَ لِلْقَبُولِ وَالرَّفْضِ، لِيَكُونَ بِذَلِكَ الْمُسْلِمُ سَيِّدَ نَفْسِهِ وَقَرَارَاتِهِ.

كَمَا أَنَّ مِنْ بَابِ الْحَصَانَةِ الْفِكْرِيَةِ مُحَارَبَةَ الْجُمُودِ الْفِكْرِيِّ، فَدَعْوَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -مِثْلًا- إِلَى الْإِسْتِقْلَالِ الْفِكْرِيِّ تَحْرِيرَ لِلْعَقْلِ مِنَ التَّقْلِيدِ الْأَعْمَى، الَّذِي يَسْمَحُ لَهُ بِقَبُولِ الْاجْتِهَادِ وَالتَّجْدِيدِ الْمَوْزُونِ بِقَوَاعِدِنَا وَأَصُولِنَا، وَالتَّبْنِيِ وَالْمُوَافَقَةِ لِلْأَرَاءِ بَعِيدًا عَنِ التَّعَصُّبِ وَالتَّقْدِيسِ وَالتَّمَجِيدِ، وَقَبُولِ التَّفَكِيرِ فِيهَا وَفِي حَقِيقَتِهَا وَنَقْدِهَا وَالْبِنَاءِ عَلَيْهَا بِمَا يَلْبِي حَاجَاتِ الْمَجْتَمَعِ الْمُتَغَيِّرِ.

بِالإِضَافَةِ إِلَى أَنَّ رَسْمَ الْمَنْهَجِ النَّبَوِيِّ لِحُدُودِ التَّفَكِيرِ يَحْصُنُ الْعَقْلَ مِنَ الضَّلَالَاتِ، وَيَحْمِيهِ مِنَ الْإِنْحِرَافِ، فَحِينَمَا يَخَاطَبُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُسْلِمِينَ فِي قَوْلِهِ الَّذِي رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا، مَنْ خَلَقَ كَذَا، حَتَّى يَقُولَ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَغْذِ بِاللَّهِ وَلْيَنْتَه"¹، فَهُوَ يَضْبِطُ حُدُودَ انْطِلَاقِهِ فِي التَّفَكِيرِ لِيَصِلَ إِلَى السَّلَامَةِ وَالْهَدْيِ، "وَحِينَمَا اسْتَطَرَدَّتْ عُقُولُ بَشَرِيَّةٍ مُسْلِمَةٍ فِي غَيْرِ مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، أَنْهَالُوا قَوْلًا وَإِيمَانًا فِي

¹ سبق تخريجه (ص: 38).

غيبيات لم تحك بها آيات الله أو أحاديث وردت عن رسول الله، ذابت المناعة الفكرية لديهم وهلكوا وأضاعوا أنفسهم وأوقاتهم في غير المفيد فهلكوا¹.

وفي زماننا المعاصر، ومع كثرة الأفكار الغربية الدخيلة على عقول المسلمين، وتأثرهم الواضح بها، من الضروري العمل على تفعيل أصول التفكير المنهجي؛ لتكون حصناً منيعاً ضد الأفكار الهادمة.

تاسعاً: تقليل هامش الاختلاف الفكري المجتمعي

لقد اعتبر النبي صلى الله عليه وسلم اختلاف الأفكار حقيقة طبيعية، سائراً على المنهج القرآني القائل: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَالْوَلَوْنِكُمْ﴾ [الروم: 22]، نجد ذلك في تعامله مع المواقف التي تشهد اختلافاً في الآراء، فلم يعمد إلى تهميش هذه الحقيقة، بل كان متفهماً لها، لكنه في الوقت ذاته هدف إلى تقليل هامش الاختلاف بإضافة سمة المنهجية عليه، فيكون اختلافاً موجهاً بناءً لا يؤدي إلى شقاق ونزاع بين أفراد المجتمع.

أما ما يؤدي إلى خلاف ونزاع وتفرق؛ فهو مذموم جاء النهي عنه، وهو مصداق قوله تعالى:

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل

عمران: 105]، أما احتضان الخلاف وتوجيهه وفق أصول التفكير المنهجي يقود إلى حسن تدبير الاختلاف، وتوجيهه إلى الاتجاه الصحيح المنتج، فالحوار مع الطرف الآخر هو الأصل الفكري الأهم في إدارة الاختلاف، فمن خلاله تُفهم وجهة نظر الآخر، مما يؤدي إلى إحداث تقارب في وجهات النظر، والتأليف بينها، أو ترجيح الأصوب على غيره.

¹ خليل، إسراء عطا: الحصانة الفكرية في السنة النبوية دراسة موضوعية. (ص: 106).

وقد سجلت السُّنة النَّبوية مواقف عديدة في حُسن تدبير النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم للاختلاف، من ذلك: موقف عمر رضي الله عنه في اختلافه مع النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم على صلح الحديبية، وذلك في الحديث الذي رواه أبو وائل، قال: كنا بصفين، فقام سهل بن حنيف، فقال: أيها الناس اتهموا أنفسكم، فإننا كنا مع رسول الله يوم الحديبية، ولو نرى قتالا لقاتلنا، فجاء عمر بن الخطاب، فقال: يا رسول الله، ألسنا على الحق وهم على الباطل؟ فقال: «بلى». فقال: أليس قتلنا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: «بلى»، قال: فعلام نعطي الدنيا في ديننا، أنرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقال: «يا ابن الخطاب، إني رسول الله، ولن يضيعني الله أبدًا»، فانطلق عمر إلى أبي بكر فقال له مثل ما قال للنبيِّ صلى الله عليه وسلم، فقال: إنه رسول الله، ولن يضيعه الله أبدًا، فنزلت سورة الفتح فقرأها رسول الله على عمر إلى آخرها، فقال عمر: يا رسول الله، أو فتح هو؟ قال: «نعم»¹.

فلم ينكر النبيِّ صلى الله عليه وسلم على عمر رضي الله عنه رأيه، بل استمع إليه وفهم مقصده وفحوى غضبه، فما كان منه إلا أن أجاب إجابة هادئة مقنعة، خففت من هامش الاختلاف، بقوله: «يا ابن الخطاب، إني رسول الله، ولن يضيعني الله أبدًا»، فقد أحاله على أصل مهم لتفكيره وهو التسليم لأمر الله، العالم بخفايا الأمور، فلما نزل الوحي كان ملزما للعقل أن يسكت عن التفكير.

فلم ينسف النبيِّ صلى الله عليه وسلم رأيه المخالف، ولم يطفئ عقله، بل دلَّه على المنهج الصحيح القائم على الأصل الفكري ليعمل تفكيره في ضوئه، من خلال الحوار الفكري، لتكون النتيجة تنظيمًا للاختلاف إلى تقليه ثم إزالته، وكانت أسئلة عمر رضي الله عنه في حوار مع النبيِّ صلى الله عليه وسلم تنمُّ عما لديه من علم بأحكام القرآن، وذلك ساعد في أن يكون الحوار بناءً يقلل من الاختلاف، وتكون نتيجته الفهم والاعتناع العقلي.

¹ البخاري: صحيح البخاري. كتاب الجزية. (4/103/رقم: 3182).

المبحث الثاني

طرق وأساليب تنمية التفكير المنهجي في السُّنة النبوية

تشير معاجم اللغة إلى أن التنمية في اللغة تدور حول معاني: النماء والزيادة والكثرة في الأشياء¹، والارتقاء²، والتطوير للشيء³. فكلها تدور حول تحسين الشيء والارتقاء به.

أما على صعيد المعنى الاصطلاحي، فجاء تعريف التنمية بتعريفات متعددة، كل حسب المجال الذي يعمل فيه، فهناك تنمية اجتماعية، وتنمية تعليمية، وتنمية صحية وغيرها، جميعها تدور حول كونها: عملية مقصودة مستمرة ومخطط لها، للوصول إلى تغيير مُنظم⁴.

وفي ضوء المعنى اللغوي والاصطلاحي بإمكاننا القول إن المقصود بتنمية التفكير: عملية تساعد على إحداث تغيير وارتقاء بمستوى الأداء الفكري للفرد، من خلال مجموعة من الطرق والأساليب، تُكسب العقل القدرة على التطور المستمر في إنتاجه الفكري، والتحسين المتزايد في نوعية الأفكار المنتجة.

فالتفكير المنهجي مهارة عقلية تُنمى بالاطلاع والتوجيه، وبالممارسة العملية والتدريب المتواصل، فلا يُخلق المرء ممارساً له، ولا تنمو هذه المهارة تلقائياً، بل تحتاج إلى الصبر والمثابرة، ويرتبط إلى حدٍ

¹ انظر: الزبيدي: تاج العروس. (132/40)

² انتمى فلانٌ إلى فلان، إذا ارتفع إليه في النسب. وكلُّ ارتقاء: انتماء. ونمى الخضابُ والسعرُ: ارتفع وغلا.

انظر: الهروي: تهذيب اللغة. (371/15-372). الفارابي: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. (2516/6)

³ نمى الأمر: طوره. انظر: عبد الحميد، أحمد مختار (ت: 1424هـ): معجم اللغة العربية المعاصرة. عالم الكتب. ط1. 1429هـ. (2289/3).

⁴ انظر: أبو النصر، مدحت محمد: تنمية الموارد البشرية "مناهج واتجاهات وممارسات". ط1. القاهرة: الروابط العالمية للنشر والتوزيع. 2009م. (ص: 13-15).

كبيرِ بنجاح الطريقة والأسلوب¹ المتَّبَع، فتوظيف الطُّرُق والأساليب توظيفًا موفَّقًا يعالج الكثير من فساد المنهج، وضعف التفكير الصحيح، لذا فمن الضروري أن تُستقرئ الطرق والأساليب التي اتبعها النبي عليه الصلاة والسلام في ذلك، وستقسّم وتُعرَض في هذا المبحث في أربعة مطالب، أولها: التنمية الصامته، وثانيها: استفزاز العقل، وثالثها: مراعاة الميول والقدرات العقلية، ورابعها: التنمية الذاتية.

المطلب الأول: التنمية الصامته

المقصود بالتنمية الصامته: التنمية بالقُدوة الحسنة، والتي تُعبّر عن "نموذج أو مثال يتبدى في السلوك القولي والفعل، يثير في نفس المقتدي الإعجاب، فيتأثر بصاحبه عن قناعة وإدراك؛ مما يحمله على التأسّي به"².

إن من السهل وضع المنهج للفكر والسلوك، لكن هذا المنهج يظل جبرًا على ورق ما لم يتحول إلى حقيقة واقعة تتحرك في واقع الأرض، وما لم يتحول إلى بشر يترجمه بأفكاره وبسلوكه وتصرفاته ومشاعره، عندئذ فقط يتحول المنهج إلى حقيقة، ويعرف الناس صحته فيتبعوه³.

ويُعدّ أسلوب القدوة من أنجح الأساليب المؤثرة في تنمية التفكير المنهجي، "فحاجة الخلق إلى قدوة أمر معلوم في كل باب"⁴، وهي وإن كانت مرتبطة بالأداء العملي الدال عليها، إلا أنها تمثل أسلوبًا

¹ اختلف حول مصطلحي الطريقة والأسلوب، فالبعض جعل المصطلحين ذات المعنى ويحملان نفس الدلالة، والبعض الآخر فرّق بينهما، ونحن نتبنى الرأي الثاني. وإنّ من فرّق بينهما ذهب إلى أن الطريقة أعمّ وأشمل من الأسلوب، فالطريقة تضمّ التقويم والأساليب والمحتوى، بينما الأسلوب هو الكيفية التي يتناول بها طريقة التنمية عند الاتصال اللفظي أو الجسدي الحركي بين القائم بعملية التنمية ومستقبلها، وقد تختلف الأساليب من شخص لآخر بينما تتفق الطريقة. انظر: فايزة، بوعالية: طرائق وأساليب التدريس. معهد التربية البدنية والرياضية - جامعة حسينة بن بو علي الشلف. 2019م. (ص:15). ولجنة معيار التدريس والتعلم: إستراتيجية التدريس والتعلم والتقويم. كلية التربية النوعية - جامعة المنيا. 2016/2017م. (ص:5-6).

² أبو دف، محمد خليل: مقدمة في التربية الإسلامية. ط3. مكتبة آفاق. 1428هـ-2007م. (ص:129).

³ انظر: قطب، محمد: منهج التربية الإسلامية. ط4. دار الشروق. 1400هـ-1980م. (1/180).

⁴ عامري: براهين النبوة والرد على اعتراضات المستشرقين والمنصرين. (ص:30).

فعالاً في التنمية الفكرية للمخاطبين، ولها الأثر الكبير على مسار تفكيرهم، ذلك أن التفكير المنهجي ليس مجرد مجموعة من القواعد المجردة، ولكنّه طريقة في التعامل مع ظروف الحياة وقضاياها، وتعامل الإنسان مع غيره، فالفرد الذي يرى أمامه صاحب عقلية ناضجة يؤدي العملية الفكرية بمنهجية منضبطة؛ يمثّل بالنسبة إليه أنموذجاً حياً لمسار العقل يقتدي به.

ولأهمية القدوة الحسنة في تعليم قواعد التفكير المنهجي كان النبيّ صلى الله عليه وسلم القدوة يسبق فعله قوله؛ ليكون أكثر أثراً في كسب الثقة بتلك القواعد لغرسها والاقتناع بها من جهة، وألاّ تصير قواعد التفكير في نظر المتعلم مجرد أقوال نظرية تقولها الألسن وتقتصر عنها الأفعال، فحين يرى الصحابة أن من يتخذوه قدوة يمارس هذه القواعد، تصبح جزءاً لا يتجزأ من فكرهم وسلوكهم، وهو مصداق قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: 21]، فرؤية الصحابة للنبيّ صلى الله عليه وسلم مثلاً يواكب الواقع ويتفاعل مع قضاياها، موظفاً تفكيره في مواجهة مشكلاته، ينمي عندهم فقه الواقع، ويدفعهم إلى التفاعل معه من خلال تمثله قدوة حسنة أمامهم.

كما أن نقل هذه القواعد ونشرها بين الناس يكون ممكناً وأكثر سهولة من خلال القدوة الحسنة من غيرها من الأساليب، فيستلهم الأفراد من القدوات الأصول وتتشربها عقولهم ليتمثلوها فيما بعد اقتداء بهم، وانتهاجاً لنهجهم الفكري الرفيع.

أما في زمن كزماننا غابت فيه القدوات الحسنة، واتخذ المسلمون وخاصة الشباب منهم القدوات السيئة مثلاً يحتذى به، يشار إليهم بالبنان، وتفتح لهم القنوات الإعلامية الأبواب على مصراعيها، بينما نرى العالم والمتقف والتقي ومن هم كالنجوم التي يهتدي بها المرء في ليل شديد السواد، نجدهم مع بالغ الأسى والحزن والأسف قد قيدتهم الأغلال، أو كُمت أفواههم بتهديد ووعيد.

المطلب الثاني: إثارة دافعية العقل للتفكير

المقصود هنا: إيجاد الرغبة في المتعلم، وتحفيزه على إعمال العقل وفق قواعد التفكير المنهجي، تحقيقاً للأهداف.

والنبيّ صلى الله عليه وسلم كان حريصاً على دفع الصحابة إلى التفكير، وتحفيزهم على ممارسة أصوله المنهجية، وذلك بأساليب متعددة تسهم في الرقي بمستواهم الفكري والمعرفي، وتمثلت أساليبه في: طرح السؤال، والحوار، وضرب المثال، والعصف الذهني، وانتهاز الفرص والأحداث، وبيانها كالآتي:

الأسلوب الأول: إثارة الدافعية من خلال طرح السؤال

يعد استخدام السؤال في إثارة الدافعية لدى المتلقي من أكثر الأساليب أهمية لشدّ قوى ذهن وتحفيزه للوصول إلى الحقائق، فمع "السؤال تصاغ مسألة التفكير...، وما التفكير سوى مسألة محددة صيغت في قالب سؤال، والبحث عن إجابة السؤال المطروح يُكسب عملية التفكير طابعاً منظماً وهادفاً"¹.

وقد أكثر النبيّ صلى الله عليه وسلم من استخدام أسلوب السؤال في تنمية التفكير؛ لقناعته بالدور الريادي الذي يحققه، ومن ذلك: ما رواه أبو هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «أتدرون ما المفلس؟» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: «إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة، وصيام، وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا،

¹ الغريزي، سعدي جاسم عطية، والعبادي، إيمان يونس إبراهيم: مهارات تفكير حل المشكلات لدى طفل الروضة. مركز الكتاب الأكاديمي. 2020م. (ص:30).

وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار»¹.

لا يشترط من الاستفهام المشوق أن يتم طرح الجواب الذي في بال السائل، إنما قد تكون الغاية منه استدراج المخاطب إلى ما يلحق الاستفهام من كلام، وعادة ما يواصل السائل كلامه دون أن يعلق على ما أجابه المخاطب²، وهذا ما نلاحظه في الحديث أعلاه، فقد أجاب الصحابة وفق ظاهر السؤال، مع احتراستهم في الجواب بقولهم: "المفلس فينا"، وكأنهم أدركوا أن النبي صلى الله عليه وسلم سيعطي مدلولاً للفظ غير ما عهدوه³.

ولقد أراد النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك غرس قيمة العدل في النفوس، بتنبية أصحابه إلى عظم الظلم عند الله، وعظيم العقاب المنتظر، ولتقريب هذا المعنى إلى العقول سألهم سؤالاً عاماً يحمل عدة معان، يستثير فيه اهتمامهم، ويأخذ انتباههم، تاركاً لهم المجال لمحاولة تحديد المقصود وفهم ذاك العموم، فلما أجابوا بما هو ظاهر لهم، بين لهم ما كان يرنو إليه، بأنه أراد معنى الإفلاس بالمقياس الأخروي لا الدنيوي.

وهذا الطرح منه صلى الله عليه وسلم مدّ المخاطبين بنظرة جديدة حول الموضوع، بأن هيأ عقولهم للمقارنة بين المعنى المستحضر في ذهنهم "المادي" وبين ما سيلقيه عليهم "المعنوي"، فبقارنوا بين

¹ مسلم: صحيح مسلم. كتاب البر والصلة والآداب. باب تحريم الظلم. (4/ 1997/رقم: 2581). وفي الباب أحاديث كثيرة يطول ذكرها، منها حديث أبو بكرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ألا أخبركم بأكبر الكبائر؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين». انظر: صحيح البخاري (8/ 61/رقم: 6273). وحديث حارثة بن وهب أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ألا أخبركم بأهل الجنة؟» قالوا: بلى، قال صلى الله عليه وسلم: «كل ضعيف متضعف، لو أقسم على الله لأبره» ثم قال: «ألا أخبركم بأهل النار؟» قالوا: بلى، قال: «كل عتل جواظ مستكبر». انظر: صحيح مسلم (4/ 2190/رقم: 2853).

² انظر: الزنّاد، الأزهري: دروس البلاغة العربية نحو رؤية جديدة. ط1. بيروت: المركز الثقافي العربي. 1992م. (ص: 117).

³ انظر: عيدة، ناغش: أسلوب الاستفهام في الأحاديث النبوية في رياض الصالحين دراسة نحوية بلاغية تداولية. (رسالة ماجستير). جامعة مولود معمري. الجزائر. 2012م. (ص: 87).

نتائج كل منهما، ليثبت في أذهانهم أن نتائج الإفلاس الأخرى هي الأعظم وخسارته لا تعوض، تنبيهاً لعقولهم، فيدخل كل منهم نفسه في دائرة الموضوع، ليراجعها ويصحح مسارها، ليتجنبوا كل أسباب الإفلاس الأخرى، مثلما يحرص الفرد على تجنب أسباب الإفلاس الدنيوي.

الأسلوب الثاني: إثارة الدافعية من خلال الحوار

إذا كانت إثارة الدافعية للتفكير ومناقشة الأفكار طريقة لتنمية التفكير المنهجي؛ فإنَّ الحوار هو الأسلوب الأمثل الذي تتجسد فيه هذه الطريقة، فإنَّ "الحوار المنهجي، مفيد في إيصال الفكرة للآخرين، ومفيد أيضاً في تدريب المُحاور نفسه؛ إذ أنه يرتقي بطريقته في التفكير وفي الأداء، ويعلمه ضبط نفسه ولسانه، ويقوي لديه ملكة المحاكمة والتفكير المتزن، مما يجعله مقبولا من الآخرين بدرجة أكبر، ويجعل احتمال اقتناعهم بأفكاره أكبر أيضاً"¹.

وقد سجلت السُنَّة النبوية مواقف كثيرة في استخدام أسلوب الحوار، من ذلك حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع عائشة -رضي الله عنها- عن الحساب يوم العرض، فيما رواه ابن أبي مليكة، أن عائشة رضي الله عنها، زوج النبي صلى الله عليه وسلم: كانت لا تسمع شيئاً لا تعرفه، إلا راجعت فيه حتى تعرفه، وإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من حوسب عذب» قالت عائشة: فقلت أوليس يقول الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: 8] قالت: فقال: "إنما ذلك العرض، ولكن: من نوقش الحساب يهلك"².

¹ الندوة العالمية للشباب الإسلامي: في أصول الحوار. ط5. السعودية: مكتب جدة. 1419هـ-1998م. (ص:7).

² سبق تخريجه في هامش (ص:60). والأمثلة على تطبيق النبي صلى الله عليه وسلم للحوار في استئثار التفكير كثيرة، من ذلك حديث أبي هريرة أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، ولد لي غلام أسود، فقال: «هل لك من إبل؟» قال: نعم، قال: «ما ألوانها؟» قال: حمر، قال: «هل فيها من أورك؟» قال: نعم، قال: «فأني ذلك؟» قال: لعله نزع عرق، قال: «فلعل ابنك هذا نزع». صحيح البخاري (53/7/رقم:5305). ومن ذلك ما رواه ابن الزبير أن عائشة، رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: دخل رهط من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: السام عليكم، قالت عائشة: ففهمتها فقلت: وعليكم السام واللعة، قالت: فقال رسول الله

فلاحظ قول الراوي "كانت لا تسمع شيئاً لا تعرفه، إلا راجعت فيه حتى تعرفه" فهي تسأل وتداول لتصحح أخطاءها الفكرية، وتستدرك النقص، وتقوم تفكيرها وما ينتج عنه من أفكار وآراء، ففتح المجال لمناقشة الأفكار كان له دور في استمرار ارتفاع الدافعية لديها، للانخراط بشكل فعلي منهجي في التفكير وبشكل دائم، وكلما كثرت مثل هذه الحوارات؛ كلما ارتفعت تلك الدافعية لمعرفة أفكار ومعارف أخرى، والبحث عن الصحيحة منها، وهذا كله مع الوقت نمت قدراتها العقلية، وأصبحت قدرتها على التصحيح أعلى، وصارت قادرة على مواجهة أي فكر جديد، وهذا ما كان من عائشة رضي الله عنها، فكان كثير من الصحابة يرجعون إليها فيما أشكل عليهم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم¹.

إضافة إلى أن الحوار يرفع من درجة الحرص على تحري الصواب وإيجاد الحجة، فانظر إلى ما اعتمدت عليه عائشة رضي الله عنها في حوارها لما سمعته من الرسول صلى الله عليه وسلم، فهي أتت بدليل قرآني ظننت من ظاهره أنه عكس ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا من القواعد المنهجية التي حرص النبي صلى الله عليه وسلم على تنميتها في عقول المسلمين.

صلى الله عليه وسلم: «مهلاً يا عائشة، إن الله يحب الرفق في الأمر كله» فقلت: يا رسول الله، أولم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قد قلت: وعليكم»، صحيح البخاري (12/8/رقم: 6024).

¹ الأمثلة على ذلك كثيرة، منها: ما رواه عبد الله بن شقيق، قال: سألت عائشة عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، عن تطوعه؟ فقالت: «كان يصلي في بيتي قبل الظهر أربعاً، ثم يخرج فيصلي بالناس، ثم يدخل فيصلي ركعتين... الحديث». مسلم: صحيح مسلم. كتاب صلاة المسافرين وقصرها. باب جواز النافلة قائماً وقاعداً، وفعل بعض الركعة قائماً وبعضها قاعداً. (1/504/رقم: 730). وما رواه الأسود، قال: سألت عائشة عن الرقية؟ فقالت: «رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأهل بيت من الأنصار في الرقية من كل ذي حمة». المرجع السابق. كتاب السلام. باب استحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة. (4/1724/رقم: 2193). وما رواه علقمة، قلت لعائشة رضي الله عنها: هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، يختص من الأيام شيئاً؟ قالت: " لا، كان عمله ديمة، وأيكم يطيق ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطيق. البخاري: صحيح البخاري. كتاب الصوم. باب: هل يخص شيئاً من الأيام. (3/42/رقم: 1987). وما رواه عن عطاء بن أبي رباح، قال: زرت عائشة مع عبيد بن عمير، فسألها عن الهجرة، فقالت: «لا هجرة اليوم، كان المؤمن يفر أحدهم بدينه إلى الله وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم، مخافة أن يفتن عليه، فأما اليوم فقد أظهر الله الإسلام، فالؤمن يعبد ربه حيث شاء ولكن جهاد ونية». المرجع السابق. كتاب المغازي. باب. (5/152/رقم: 4311)

فنخلص إلى أن الحوار وسيلة مثلى لتنمية القدرة على التفكير، بعرض الأفكار وتبادلها، والأخذ بالرد، مما يحصن الفكر ويزيده ثباتاً ورسوخاً، على أن يكون ذلك وفق منهج العقل المنضبط بالشرع¹.

الأسلوب الثالث: إثارة الدافعية من خلال ضرب المثل

استخدم النبي صلى الله عليه وسلم أسلوب ضرب المثل من البيئة التي يعيشها المسلم، فقام "بتشبيه شيء بشيء في حكمه، وتقريب المعقول من المحسوس، أو أحد المحسوسين من الآخر، واعتبار أحدها بالآخر"².

والأمثال تفيد في تربية العقل على التفكير الصحيح والقياس المنطقي السليم، لكون معظم الأمثال تنطوي على قياس تذكر مقدماته ويطلب من العقل أن يتوصل إلى النتيجة، التي لا يصرح بها في كثير من الأحيان، بل يشير إليها ويترك للعقل معرفتها³.

ومثال ذلك ضرب النبي صلى الله عليه وسلم مثلاً على تباين مواقف الناس وقابليتهم في الانتفاع بهديه وعلمه، فيما رواه أبو موسى الأشعري، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن مثل ما بعثني الله به عز وجل من الهدى والعلم، كمثل غيث أصاب أرضاً، فكانت منها طائفة طيبة، قبلت الماء فأنبتت الكأ⁴ والعشب الكثير، وكان منها أجادب⁵ أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا

¹ انظر: عبد الله، عودة: الحوار في السُّنة ودوره في محاربة التطرف. مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية). جامعة النجاح الوطنية. نابلس. فلسطين. مج34. ع12/ 2020م. (ص: 2138-2139).

² ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب الجوزية (ت: 751هـ): إعلام الموقعين عن رب العالمين. تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1411هـ-1991م. (1/116).

³ انظر: النحلوي، عبد الرحمن: أصول التربية الإسلامية في البيت والمدرسة والمجتمع. ط3. دمشق: دار الفكر. 1425هـ-2004م. (ص: 203-204).

⁴ الكأ: "النبات والعشب، وسواء رطبه ويابس". ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر. (4/194).

⁵ الأجادب: "صلاب الأرض التي تمسك الماء فلا تشربه سريعاً، وقيل هي الأرض التي لا نبات بها، مأخوذ من الجذب". المرجع السابق (1/242).

منها وسقوا ورعوا، وأصاب طائفة منها أخرى، إنما هي قِيعَانٌ¹ لا تمسك ماء، ولا تتبت كلاً، فذلك مثل من فُقِّه في دين الله، ونفعه بما بعثني الله به، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً²، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»³.

لقد جاء ذكر الأصناف الثلاثة من الناس، وتصوير تفاصيل مواقفهم من الهدى على أسلوب تمثيلي لغتاً لانتباه المخاطبين وتوجيهاً لتفكيرهم واستثارتهم نحو وجهة محددة، فالوصف من خلال ضرب المثل أحوى لاستحضار العقل لثمرة الانتفاع بالهدى والعلم من عدمه، واختزال الحقائق الفكرية الثلاث في العقل، فلفتُ العقل إلى ظواهر كونية تراها الأعين دافعاً لاستثارتهم وتحريكه للتفكير فيها، وربطها بالموضوع المطروح مقارنةً وتحليلاً، فكما أنَّ الأرض إذا أخذت الماء أنبتت أو حبسته فنفعت غيرها به، فكذلك مَنْ أخذ المنهج الإلهي فاز ونجا بانتفاعه به ونفعه غيره، فكان لضرب المثل الأثر الأكبر في تصوير المعنى وزيادة تفاعل العقل مع الموضوع المطروح؛ باستخراجه واستنباطه للمعنى؛ ليكون أرسخ للمتلقيين وأوضح في عرض الصورة، بحيث يختار كل فرد في أي فريق لا بد أن يكون،

¹ قِيعَان: "جمع قاع والقاع أرض حرة لا رمل فيها ولا يثبت فيها الماء لاستوائها ولا غدر فيها تمسك الماء فهي لا تتبت الكلاً ولا تمسك الماء". ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن (ت: 597هـ): غريب الحديث. تحقيق: عبد المعطي أمين القلعجي. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1405هـ-1985م. (274/2).

² معنى قوله "لم يرفع بذلك رأساً": أي أعرض عنه ولم يلتفت إليه لتكبره، فلم ينتفع به ولا نفع. انظر: ابن حجر: فتح الباري. (177/1). والبرزماوي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الدائم العسقلاني (ت: 831هـ): اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح. ط1. سوريا: دار النوادر. 1433هـ-2012م. (400/1).

³ مسلم: صحيح مسلم. كتاب الفضائل. باب بيان مثل ما بعث به النبي من الهدى والعلم. (4/ 1787/رقم: 2282). لقد قصد النبي صلى الله عليه وسلم تمثيل تباين مواقف الناس بالنسبة لما جاء به من الهدى، بالأرض المستقبلة للغيث، فكما الأرض ثلاثة أنواع بالنسبة للغيث، فالناس كذلك بالنسبة للهدى الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم. فالنوع الأول من الأرض: ينتفع بالمطر، وينبت الكلاً، فيحیی بعد أن كان ميتاً، فتنتفع بها الناس والدواب، وكذا النوع الأول من الناس يبلغه الهدى والعلم فيحفظه فيحيا قلبه ويعمل به ويعلمه غيره فينتفع وينفع. والنوع الثاني من الأرض: مالا تقبل الانتفاع في نفسها لكن فيها فائدة وهي إمساك الماء لغيرها فينتفع بها الناس والدواب، وكذا النوع الثاني من الناس لهم قلوب حافظة لكن ليست لهم أفهام ثاقبة يستنبطون به المعاني والأحكام، وليس عندهم اجتهاد في الطاعة والعمل به، فهم يحفظونه حتى يأتي طالب محتاج متعطش لما عندهم من العلم فيأخذه منهم فينتفع به وينفع به، فهؤلاء نفعوا بما بلغهم. والنوع الثالث من الأرض: لا تنتفع بالماء ولا تمسكه لينتفع بها غيرها، وكذا النوع الثالث من الناس ليست لهم قلوب حافظة ولا أفهام واعية، فإذا سمعوا العلم أعرضوا عنه واستكبروا على صاحبه، فلا ينتفعون به ولا يحفظونه لنفع غيرهم. انظر: النووي: شرحه على مسلم. (48-47/15).

فيحرص أن يُسابق ويسارع ليظفر بكونه فردًا من الفئة المنتفعة والنافعة، متجنبًا الفريق غير المنتفع وغير النافع.

الأسلوب الرابع: إثارة الدافعية من خلال العصف الذهني

يُعرف العصف الذهني بأنه: وسيلة للحصول على أكبر عدد من الأفكار من مجموعة من الأفراد، تُعرض المشكلة عليهم في جلسة قصيرة تسمح بظهور كل الأفكار في جو من الحرية والأمان، يكون المخاطب في قمة التفاعل مع الموقف، وتصلح هذه الطريقة في القضايا والموضوعات المفتوحة¹.

ومن التطبيقات النبوية على استخدام هذا الأسلوب بيان علاقة صفات النخيل بصفات المسلم، فيما رواه ابنُ عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم، حدثوني ما هي» قال: فوقع الناس في شجر البوادي قال عبد الله: فوقع في نفسي أنها النخلة، فاستحييت، ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله، قال: «هي النخلة»².

استخدم النبي صلى الله عليه وسلم صورة المسلم محقّرًا لتوليد الأفكار، وشحذًا لتفكير الحاضرين في صفات المسلم وحصرها وتعدادها في العقل، ثم الربط بينها وبين ما يحيط بهم من الأشجار المدروسة، و"سياق الحديث يؤكد بذل الصحابة جهدهم في التفكير والتأمل، فقد ذكر الراوي: "وقع الناس في شجر البوادي" فقد عصفوا أذهانهم، وأعملوا أفكارهم، وأبدوا آراءهم في عدد من شجر البادية، ولمّا

¹ انظر: أبو النصر، مدحت: تنمية القدرات الابتكارية "لدى الفرد والمنظمة". مجموعة النيل العربية. 2004م. (ص: 153). والبارودي، منال أحمد: العصف الذهني وفن صناعة الأفكار. ط1. القاهرة: المجموعة العربية للتدريب والنشر. 2015. (ص: 39).

² البخاري: صحيح البخاري. كتاب العلم. باب طَرَحَ الإِمَامُ الْمَسْأَلَةَ عَلَى أَصْحَابِهِ لِيُخْتَبَرَ مَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ. (1/ 22 / رقم: 62). وشبه النخلة بالمسلم في كثرة خيرها ودوام ظلها وطيب ثمرها ووجوده على الدوام، فبركة النخلة موجودة في جميع أجزائها مستمرة في جميع أحوالها فمن حين تطلع إلى أن تبيس توكل أنواعا ثم بعد ذلك ينتفع بجميع أجزائها حتى النوى في علف الدواب والليف في الحبال وغير ذلك مما لا يخفى، وكذلك بركة المسلم ومكارم أخلاقه وعباداته في جميع الأحوال، خيره ونفعه مستمر له ولغيره. انظر: النووي: شرح النووي على مسلم. (154/17). وابن حجر: فتح الباري. (145/1-146).

لم يصلوا إلى الحل الصحيح، أفصح لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مراده، وذكر لهم الإجابة الصحيحة¹.

فالإثارة الحرة لتفكير الحاضرين، حفزت العقول على التفكير لتقديم أفضل أفكار وأجودها، ومثل هذا الأسلوب يرفع من قابلية الفرد ومواصلته للمشاركة بحماس في طرح أفكاره في كل موقف أتيح له دون تخرج أو عائق.

الأسلوب الخامس: انتهاز الفرص والأحداث لاستثارة التفكير

استطاع النبي صلى الله عليه وسلم انتهاز الفرص لاستفزاز العقل على ممارسة التفكير، من خلال انتهازه فرصة حصول حدث ما أمامه وأمام المتعلمين، وتوجيهه في تنمية تفكيرهم، وترسيخ القيم المطلوبة، فيكون هناك توافق بينها وبين الحدث الواقع، فيحدث الفهم العميق والتأثر الكبير في تعزيز الفكر الصحيح وتصويب المعوج منه².

مثال ذلك: ما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ بالسوق، داخلا من بعض العالية³، والناس كَنَفَتَهُ⁴، فمرَّ بِجَدِّي⁵ أَسَكَّ⁶ مَيِّت، فتناوله فأخذ بأذنه، ثم قال: «أيكم يحب أن هذا له بدرهم؟» فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء، وما نصنع به؟ قال: «أتحبون أنه

¹ الخراط، زلفى بنت أحمد: استخدام مهارة العصف الذهني في الدعوة إلى الله "دراسة دعوية على أحاديث مختارة من صحيح البخاري". مجلة العلوم الشرعية. جامعة القصيم. مج14. ع1442/3هـ-2021م. (ص:2603).

² انظر: الشريف، محمد بن شاعر: نحو تربية إسلامية راشدة من الطفولة حتى البلوغ. ط1. الرياض: مجلة البيان. 1427هـ. (ص:88).

³ (العالية): من كل شيء أرفعه، وما فوق نجد إلى تهامة إلى ما وراء مكة. انظر: مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط. (2/625).

⁴ والناس كنفته: أي جانبه. النووي: شرح النووي على مسلم. (18/93).

⁵ الجدي: "يفتح الجيم وسكون الدال، ولد المعز بعدما يفطم ابن ستة أشهر". قلعي، محمد رواس، وقنيبي، حامد صادق: معجم لغة الفقهاء. ط2. دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع. 1408هـ-1988م. (ص:161).

⁶ "أَسَكَّ" من قصرت أذناه، وقيل مقطوعهما. انظر: الخطابي: غريب الحديث. (2/351). وابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر. (2/384).

لكم؟» قالوا: والله لو كان حيًّا، كان عيباً فيه، لأنه أسك، فكيف وهو ميت؟ فقال: «فوالله للدنيا أهون على الله، من هذا عليكم»¹.

ففي هذا الحديث أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبين مكانة الدنيا وهوانها على الله، وأن من ابتغى الدنيا فهو خاسر، ومن ابتغى الآخرة فهي الباقية، ولتأكيد هذا المعنى استثمر الحدث الحاصل أمامه والمشاهد للعيان، فلم يصرح بما أراده من معنى، بل اقترب من الجدي أخذاً بأذنه، فالصحابة يبصرونه، ويترقبون كلامه، فاستغل صلى الله عليه وسلم انتباه العقول إلى ذلك الحدث، ليطلع فيها ما يريد من توجيهات تناسب الحادثة، فكما أن ذاك الجدي يترفع عنه الناس ويحتقرونه، فإن قيمة الدنيا في ميزان الله أقل وأدنى من قيمة هذا الجدي عندهم، وكما مات الجدي غير آسف صاحبه عليه؛ فإن الدنيا ستزول غير مأسوف عليها.

يقول القرضاوي تعليقاً على الحديث: "إنها وسيلة لم يشتريها، ولم يصنعها، ولم يتكلف أو يفتعل في الاستعانة بها، إنها وسيلة يراها الناس، ويمرون بها كثيراً، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يتخذ منها أداة لتوضيح قيمة الدنيا التي يتهافت الناس بل يقتتلون عليها، إن هذا الدرس في تفاهة الدنيا عند الله -بجوار الآخرة- لا يمكن أن يُمحى من الذهن أو يُنسى من الذاكرة"².

¹ مسلم: صحيح مسلم. كتاب الزهد والرقائق. (4/ 2272/رقم: 2957). ونجد استثمار النبي صلى الله عليه وسلم للحدث في حديث عمر بن الخطاب السابق ذكره (ص: 28)، حيث قال: قدم على النبي صلى الله عليه وسلم سبي، فإذا امرأة من السبي قد تحلب ثديها تسقي، إذا وجدت صبياً في السبي أخذته، فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا النبي صلى الله عليه وسلم: «أترون هذه طارحة ولدها في النار» قلنا: لا، وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال: «لله أرحم بعباده من هذه بولدها». ومن ذلك حديث أبي واقد الليثي، قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد فأقبل ثلاثة نفر، فأقبل اثنان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذهب واحد، فأما أحدهما، فرأى فرجة في الحلقة، فجلس وأما الآخر فجلس خلفهم، فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أما أحدهم: فأوى إلى الله، فأواه الله، وأما الآخر: فاستحيا فاستحيا الله منه، وأما الآخر: فأعرض فأعرض الله عنه». صحيح البخاري (102/1/رقم: 474).

² القرضاوي: الرسول والعلم. (ص: 144-145).

وإن صورة الحدث تحدد للعقل منهجًا فكريًا يسير المسلم عليه في تعامله مع الحياة، وفي تعديل سلوكه تجاهها، فتصبح هذه الصورة حاضرة عند انطلاق المسلم في حياته الدنيا وأشغالها، فلا يجعل المسلم الدنيا هي المحركة لتفكيره، وإنما يجعل من غاية الآخرة دافعا لاستثمار الدنيا كوسيلة نحو التفكير الصحيح الجالب للخير، والمحقق لرضا الله.

المطلب الثالث: مراعاة الميول الشخصية والقدرات العقلية

لقد مارس النبي صلى الله عليه وسلم عملية التنمية من خلال أساليب وطرق تناسب ميول المخاطبين وقدراتهم العقلية، فمن خلال ملاحظة الأفكار الناتجة ودراساتها؛ يتمكن المفكر من معرفة قدرات المخاطبين وتحديد ميولهم، مما يساعده على استثمار الأسلوب المناسب لها، وما يحقق نتائج ناجعة.

أولاً: مراعاة الميول الشخصية

إن معرفة النبي صلى الله عليه وسلم ميول المسلم نحو الثواب ورغبته في تحصيل الأجر الأخروي، دفعه إلى استخدام: أسلوب الترغيب بالحسنات، والترهيب بفقدانها في تنمية التفكير المنهجي لديهم.

ويطلق هذا المصطلح على: "الوسائل الدافعة لفعل الشيء أو المانعة من فعله"¹.

وإن معرفة ميول الأفراد دور في فعالية هذا الأسلوب، وأثره على استقامة التفكير، فإن "الإنسان إذا لاحت له رغائب في طريق الخير يتوجه لها، تكون له هذه الرغائب بمثابة القوة المزيّدة مع فكره الذي حرصه على السعي الحثيث في ذلك السبيل"².

¹ الدليمي، طه علي حسين، والشمري، زينب حسن نجم: أساليب تدريس التربية الإسلامية. ط1. عمان/ رام الله: دار الشروق. 2003م. (ص:66).

² همداني، كفايت الله: الترغيب والتهذيب في السياق القرآني. مجلة القسم العربي. الجامعة الوطنية للغات الحديثة. إسلام آباد. باكستان. ع2015/22م. (ص:94).

ومن الأمثلة على اتباع النبي صلى الله عليه وسلم لأسلوب الترغيب والترهيب ما رواه ابن عباس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، فيما يروي عن ربه عز وجل قال: قال: «إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك، فمن همّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو هم بها فعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبع مائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو هم بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة»¹.
وهمّ بالشيء: أي: "نواه، وأراد، وعزم عليه"²، وفي معجم لغة الفقهاء: "ما يرد على الفكر، ويستقر في النفس"³.

لقد أوحى الله عز وجل إلى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يبشر أمته بأنه يثيبها على تفكيرها في المعروف والخير وإن لم تخرجه إلى حيز الوجود، فيكتب له حسنة كاملة، فإن عمل ما فكر به فيكتب عشرة حسنات، وإذا فكر في معصية، فلا تُكتب عليه ذنبا، ما لم يعمل بجوارحه⁴.
وقد أدرك النبي صلى الله عليه وسلم أن الفرد إذا استثيرت ميوله إلى شيء زاد اهتمام العقل به، وسرعان ما يتحول تفكيره إلى نشاط عملي يملأ حياته رغبة في الوصول إلى ما يميل إليه ويرغب فيه، فالترغيب في التفكير في عمل الخير يثير في العقل تطلعا نحو الأفضل، طمعا بالحسنات المضاعفة.

ومقابلة النبي صلى الله عليه وسلم بين جزاء الحسنات وجزاء السيئات؛ هو حث للتفكير الصحيح للنظر في مآلات العمل قبل القيام به؛ لاختار العقل عن قناعة بعد التفكير في العاقبة، كما أن منح

¹ البخاري: صحيح البخاري. كتاب الرقاق. باب من هم بحسنة أو سيئة. (8/103/رقم: 6491).

² الربيعي: تاج العروس من جواهر القاموس. (34/118).

³ قلعي، وقنيبي: معجم لغة الفقهاء. (ص: 495).

⁴ انظر: لاشين: فتح المنعم شرح صحيح مسلم. (1/418-419).

الجزء الحسن لمن يعدل تفكيره من الشر إلى الخير لأجل الله ورضاه يدفع بالنشاط الفكري لتصحيح مساره في مواقفه القادمة.

إضافة إلى اختيار النبي صلى الله عليه وسلم لفظ "بحسنة" بدلا من "من هم بعمل حسنة" فالتفكير يكون بالعمل، والحسنة هي جزاء، وما ذلك إلا زيادة في الترغيب في استقامة التفكير، فهو يخاطبهم بما تتحرك به النفس مباشرة دون مقدمات، "فالمرء بطبيعته يحب النفع العاجل، ويؤثر أن يجني ثمار استقامته"¹.

ثانيا: مراعاة القدرات العقلية، والفروق بينها

المقصود بالفروق العقلية الفردية: الاختلاف القائم بين الناس في المستوى العقلي، أي من حيث قدراتهم العقلية².

ويأتي الاهتمام بقياس القدرات العقلية والفروق في مستواها بين الأفراد في الاستعدادات والقدرات لتنظيم عملية التنمية، فاختلاف الناس في الاستعدادات والقدرات العقلية يؤدي بطبيعة الحال إلى اختلاف في طريقة تفكيرهم، وبالتالي سلوكهم وطريقة تعاملهم مع المواقف، فكان على الرسول صلى الله عليه وسلم أن يوجه كل فرد إلى نوع التنمية الملائم لاستعداداته وقدراته³.

¹ الغزالي، محمد: مع الله دراسات في الدعوة والدعاة. ط6. مصر: نهضة مصر للطباعة والنشر. 2005م. (ص:247).

² انظر: منصور، عبد المجيد سيد أحمد، والتوجيهي، محمد بن عبد المحسن، الفقي، إسماعيل محمد: علم النفس التربوي. ط9. الرياض: مكتبة العبيكان. 1434هـ-2014م. (ص:276). والإمارة، أسعد شريف: سيكولوجية الفروق الفردية علم النفس الفارقي. ط1. عمان: دار الصفاء للنشر. 1435هـ-2014م. (ص:25).

³ انظر: علم النفس التربوي. (ص309-308).

ولقد أصّلت السُّنَّة النَّبَوِيَّة للفروق العقلية بقوله صلى الله عليه وسلم في ختام حجة وداعه: «فليبلغ الشاهد الغائب، فَرُبَّ مبلغ أوعى من سامع»¹، قال الشوكاني: "أي رُبَّ شخص بلغه كلامي فكان أحفظ له وأفهم لمعناه من الذي نقله له"².

وقد قام المنهج النبوي على استثمار هذه الطريقة في تنمية التفكير المنهجي وفق عدة أساليب، منها:

الأسلوب الأول: أسلوب التكرار

يحفل الخطاب الفكري النبوي باستخدام أسلوب التكرار اللفظي³، فقد كان من عادة النبي صلى الله عليه وسلم «إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً، حتى تفهم عنه...»⁴، ويؤكد أهميتها، فقد يكون من الصحابة من يقصر فهمه عن وعيه فيكرر الرسول صلى الله عليه وسلم الكلام ليفهم، وإما أن يكون القول فيه بعض الإشكال فيتظاهر بالبيان⁵، وما دام البيان والتبليغ هو المهمة الأساسية في الخطاب الفكري النبوي، فهذا أمر يقتضي التكرار مراعاة لاختلاف حالة المتلقين، وتباين مستوياتهم في التلقي⁶.

ومثاله تنبيه النبي صلى الله عليه وسلم على شهادة الزور: فيما رواه أبو بكر رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟» ثلاثاً، قالوا: بلى يا رسول الله، قال:

¹ البخاري: صحيح البخاري. كتاب الحج. باب الخطبة أيام منى. (2/ 176 / رقم: 1741).

² الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني (ت: 1250هـ): نيل الأوطار. تحقيق: عصام الدين الصبابي. ط1. مصر: دار الحديث. 1413هـ-1993م. (367/3).

³ التكرار نوعان، نوع يكرر المتكلم اللفظة الواحدة، ونوع يكرر المعنى، والمراد من النوعين تأكيد الوصف أو المدح أو الذم أو التهويل، أو الوعيد أو الإنكار أو التوبيخ أو الاستبعاد أو الغرض من الأغراض. انظر: الحموي، ابن حجة تقي الدين أبو بكر الأزاري (ت: 837هـ): خزائن الأدب وغاية الأرب. تحقيق: عصام شقيو. بيروت: دار ومكتبة الهلال ودار البحار. 2004م. (361/1).

⁴ البخاري: صحيح البخاري. كتاب العلم. باب من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عنه. (30/1 / رقم: 95).

⁵ انظر: العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري. (115/2).

⁶ انظر: رزقي، حورية: لغة الخطاب التربوي في صحيح البخاري بين التبليغ والتداول. مركز الكتاب الأكاديمي. 2018م. (ص: 75).

«الإشراك بالله، وعقوق الوالدين -وجلس وكان متكئاً فقال- ألا وقول الزور»، قال: فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت¹.

قصد النبي صلى الله عليه وسلم من تكرار قوله: "ألا وشهادة الزور"، أن ينقل إلى عقول مخاطبيه خطورة شهادة الزور وغلظة الفعل، مبالغة في التنفير منه أولاً، ولتأكيد في العقول بمختلف مستوياتها، وعدم ضياعه ثانياً، فلا ذريعة لمقصر ولا تبرير لمتراخٍ أو متغافل.

إضافة إلى ذلك تعديل النبي صلى الله عليه وسلم جلسته، "فكان متكئاً فجلس"، وهذا من شأنه إبراز الفعل للعقل وخطورته بصورة مختلفة عن ما سبق ذكره من أمور، فيجيء التنبيه على الفكرة وقد تهيأت العقول بمستوياتها لاستقباله وفهم خطورته، ويأتي التكرار موسعاً هذا المعنى، بالإضافة إلى أن الفكرة المكررة تُلحّ على العقل وتشغله وتسيطر عليه، فيصير أكثر مراقبة لتفكيره وضبطاً لمنهجيته التي تقود إلى دفع الظلم وتحقيق العدل وتحصيل حقوق الناس، وهذا لا يكون إلا بالامتناع عن شهادة الزور وأداء الشهادة بحق.

الأسلوب الثاني: الكتابة والرسومات

تختلف القدرات العقلية في كيفية استيعابها، فنجد بعض الناس يميل إلى المسموع، ويعرضهم إلى المرئي المقروء، لذلك نجد الرسول صلى الله عليه وسلم يقدم الأفكار مراعيًا هذا الاختلاف باستخدام الوسائل التي تساعد كل فئة على تجاوز صعوبات التنمية لديها.

¹ البخاري: صحيح البخاري. كتاب الشهادات. باب ما قيل في شهادة الزور. (3/ 172/رقم:2654).

ومن تلك الوسائل التمثيل بالإشارة والرسم، ويكمن دورها في أنها تقدم للمخاطب رؤية كلية للموضوع، وتبني له صورة ذهنية وصورة مرئية في آن واحد، عندها فإن الصورة الذهنية تساعد العقل على استدعاء الفكرة المعروضة كلما واجه موقفًا له علاقة به¹.

ومن الأمثلة النبوية تمثيله لطول أمل الإنسان، فيما رواه عبد الله رضي الله عنه، قال: خط النبي صلى الله عليه وسلم خطأ مربعًا، وخط خطأ في الوسط خارجًا منه، وخط خطأ صغارًا إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط، وقال: «هذا الإنسان، وهذا أجله محيط به -أو: قد أحاط به- وهذا الذي هو خارج أمله، وهذه الخطط الصغار الأعراض²، فإن أخطأه هذا نهشه هذا، وإن أخطأه هذا نهشه هذا»³.

هدف الرسول صلى الله عليه وسلم من هذه الوسيلة إيضاح الفكرة المطروحة، وتقريب المعاني المجردة إلى العقول؛ لترسيخها، فقد أخذ النبي صلى الله عليه وسلم بعين الاعتبار أن المستوى العقلي والقدرات الفكرية يختلف زيادة ونقصًا من صحابي إلى آخر من جهة، وتتوع المعارف ومدى تعقيدها من جهة أخرى⁴، ليقوم العقل بتركيز قدراته الفكرية على هذا الرسم لفهم مغزاه، وما يحمله من رسائل

¹ انظر: ملكاوي، فتحي حسن: البناء الفكري مفهومه ومستوياته وخواصه. ط1. عمان: المعهد العالمي للفكر الإسلامي. 1436هـ-2015م. (ص:156).

² الأعراض: جمع عرض وهو الجانِب، والعارض: الآفة تعرض في الشيء، هذه الخطوط "الأعراض"، أي الآفات والعياهات من المرض والجوع والعطش وغيرها. انظر: الزمخشري: الفائق في غريب الحديث. (2/415)، وابن منظور: لسان العرب. (7/169). والفَتْي، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي (ت: 986هـ): مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار. ط3. مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية. 1387هـ-1967م. (3/566).

³ البخاري: صحيح البخاري. كتاب الرقاق. باب في الأمل وطوله. (8/89/رقم: 6417). "في حديث ابن مسعود أمل ابن آدم وأجله وإعراض الدنيا التي لا تفارقه بالخطوط، فجعل أجله الخط المحيط، وجعل أمله وإعراضه خارجة من ذلك الخط، ومعلوم في القول أن ذلك الخط المحيط به الذي هو أجله؛ أقرب إليه من الخطوط الخارجة منه... وفي هذا تنبيه من النبي صلى الله عليه وسلم لأئمة على تقصير الأمل، واستشعار الأجل خوف بغيته الأجل، ومن غيب عنه أجله فهو حري بتوقعه وانتظاره خشية هجومه عليه في حال غرة وغفلة، ونعوذ بالله من ذلك، فليُرَضِ المؤمن نفسه على استشعار ما نُبه عليه، ويجاهد أمله وهواه ويستعين بالله على ذلك". ابن بطال: شرح صحيح البخاري. (10/150).

⁴ انظر: الحاجي، عبد الوهاب: منهج التربية والتعليم عند رسول الله. بيروت: دار الكتب العلمية. 2010م. (ص:2).

تفيده في طريقه، فحقيقة الإنسان وقرب أجله يدفعه إلى السعي الصحيح في هذه الحياة بما يخدم حياته القادمة التي قد تأتي في أي لحظة، فيصير أكثر استقامة وحرصًا على استقامة تفكيره والرقى بأهدافه، وكلما لاح تفكيره إلى الانحراف في مواقف مستقبلية، استرجع العقل الرسم النبوي ليرجعه إلى الطريق السوي.

الشكل (1)

رسمًا تقريبياً لما رسمه النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث¹.



لقد كان باستطاعته صلى الله عليه وسلم عرض الرسالة كلامًا، لكنه على علم بأن القدرات الفكرية لبعض الأفراد متدنية بالمقارنة مع غيرهم، وخشية من ضياع الأفكار المطروحة أثر صلى الله عليه وسلم تقديم الفكرة سمعيًا وبصريًا مراعيًا الفروق الفكرية.

وما أحوج مؤسساتنا التعليمية في عصرنا إلى مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين، والرجوع إلى الهدي النبوي، بالاعتداء به وتوظيف أساليبه في مراعاة الفروق التعليمية لدى الطلاب كافة، ومعرفة حاجة كل فئة منهم، فتشمل عملية التنمية جميع مستويات الطلبة، فيحقق لها الرقي إلى الأهداف المنشودة بكافة مستويات الطلبة.

¹ ملكاوي، فتحي حسن: أنواع التفكير: رؤية تكاملية في السياق الحضاري المنشود. إسلامية المعرفة: مجلة الفكر الإسلامي المعاصر. ع94. (ص:43).

المطلب الرابع: التنمية الذاتية

ونقصد بالتنمية الذاتية: ذلك الجهد الذي يبذله الفرد لتطوير مهاراته وقدراته الفكرية ذاتيًا، عن طريق الممارسة، وتعامله مع محيطه ومشاكله بشكل مستمر؛ من أجل تحقيق مستويات متقدمة من النجاح والتميز الشخصي وذلك وفق القيم الإسلامية¹.

والسنة النبوية زاخرة بالأمثلة التي توجه المسلم وترشده في تنمية ذاته، من خلال:

أولاً: توجيهه نحو التجارب الشخصية

فالأخذ بالتجارب الماضية والاعتبار بها تُعبر عن وعي أفضل نضجًا، وتساعد على رؤية الأحداث من أفق ما كان ينبغي أن تجري عليه، وفي هذا تنمية للحاسة النقدية، وتدريب للعقل على تطوير أساليب عمله².

وقد حثَّ النبي عليه السلام أصحابه على اللجوء إلى تجاربهم الماضية في مواجهة المشاكل والمواقف، واعتبارها مصدراً لدفع تفكيرهم إلى الصواب وتجنب الضرر؛ من ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا يلدغ المؤمن من جحرٍ واحد مرتين»³.

و"المثل النبوي مستوحى من فكرة أن الرجل إذا أدخل يده في جحر لصيد أو غيره، ولدغته حيّة في يده؛ عليه أن لا يعاود إلى هذا الجحر حتى لا يلدغ منه مرة ثانية، وإذا عاود الكرة انتقت منه صفة الحلم والذكاء"⁴.

¹ انظر: جرادات، محمد سليمان، والشيخ، سارة عارف: الموجز في أصول التربية الإسلامية. عمان: دار الخليج للصحافة والنشر. 2017م.

(ص:24). ومجموعة مؤلفين: أثر التنمية الذاتية للفرد المسلم في ضوء التربية الإسلامية. 2011م. (ص:158).

² انظر: بكار، عبد الكريم: جدد عقلك. عمان: دار الإعلام. ط1. 1423هـ-2003م. (ص:94).

³ البخاري: صحيح البخاري. كتاب الأدب. باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين. (8/31/رقم:6133).

⁴ الطائي، محمد علي إبراهيم حسين: الاستعارة في الحديث النبوي (صحيح البخاري). بيروت: دار الكتب العلمية. 2014م. (ص:146).

ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يَعي أن لكل فرد تجاربه الخاصة، هي حصيلة احتكاكه المباشر بظروف الحياة وفي تعاملاته مع الناس، فوجهه إلى هذه التجارب لدراستها، والاستفادة منها في مواجهة مشكلات حاضره ومستقبله؛ عن طريق ضرب مثال عن جحر الأفعى، فمن يدرك بتجربته أن في جحرٍ ما أفعى امتنع من العودة إليه، وكذلك الاعتبار بأخطاء التجارب السابقة وكشف الحفر الفكرية التي سقط الفرد فيها؛ تقيه من الوقوع فيها مرة أخرى، لكونه أكثر إحاطة بمتطلبات الموقف أو المشكلة المفكر فيها، مما لو واجهها أول مرة.

ثانيا: توجيهه نحو تجارب الآخرين

يُعدّ أسلوب السرد القصصي من الأساليب التي اتبعتها النبي صلى الله عليه وسلم في عرض تجارب الآخرين وأحداث حياتهم، سواء تجارب الأمم السابقة الطاغية، أو تجارب الأنبياء والصالحين في الدعوة والثبات، حاثًا الصحابة على تحليلها، واستخراج ما فيها من أفكار وعبر، فتكون لهم زادًا فكريًا في شتى مناحي الحياة، فيكونوا على معرفة بما أصابوا فيه وما أخطئوا، وما قد يصيبوا فيه فيما هو آت وما قد يخطئوا فيه ليتجنبوه.

ومن مميزات القصة النبوية أنها تشدّ السامع، وتوقظ انتباهه، دون توان أو تراخ، فتجعله دائم التأمل في معانيها والتتبع لمواقفها، والتأثر بشخصياتها وموضوعاتها، كما تؤثر في حركة التفكير؛ لما تقوم به من إقناع عقلي بموضوع القصة، فلا يخلو بعض القصص من محاورات فكرية ينتصر فيه الحق¹.

¹ انظر: النحلوي، عبد الرحمن: أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع. ط25. دمشق: دار الفكر. 1428هـ - 2007م. (ص: 189-191-195).

ومن أمثلة القصص النبوي ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قصة الأقرع والأبرص والأعمى، وقد أرسل الله عزَّوجلَّ ملكًا تمثل في هيئة بشر إلى كل منهم، قائلاً لكل واحد منهم: "أي شيء أحب إليك؟"، فطلبوا أن يعافوا مما قد ابتلوا به، فمسح على كل واحد منهم فعافاهم الله، وأعطى كل واحد منهم مالاً، ثم أرسل الله عزَّوجلَّ الملك ذاته بهيئة عابر سبيل يطلب منهم الصدقة، فرفض الأقرع والأبرص، ورضي الأعمى، فأبقى الله على الأخير نعمته، وسحق نعمة الآخرين¹.

تجيء القصة المذكورة تضرب مثلاً للنعم الزائلة والنعم الباقية، وترسم نموذجيين؛ نموذج النفس الكافرة بأنعم الله ومصيرها، ونموذج النفس المؤمنة الشاكرة لنعم الله وثوابها، فالأقرع والأبرص فُتِنَا بالمال والصحة، فنسيا القوة العظمى المانحة لهذه النعم، ولسان حالهما عند حديثهما مع الملك: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص: 78]، أما صاحبهما الأعمى فلم ينسَ الله جل جلاله المعطي المنعم، فكان لسان حاله: ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ [النمل: 40]، متخذاً من الإنفاق مظهرًا من مظاهر الشكر.

ومن أهداف سرد النبي صلى الله عليه وسلم لهذه القصة على مسامع الناس دفعهم إلى التفكير في الأسباب والنتائج والربط بينهما؛ ليحصل اتعاضهم؛ لأن الأصل أن يفتحوا عقولهم وقلوبهم لما يسمعون من حوادث القصص، وأن يعتبروا بما جرى للهالكين وأن يقتدوا بالصالحين، ومن لم يتفكر بما جرى للسابقين فهو أعمى القلب والعقل والبصيرة².

¹ انظر: صحيح البخاري. كتاب أحاديث الأنبياء. باب ما ذكر عن بني إسرائيل. (4/171/رقم: 3464).

² انظر: الخالدي، صلاح: القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث. ط1. دمشق: دار القلم. بيروت: دار الشامية. 1419هـ - 1998م. (ص: 33).

ولم يُعَقِّبِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْقِصَّةِ، وَسَكَتَ عَنْ ذِكْرِ الْمَغْزَى مِنْهَا، تَارِكًا لِلْمُسْتَمْعِينَ مَجَالَ التَّفْكِيرِ وَالتَّحْلِيلِ، فَهَمَّ أَهْلُ الْبَلَاغَةِ، فَمَلَّاحُ النِّجَاةِ فِي الْقِصَّةِ وَاضِحَةٌ وَمَلَّاحُ الْهَلَاكِ وَاضِحَةٌ، فَتَكُونُ أَوْقَعُ فِي النَّفْسِ وَأَثْبَتُ فِي الْعَقْلِ.

وَمِثَالُ آخِرِ الْقِصَصِ، فِيهِ اسْتِحْضَارُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَتَجَارِبِ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ فِي النَّصْرِ وَالتَّمَكُّينِ، فِيمَا رَوَاهُ حَبَّابُ بْنُ الْأَرْتِّ، قَالَ: شَكُونَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ مَتَوَسِدٌ بَرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟ قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يَحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ، فَيَجْعَلُ فِيهِ، فَيَجَاءُ بِالْمَنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصْدَهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيَمِشُّ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصْدَهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهُ لَيَتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّكَّابُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ...»¹.

سَعَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ إِلَى رَسْمِ صُورَةٍ ذَهْنِيَّةٍ لَتَجَارِبِ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ، صُورَةٍ يَقْدِمُهَا لِعُقُولِ الْمُسْتَمْعِينَ، لِدَفْعِهِمْ إِلَى حِفْظِهَا فِي عُقُولِهِمْ وَالْوَعْيِ بِهَا، ثُمَّ الْإِعْتِبَارُ بِهَا لِمُوَاجَهَةِ الْحَاضِرِ وَالْمُسْتَقْبَلِ.

وَلَقَدْ أَرَادَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ ذِكْرِ تَجْرِبَةِ الْأُمَمِ فِي التَّمَكُّينِ؛ أَنْ يَعْلَمَهُمْ كَيْفَ يَفْكُرُونَ مِنْ أَفْقِ سَنَنِ اللَّهِ، فَلَا سَبِيلَ لِلتَّمَكُّينِ دُونَ الْمُرُورِ بِطَرِيقِ الْمَحْنَةِ الْمَتَمَثِّلِ فِي عِدْوَانِ الْمُشْرِكِينَ عَلَى أَهْلِ الدَّعْوَةِ فِي مَكَّةَ، وَقَدْ طَرَحَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَفْكَارًا جَدِيدَةً فِي مُوَاجَهَةِ الْمَحْنَةِ، مَتَمَثِّلَةً بِالصَّبْرِ عَلَى دِينِ اللَّهِ، وَضَبْطِ الْعُقُولِ وَالْإِنْفِعَالَاتِ، وَتَوْجِيهِ التَّفْكِيرِ نَحْوَ الْإِعْدَادِ لِمَرَحَلَةٍ قَادِمَةٍ سَتَكُونُ الْغَلْبَةُ فِيهَا لَهُمْ.

¹ سبق تخريجه (ص: 33).

فهذه الأمور كانت جدرة بمزيد من التفكير فيها، ومحاكاتها من الجيل الأول، لبلوغ الغاية التي وضعوها أمام عقولهم، فيحسبوا حسابًا لما هو قادم من امتحان، فيواجهوه بعزم وثبات، فلا ينكسروا ولا يتضجروا، ولا تربكهم الظروف والأحوال مهما اشتدت، ولا يحيدوا عن المنهج، ولا يتفرقوا، بل يصيرون صفًا مرصومًا نحو الغاية التي ينشدوها.

المبحث الثالث

معيقات التفكير المنهجي في ضوء السُّنة النَّبوية

يكتنف الأداء الفكري المنهجي العديد من العقبات التي تقف حائلاً أمام تحقيق أهدافه، أشار إليها النبي صلى الله عليه وسلم ونَبّه عليها؛ بهدف تجاوز العقل لها والتخلص منها.

والمعيق في اللغة هو الصارف عن الخير والمثبط له والمانع منه والشاغل عنه¹، فيكون معنى مصطلح معيقات التفكير معبراً عن كل ما من شأنه أن يصرف عملية التفكير عن المنهجية الصحيحة، ويمنع من تحقيق الأهداف المرجوة.

ويأتي هذا المبحث ليبين معيقات التفكير المنهجي والتحديات التي يواجهها المسلم في ثلاثة مطالب؛ أولها: المعيقات ذات البعد العقلي المعرفي، وثانيها: المعيقات ذات البعد الاجتماعي، وثالثها: المعيقات ذات البعد النفسي والإعلامي.

وحتى تعود الأمة إلى الصدارة في قيادة الأمم؛ يستلزم ذلك منها تخطي المعيقات التي تُفنت منظومة التفكير عندها؛ وهي أهم أساس في إعادة أمجاد الأمة، ولا شك أن المعيقات متعددة ومتشعبة، ولكن بالجهد العظيم المتعاون بين الأفراد والمؤسسات، والافتداء بالهدي النبوي؛ يمكننا تخطيها مهما كان نوعها بإذن الله عزّوجلّ.

¹ انظر: الهروي: تهذيب اللغة. (3/ 18). معجم اللغة العربية المعاصرة. (2/ 1577).

المطلب الأول: المعيقات ذات البعد العقلي المعرفي

يُقصد بالمعيقات ذات البُعد العقلي المعرفي: تلك المعيقات التي تتمثل في المعرفة التي تغذي العقل بالمعلومات، من جهة مصدرها أو نوعها أو مآلاتها، وتتمثل في الآتي:

المعيق الأول: الجهل

إن للجهل أثرًا كبيرًا في إعاقة عملية تنمية التفكير المنهجي، وركود العقل، والتباس الأفكار عليه، فلا يميز العقل صحيحها من سقيمها، لذلك نجد أن "الإسلام أوجب التعليم محافظة على العقول من جانب الوجود؛ لأنه لا قيمة لعقل جاهل يكون عُرضةً لكل ما يخطر عليه من الأوهام والخرافات، فمثل هذا العقل لا يجيد إدراك الحقائق الدينية، ولا المصالح الدنيوية، فيصير فريسة للبدع، والخرافات، والانحرافات"¹.

وقد تحدث النبي صلى الله عليه وسلم عن أثر الجهل في ضلال الفرد والمجتمع، سواء ضلالاً فكرياً أو سلوكياً أو علمياً، ومن ذلك ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً² ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا»³.

أراد النبي صلى الله عليه وسلم تنبيه الصحابة لحالة مَرَضِيَّة قد يعيشها المجتمع، تتمثل في وضع الشخص المناسب في المكان غير المناسب، موضحاً الأثر الجسيم الناتج عن تصيب الفرد نفسه

¹ العالم، يوسف حامد: المقاصد العامة للشريعة الإسلامية. ط2. الرياض: المعهد العالمي للفكر الإسلامي. 1415هـ-1994م. (ص:366).

² (لا يقبض العلم انتزاعاً) أي: "إن الله لا يقبض العلم من بين الناس على سبيل أن يرفعه من بينهم إلى السماء، أو يحوه من صدورهم، بل يقبضه بقبض أرواح العلماء وموت حملته". العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري (131/2).

³ البخاري: صحيح البخاري. كتاب العلم. باب كيف يقبض العلم. (1/31/رقم:100).

مفتيًا وهو من الجهلة في هذا العلم، مبييًا أنه ضلال للنفس وضلال للآخرين، يعود ذلك لكونه معدوم القدرة على النظر في النصوص الشرعية والتصرف بها، مما يؤدي إلى أن تصدر الفتاوى دون اعتماد على الأدلة، أو انضباط بقواعدها، والنتيجة صدور الفتاوى غير الصحيحة، التي تكون سببًا في انجرار الناس إلى الحرام، وانحرافهم وضلالهم.

وهذه النتيجة غير مقتصرة على حال الجاهل ممن نصب نفسه مفتيًا، وإنما تُعمم هذه النتيجة على كل من يتولى أمرًا ليس له معرفة به، فالمؤسسة أو الدولة أو الأمة التي تتخذ من الجهلة قادة ومرؤوسين قائمين على شؤونهم الدينية أو الدنيوية سيكون مصيرهم واحد، هلاكهم وضلالهم وفسادهم، وهلاك غيرهم من أفراد المجتمع معهم بما ينشروه من فساد، فلا نهضة ولا رقي لأي مؤسسة أو مجتمع في ظل طغيان الجهل عليه، وتسلم الجهلة المناصب.

وقد صدق المفكر مالك بن نبي حين قال: "إذا كانت الوثنية في نظر الإسلام جاهلية، فإن الجهل في حقيقته وثنية؛ لأنه لا يغرس أفكاراً بل يُنصّب أصناماً؛ وهذا هو شأن الجاهلية"¹.

فالجهل معيق للتفكير المنهجي من جهة دوره في إبقاء العقل مُغلَقًا، يتعود على التلقي والإصدار دون تفكير، فعدم المعرفة بالشيء يعني عدم وجود أرضية ينطلق منها في تفكيره، فإن مارس التفكير في موقف ما، أو حل مشكلة ما، رافضاً جهله، ومعمدًا على معرفة زائفة، فلن ينتج إلا أفكارًا وحلولاً معوجة، تسهم في تشويه الحقيقة، والتسبب بالأذى للناس.

وقد أشار الإمام البخاري إلى أهمية العلم بوضعه بابًا في صحيحه بعنوان "العلم قبل القول أو العمل"²، "أراد به أن العلم شرط في صحة القول والعمل فلا يعتبران إلا به فهو متقدم عليهما"³.

¹ نبي، مالك: شروط النهضة. ترجمة: عبد الصبور شاهين. دمشق: دار الفكر. 1406هـ-1986م. (ص:28).

² البخاري: صحيح البخاري. (24/1).

³ ابن حجر: فتح الباري. (160/1).

المعيق الثاني: التفكير الخرافي

نعني بالخرافة: كل عقيدة قائمة على أساس صلة خيالية وهمية بين الأحداث، وممارسات تفتقر

للعوي الكامل، فأفكارها غير قابلة للتبرير على أساس عقلي، ولا تخضع لأي مفهوم علمي¹.

ويمكننا عدّ هذه الآفة الفكرية انعكاسًا لشيوع الجهل وتعمقه في العقول، فالفرد صاحب العلم المحدود

يكون أسهل انقيادًا لأصحاب الخرافات أو البيئة المحيطة، فهو لا يملك العلم الذي يجعله يدرك

حقيقة هذه المعتقدات الخرافية².

فالذي يمارس التفكير الخرافي لا يعتمد على علم ومعرفة صحيحة، وإنما على أوهام، وملوثات فكرية

تقضي على أية بادرة لتنمية التفكير، ومن الأدلة النبوية التي تشير إلى هذا المعنى؛ قوله صلى الله

عليه وسلم «فخياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا»³.

"ففي هذا إشارة صريحة وواضحة من المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى أن تنظيف أوساخ الأفكار

الجاهلية إنما يكون بالعلم، وهذا في غاية الأهمية في قضية الحصانة الفكرية، إذ لا يمكن لمثوث

الأفكار أو لحامل أفكار متعفنة أن يكون محصنًا فكريًا⁴.

ومن ضروب التفكير الخرافي التي واجهها النبي صلى الله عليه وسلم:

1. التعليل الخرافي لحقيقة الظواهر والأحداث

¹ انظر: رزوقي، رعد مهدي، ولطيف، استبرق مجيد علي: سلسلة التفكير وأنماطه. بيروت: دار الكتب العلمية. 2018م. (1/293).

² انظر: عبد القادر، علا حافظ وآخرون: مواجهة التفكير الخرافي لدى الشباب من منظور تربوي إسلامي "دراسة تحليلية". ع37. مجلة كلية التربية بالإسماعيلية. جامعة قناة السويس. مصر. 2017م. (ص:365).

³ البخاري: صحيح البخاري. كتاب أحاديث الأنبياء. باب {أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت} [البقرة: 133] (4/147/رقم:3374)

⁴ الشريفين، محمد عيسى إبراهيم: الحصانة الفكرية في ضوء الحديث النبوي الشريف. المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية. مج5. ع1/2009م. (ص:205).

ومن ذلك ما رواه المغيرة بن شعبة، قال: كسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم مات إبراهيم، فقال الناس: كسفت الشمس لموت إبراهيم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم فصلوا، وادعوا الله»¹.

وفي هذا الموقف رفض النبي صلى الله عليه وسلم ردة الفعل المباشرة من بعض الصحابة في تفسير ظاهرة الكسوف، فهي أفكار خرافية نشأت متأثرة بالبيئة التي يعيشون فيها، غابت التفكير السليم في تفسير هذه الظاهرة والرجوع إلى مسبباتها الحقيقية، فباعدت بين الناس وبين الحقيقة، وعرقلت ظهور أصول أساسية للتفكير المنهجي كالموضوعية والبحث عن الأدلة والبراهين، وسؤال أهل الاختصاص في تفسير المواقف والأحداث، كما أن قولهم إن الكسوف هو نتيجة لموت عظيم أو حدث جلل، يعطي تصورا منحرفا تجاه الكون، بنفي حاكميته بنظام الله ومشيتته وقدرته، وهذا منطلق من مفهوم أن المؤثر في الكون وظواهره هم بشر لا الخالق جل جلاله.

2. التطير والتشاؤم

يمثل التطير² ضربا آخر من ضروب التفكير الخرافي، المعطل للتفكير المنهجي، ونجد النهي النبوي عنه فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا طيرة، وخيرها الفأل»³ قالوا: وما الفأل؟ قال: «الكلمة الصالحة يسمعونها أحدهم»⁴.

¹ البخاري: صحيح البخاري. كتاب أبواب الكسوف. باب الصلاة في كسوف الشمس. (33/2) رقم: (1040).
² قال ابن الجوزي: "الطيرة التشاؤم، وكانت العرب تزجر الطير فإذا مرت من الشمال تطيرت فأبطل رسول الله ذلك" ابن الجوزي: غريب الحديث. (48/2).

³ والفرق بين الطيرة والفأل: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يخرج إلا على نية خير، وعلى عزيمة، كان يعتقد أن الخير فيها إما قطعاً وإما اجتهداً، وهو الغالب في الأمور؛ فإن عاقبة الأفعال الاختيارية لا تُعلم إلا ظناً، فإذا رأى ما يتفاعل به كان يعزم عليه؛ إذ يصير ذلك مُنفذاً لعزمته، ومصدقا وتمضيا إياه وموافقا لاجتهاده؛ لأنه كان يرى الخروج صواباً، فجاء ذلك الفأل متوافقاً، أما الطيرة فكان يوهم أن الخروج ليس بصواب، وأن العزم الذي أدى الاجتهاد إليه ينبغي أن لا يُمضى، مع أنه عزم على اعتقاد الخير، فكان التطير بذلك مانعاً للخير.

انظر: أبو حامد، محمد بن محمد الغزالي: أجوبة أبي حامد الغزالي عن أسئلة أبي بكر بن العربي. تحقيق: محمد عبدو. بيروت: دار الكتب العلمية. 2012م. (ص: 58).

⁴ البخاري: صحيح البخاري. كتاب الطب. باب الطيرة. (135/7) رقم: (5754).

إن معتقد الطيرة يتصادم مع العقل، ويلغي تفكيره، فالتطير من زجر للطير وغيره من التخييلات المعتقد تأثيرها، وهي تملي على الفرد قراراته واتجاهه الفكري، دون دعوته إلى التفكير في الأسباب المحققة لهدفه، والحلول لمشكلته، بل يتوصل إلى نتيجة النفع أو الضرر بدون أي جهد فكري في طرح الأسباب والمقدمات ليصل إلى النتائج، فهو يبني سلوكه على اعتقادات وأوهام، يقدم عليها رفعاً لضرر أو جلباً لنفع، فتعيقه تلك التخمينات عن عمل الخير؛ لأنه يتخيل أموراً لا وجود واقعي لها، ولا دليل على حدوثها، ومع المدة يحدث عجز عن مواجهة المواقف، ويحجم دور العقل في التخطيط للأهداف، فالفرد ارتاح إلى السهولة والسرعة في الوصول إلى الحلول والأحكام، وهذا ما لا يليق بالإنسان المستخلف الذي كُلف بعمارة الأرض وفق السنن الكونية التي أساسها السببية.

المعيق الثالث: الغلو والتطرف

يُقصَد بالغلُو: "مجاورة القدر في كل شيء، والإفراط في الأمور والمبالغة فيها بعيداً عن التوسط والاعتدال"¹، ونعني بالتطرف: "مجاورة حد الاعتدال وعدم التوسط في الأشياء والخروج عن منطق النقل والعقل"²، فكل من الغلو والتطرف يحمل معنى مجافاة الوسطية في الفكر والسلوك، سواء في الإفراط أو التفريط، لكن يُلاحظ فرق ملموس بينهما؛ فالتطرف يرتبط عادة بالعنف، فهو نتيجة حتمية للتطرف، يشمل العنف اللفظي والسلوكي³، والنتيجة أن كل تطرفٍ غلوٌ وليس كل غلوٍ تطرفاً.

ويعد الغلو والتطرف عائقين أمام التفكير المنهجي، باعتباره عاملاً أساساً في جمود العقل، فتجاوز الاعتدال في تبني رأي مثلاً أو في اتباع فرد أو جماعة أو مذهب يمكن أن يمتد تأثيره على تكوين

¹ الشطي، محمد يوسف رجب، والإبراهيم، أسماء بدري: التطرف والغلُو: دراسة مقارنة في ضوء الحديث النبوي الشريف وعلم النفس. مجلة التربية. جامعة الأزهر. ع2014/159م. (704/2).

² المرجع السابق.

³ انظر: علي، حيدر إبراهيم: ظاهرة العنف والتطرف. منتدى التنمية الخليجي: مجموعة أوراق اللقاء السنوي السابع عشر. 1996م. (ص:59).

الأفكار، فتنتج على نسق اتجاه معين أو فكر فرد معين، يقف أمامه موقف التابع المادح، وأمام فكر غيره ذاماً رافضاً، لتخرج فئة منغلقة على أفكار معينة، ومحتقرة لأفكار غيرها، نافية عنها الصحة، لذلك نجد القرآن الكريم ينهى أن نسير على منهج أهل الكتاب، بقوله تعالى:

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: 77].

وقد حثَّ النبي صلى الله عليه وسلم إلى اتباع المنهج الوسط في الفكر والسلوك، وحذر من مظاهر الغلو والتطرف، ومن أهم تلك المظاهر:

المظهر الأول: التعصب

يعرف التعصب: بأنه شعور داخلي يجعل الإنسان يرى نفسه دائماً على حق، ويرى الآخر على باطل، بلا حجة ولا برهان، ويظهر هذا الشعور بصورة ممارسات ومواقف متشددة، ينطوي عليها احتقار الآخر، وعدم الاعتراف بحقوقه وإنسانيته¹.

فالتعصب غلو من ناحية مجاوزة الاعتدال في التعلق برأي أو بفكرة أو شخص أو مبدأ، فلا يدع مكاناً للتسامح، يصاحبه ضيق أفق وبعد عن التعقل، وتطرف من حيث ما قد يصل إلى ممارسة العنف السلوكي².

والمتعصب كما قال الشوكاني: "وإن كان بصره صحيحاً فبصيرته عمياء، وأذنه عن سماع الحق صماء، يدفع الحق وهو يظن أنه ما دفع غير الباطل، ويحسب أن ما نشأ عليه هو الحق، غفلة منه وجهلاً بما أوجبه الله عليه من النظر الصحيح"³.

¹ الجهمرة: الموسوعة الشاملة لمفردات المحتوى الإسلامي: <https://islamic-content.com/dictionary/word/8781>

² انظر: مجمع اللغة العربية: المعجم الفلسفي، القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية. 1402هـ-1983م. (ص:49).

³ الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني (ت: 1250هـ): فتح القدير. ط1. دمشق: دار ابن كثير. بيروت: دار الكلم الطيب. 1414هـ. (277/2).

وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من العصبية الفكرية، وجعلها سبباً لبغض الله، يشير إلى ذلك ما روته عائشة رضي الله عنها، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَبْغَضَ الرِّجَالِ إِلَى اللَّهِ الْأَلَدَّ الْخَصِمَ»¹.

والألد هو الشديد الخصومة، وهو مشتق من اللد، وهو الاعوجاج والانحراف عن الحق، والخصم هو الذي يخصم أقرانه ويحاجهم في رفع حق أو إثبات باطل، ولا سيما إذا تعصب لرأي ضد آخر، وركب المراوغة المدروسة، فهو كلما أحتج عليه بحجة أخذ في جانب آخر².

فالجِدال والخصام امتداد طبيعي لآفة التعصب الفكري، واللدود قد جاوز الحد في الجِدال لا لأجل الحق والبحث عن الحقائق، بل لأجل الدفاع عن رأيه وإن كلفه ذلك لي أعناق الأدلة، فكان مستحقاً للجزاء ببغض الله له؛ لأنه أعاق تحقيق هدف بيان الحق للناس.

إن العقل في ظل التعصب معنقل، والتفكير لا يتجاوز حدود الدائرة التي رُسمت له، ويرى اللدود أن رأيه هو الحقيقة المطلقة، وأي مناقشة أو حوار حوله له هو مرفوض، وهذا يتنافى مع المنهجية النبوية القائمة على الحوار واستماع الآراء ومناقشتها، وما يلبث المتعصب حتى يتوقع تفكيره وينغلق على قناعاته رافضاً سواها، فيصبح بذلك غير قابل للتنمية الفكرية لعدم استفادته من الآراء والأفكار التي يسمعها.

¹ البخاري: صحيح البخاري. كتاب المظالم والغصب. باب قول الله تعالى: {وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ} [البقرة: 204]. (3/131/رقم: 2457).
² انظر: ابن حجر: فتح الباري. (13/180). لاشين: فتح المنعم شرح صحيح مسلم (10/204). وطويلة، عبد الوهاب عبد السلام: أثر اللغة في اختلاف المجتهدين. ط2. مصر: دار السلام. 1420هـ-2000م. (ص: 72).

المظهر الثاني: الغلو في جانب العبادات

والغلو في العبادات وفي سائر أمور الدين هو التصلب والتشدد فيها حتى مجاوزة الحدّ، وفي التنزيل

﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ [النساء: 171]¹.

وقد تمكن الغلو الفكري من إفراز منطقي فكري متشدد في جانب علاقة المسلم بربه وتقربه إليه، أنتج نمطاً سلوكياً متشدداً، وصاغ معتقداً يتمثل في أنه كلما شدد الإنسان على نفسه في العبادة، وزاد عليها وكلفها فوق طاقتها؛ كلما حقق مقصد رضى الله عليه!.

وقد طفت على السطح في عصر النبوة انحرافات سلوكية تعبدية، تجلت من خلال ممارسات متشددة في العبادة، فما كان من النبي صلى الله عليه وسلم إلا أن تصدى لها، وبين وسطية العبادة والتقرب إلى الله، وأن الله لم يتعبنا بالمشقة، وحذر من الانجرار إلى مثل هذه الدعوات؛ لأن مثل ذلك يؤدي بصاحبه إلى فقدان الطمأنينة، وحضور الاضطرابات النفسية التي تجره إلى الهاوية، كما قال عليه الصلاة والسلام: "هلك المتطعون"².

ومن الحوادث التي عالج فيها النبي صلى الله عليه وسلم المغالي في العبادة، ما رواه ابن عباس رضي الله عنه، قال: بينما النبي صلى الله عليه وسلم يخطب، إذا هو برجل قائم، فسأل عنه فقالوا: أبو إسرائيل، نذر أن يقوم ولا يقعد، ولا يستظل، ولا يتكلم، ويصوم. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «مره فليتكلم وليستظل وليقعد، وليتم صومه»³.

¹ انظر: الفيومي: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. (452/2).

² مسلم: صحيح مسلم. كتاب العلم. باب هلك المتطعون. (2055/4/رقم: 2670). والتتبع: "التعمق والغلو والتكلف لما لم يؤمر به". ابن الجوزي: غريب الحديث. (418/2).

³ البخاري: صحيح البخاري. كتاب الأيمان والنذور. باب النذر فيما لا يملك وفي معصية. (143/8/رقم: 6704).

فهذا الصحابي ظنَّ أن إرهاب النفس ووضعها في دائرة المشقة من القربات التي يتقرب بها إلى الله، ولم يعلم أنه تجاوز حدود الاعتدال في العبادة، ودلَّ ذلك على تراجع المناعة الفكرية لديه من جهة، وتأثره بمسار تفكير البيئة المحيطة وبمعتقدات بعض الديانات التي تتبنى فكر الغلو من جهة أخرى، فكان لهذا التأثير دور في حرف العقل إلى التفكير بعبادات أخرى زيادة على ما فرضه الله قرينة له.

المظهر الثالث: محاولة فرض الأفكار بالقوة

يتميز أصحاب الفكر المتطرف برفضهم أيَّ فرصة للحوار، أو أيَّ اتهام بوجود قصور في تفكيرهم وفهمهم، وقد يصل بهم الأمر إلى إنتاج سلوكيات هدفها الأساسي فرض أفكارهم بالقوة.

وفي ذلك قال القرضاوي: "ويزداد الأمر خطورة -أي خطورة التطرف- حين يراد فرض الرأي على الآخرين بالعصا الغليظة، والعصا الغليظة هنا قد لا تكون من حديد ولا خشب، فهناك الاتهام بالابتداع أو بالاستهتار بالدين، أو بالكفر والمروق -والعياذ بالله-، فهذا الإرهاب الفكري أشد تخويفاً وتهديداً من الإرهاب الحسي"¹.

ونجد ذلك واضحاً فيما رواه جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: أقبل رجل بناضحين² وقد جنح الليل، فوافق معاذاً يصلي، فترك ناضحه وأقبل إلى معاذ، فقرأ بسورة البقرة -أو النساء- فانطلق الرجل وبلغه أن معاذاً نال منه³، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم، فشكا إليه معاذاً، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «يا معاذ، أفتان أنت» -أو «أفانت»- ثلاث مرار: «فلولا صليت بسبح اسم ربك، والشمس وضحاها، والليل إذا يغشى، فإنه يصلي وراءك الكبير والضعيف وذو الحاجة»⁴.

¹ القرضاوي، يوسف: الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف. ط1. القاهرة: دار الشروق. 1421هـ-2001م. (ص:36).

² والناضح: "البعير يشفق عليه". الفارابي: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. (411/1).

³ أي رماه بالنفاق، كما جاء في رواية أخرى. انظر: صحيح البخاري (26/8/رقم:6106).

⁴ البخاري: صحيح البخاري. كتاب الأذان. باب من شكأ إمامه إذا طول. (142/1/رقم:705).

ففي الحديث الشريف يعالج النبي صلى الله عليه وسلم محاولة معاذ بن جبل رضي الله عنه أن يتعبد الناس بطول القيام، ظنًا منه أن الجميع يملك القدرة، وأنهم على قوة رجل واحد، دون أن يراعي التفاوت بين المصلين، فما بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم بيّن لمعاذ أن فيما يفعله فتنة للناس، فالأصل الاعتدال ومراعاة أحوال الناس، لا أن يفرض طريقة عبادته بحجة أنه الإمام، بل وجهه النبي صلى الله عليه وسلم إلى حسن اختيار قصار السور مراعاة للأحوال وقدرات الناس.

ونرى قبل ذلك أن الصحابي معاذًا رضي الله عنه اتخذ موقفًا متطرفًا إزاء فعل الصحابي الآخر، بمعارضته له دون التفكير في ما دفعه إلى هذا الفعل، ليتطور ذلك إلى بلورة مفاهيم عن ذات الصحابي باتهامه بالنفاق، "فالأصل عند المتطرف هو الاتهام، والأصل في الاتهام الإدانة"¹، فالتوجه التطرفي أثر على العقل وأعماه عن رؤية الحقيقة، وأبقاه في انغلاق وجمود حول رأيه، ودفعه إلى العنف بغرض فرض أفكاره ومعاييره بالقوة، مما أدى إلى إعراض الصحابي الآخر عنه، والتوجه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم لاستيفاء الحق منه، ليقوم النبي صلى الله عليه وسلم بتعنيفه على فكره وإيضاح الرؤية لتصحيح منهجه.

يتبين مما سبق؛ أن الغلو في أصل نشأته هو ضلال في الفكر يتبعه انحراف في المشاعر، ويترتب على هذا وذاك سلوكيات متطرفة ومواقف وعلاقات خاطئة، فالمبادئ والخطوط العريضة التي يعتمد عليها الغلاة، هي من توجّه تفكيرهم، وتتحكم في نوعية امتصاص الأخبار والمعلومات، كما تتحكم في نوعية معالجتها والبناء عليها واتخاذ المواقف على أساسها، والتي ينطلقون منها في نقد غيرهم².

¹ القرضاوي: الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف. (ص:43).

² انظر: بكار، عبد الكريم: تفكيك ثقافة الغلو. رؤية للثقافة والإعلام. 2015م. (ص:26-38-84).

المعيق الرابع: الاعتماد على معلومات ناقصة

المسلم مأمور بالتروي في تفكيره، وما يصدر عنه من أفكار وأحكام، لأن التسرع في إصدار الأحكام دون روية مع عدم وضوح الرؤية؛ يوقع في أخطاء، ويدل على انفعال نفسي وغضب، وعدم إجهاد الفكر كما يجب¹.

ويعتبر سوء الظن من الأسباب والعلل التي تدفع العقل إلى العجلة في إصدار الأحكام بناء على معلومات ناقصة، ولقد لفت النبي صلى الله عليه وسلم الأنظار نحوه، محذراً بقوله «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث»²، ثم أتبعه بنتائج وخيمة على حياة البيئة الإسلامية، لا يمكن التجاوز عنها إلا بالبعد عن الظن، كالغيرة المفرطة والمكائد والاعتيالات، والتهمة الباطلة، والطعن في الأنساب³.

ويظهر أثر سوء الظن على تماسك المجتمع وتلاحمه؛ فيما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه، يقول: قالت الأنصار يوم فتح مكة، وأعطى قريشاً: والله إن هذا لهو العجب، إن سيوفنا تقطر من دماء قريش، وغنائمنا تُرْدُ عليهم، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فدعا الأنصار، قال: فقال: «ما الذي بلغني عنكم»، وكانوا لا يكذبون، فقالوا: هو الذي بلغك، قال: «أولا ترضون أن يرجع الناس بالغنائم إلى بيوتهم، وترجعون برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيوتكم؟ لو سلكت الأنصار وادياً، أو شعباً لسلكْتُ وادي الأنصار أو شعبهم»⁴.

¹ انظر: سليمان، سناء محمد: فن وأدب الحوار بين الأصالة والمعاصرة. ط1. عالم الكتب. 2013م. (ص:91).

² سبق تخريجه (ص:82).

³ انظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير. (251/26).

⁴ البخاري: صحيح البخاري. كتاب مناقب الأنصار. باب مناقب الأنصار. (30/5/رقم:3778).

فالأنصار غضبت ظناً منهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نسيهم، وآثر قومه عليهم، فبنوا تفكيرهم على هذا الدافع الذي وضعوه، دون أن يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مباشرة، ليزيل لهم ظنهم، ويبين لهم حجته، فلما علم النبي صلى الله عليه وسلم بما قالوه، وخشية أن يكون لهذا الظن توابع من غيرة وتباغض وتقطيع أواصر المودة بينهم وبين المسلمين من قريش قرر مواجهة الأمر، فدعاهم موضحاً لهم سبب هذا التقسيم، كما جاء في رواية أخرى قوله: «إن قريشاً حديثو عهد بجاهلية ومصيبة، وإنني أردت أن أجبرهم وأتألفهم»¹.

المطلب الثاني: المعوقات ذات البعد الاجتماعي

لا ينمو الفرد بصورة مستقلة عن بيئته الاجتماعية والظروف المحيطة به، فهو جزء منها، فإما أن تسهم إيجاباً على عملية التفكير فتدعمها وتعززها، أو تؤثر سلباً عليها فتعيقها وتمنع سيرها، فالبيئة المهمة بالتعليم يختلف تفكير أفرادها عن البيئة المليئة بالجهل والخرافات، لذا فإن احتكاك الفرد المستمر بعاداتها غير الإيجابية، مع حضور انخفاض في المناعة الفكرية؛ تزيد من نسبة إمكانية استجابة العقل لما يدور حوله من عوامل ومثيرات عدة، تحرفه عن مساره الصحيح، ومن تلك المعوقات:

المعيق الأول: التقليد

يأتي التقليد في مقدمة أكثر العلل فتكاً بالعقل، وحجراً للتفكير الصحيح، "فأبعد الناس عن معرفة الحق المقلدون، الذين لا يبحثون ولا يستدلون، لأنهم قطعوا عن أنفسهم طريق العلم، وسجلوا على

¹ البخاري: صحيح البخاري. كتاب المغازي. باب غزوة الطائف (5/159/رقم: 4333).

عقولهم الحرمان من الفهم، فهم لا يوصفون بإصابة لأن المصيب هو من يعرف أن هذا هو الحق، والمقلد إنما يعرف أن فلاناً يقول إن هذا هو الحق، فهو عارف بالقول فقط"¹.

ونجد أثر آفة التقليد ماثلة في إعاقة تنمية التفكير المنهجي، ومن ذلك ما رواه ابن المسيب، عن أبيه، أن أبا طالب لما حضرته الوفاة، دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل، فقال: «أي عم، قل لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله» فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب، ترغب عن ملة عبد المطلب، فلم يزالا يكلمانها، حتى قال آخر شيء كلمهم به: على ملة عبد المطلب².

إن موقف أبي طالب بقوله "على ملة عبد المطلب" وانحرافه عن اتباع نور الهداية؛ سببه تقليد آبائه وعدم الخروج عن نهجهم وسبيلهم، فهو كغيره من أهل الملة الكافرة القائلة: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: 22]، فهو لم يسمح لعقله بالتفكير خارج حدود تفكير آبائه، فحُرم من التفكير الذي يهديه إلى حقيقة الدين الصحيح.

وقول الصحابي: "لم يزالا يكلمانها"، يعطينا صورة للحوار الذي دار بين الحق وأهله إقناعاً لأبي طالب بنطق الشهادتين، وبين الباطل وزبانيته بالثبات على ملة عبد المطلب، فهو إما أنه غير مقتنع بصحة ما كان يعتقد، وربما كان للفترة التي عاشها مع النبي صلى الله عليه وسلم دور في ترده هذا، أو أنه لم يتحقق ويبحث في صحة عقيدته من بطلانها، لكنه في النهاية عطل إرادته في قبول الحق والنظر فيه، بإبقاء عقله تحت وصاية التقليد، فكَبَلَ تفكيره تجاه الحق وامتنع عن تمييز الحقيقة، واتباع الآباء والأجداد، فخلا من سداد الرأي واستقامة التفكير.

¹ رضا، محمد رشيد بن علي (ت: 1354هـ): تفسير القرآن الحكيم. الهيئة المصرية العامة للكتاب. 1990م. (75/2).

² البخاري: صحيح البخاري. كتاب مناقب الأنصار. باب قصة أبي طالب. (52/5/رقم: 3884).

المعيق الثاني: الصحبة السيئة

يعد الأصدقاء جزءًا من البيئة الاجتماعية التي تصوغ فكر الإنسان وسلوكه وتطلعاته في الحياة، فكلما كانت الصحبة أشد صلة وتواصلًا؛ كلما كان التأثير بأفكار صاحب أشد تأثيرًا على بناء الإنسان فكرًا وسلوكًا.

وكما أن الصحبة الصالحة تحث الآخرين على الخير وتهديهم إليه، فكذلك الصحبة الطالحة تقود صاحب إلى الشر، فإن كان "الجلوس مع أهل السوء والفساد يؤدي إلى خلل في التفكير، فكيف بمصاحبتهم؟ إذ تبرز الخطورة في مصاحبتهم إلى تلبسهم الحق باطلا"¹، وحثهم على "فعل المنكرات، وترك الأعمال الصالحات، فكلما أراد أن يتوب ويرجع كان صاحبه مانعًا له، يزين له المنهيات، ويصعب عليه فعل الخيرات"².

لذلك نجد النبي صلى الله عليه وسلم قد نوّه إلى خطورة تلك الصحبة محذّرًا منها، وما يتبعها من انزلاقات فكرية وأخلاقية، ومن ذلك ما رواه أبو موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «مثل الجليس الصالح والسوء، كحامل المسك ونافخ الكير³، فحامل المسك: إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة، ونافخ الكير: إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحًا خبيثة»⁴.

¹ حنايشة، عبد الوهاب محمود إبراهيم: التفكير وتنميته في القرآن الكريم. (رسالة ماجستير). جامعة النجاح الوطنية. نابلس. فلسطين. 2009م. (ص:75).

² أبو صفية، أسماء وجيه: الصحبة في ضوء القرآن الكريم دراسة موضوعية. (رسالة ماجستير). الجامعة الإسلامية. غزة. فلسطين. 1432هـ-2011م. (ص:139).

³ "الكير بالكسر: كير الحداد، وهو المبني من الطين. وقيل: الزق الذي ينفخ به النار". ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر. (217/4).

⁴ البخاري: صحيح البخاري. كتاب الذبائح والصيد. باب المسك. (7/ 96/رقم: 5534).

فالرسول صلى الله عليه وسلم حذر من خلال هذا المثل من ضرر الصحبة السيئة وتأثيرها السلبي، الذي يشمل الجوانب المتعددة من النفس والعقل والسلوك، فمتى احتف بالعقل باستمرار أقوال أو سلوكيات معينة مع الرضى بها، فإنه لا بُدَّ من انجرار العقل وراءها، فيتأثر بها مع المخالطة المستمرة، فما يفكر به صاحب السوء ويفعله يصير مقبولاً يهون في نظر المصاحب.

المطلب الثالث: المعيقات ذات البعد النفسي والإعلامي

أولاً: المعيقات ذات البعد النفسي

يمثل البعد النفسي ميول الفرد وحالاته الانفعالية والمزاجية التي تنتابه في حالة من الحالات، ويتخذ دوراً مهماً في توجيه تفكير الإنسان وسلوكه، فيؤثر على طريقة تعاظم الإنسان فكرياً مع المحيط الذي يعيش فيه، وعلى أهدافه في الحياة، وحكمه على الأشياء، ومن تلك المعيقات:

المعيق الأول: اتباع الهوى، بعبادة الدنيا وملذاتها

حالُ النبيّ صلى الله عليه وسلم في النظرة إلى الدنيا مستمدة من المنهج القرآني الذي يقوم على توظيف تفكيره في استثمارها كوسيلة جالبة للنفع في الدارين، لا جعلها غاية ينقاد العقل إلى طلبها بعينها ومتاعها، تغمض عينا صاحبها وتفتح، والعقل ما زال يفكر في الحصول على متاعها.

وقد بين النبيّ صلى الله عليه وسلم في أحاديث كثيرة ضمن مواقف متعددة المنهجية الصحيحة في التعامل مع الدنيا، وأن تُستثمر في التقرب إلى الله، لا أن تقود المصالح الدنيوية عقل الإنسان وفكره وسلوكه، ومن ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه من قول النبيّ صلى الله عليه وسلم فيمن جعل

وجهة تفكيره الدنيا ومتاعها، قال: «تعس عبد الدينار¹، والدرهم، والقטיפه، والخميصة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط لم يرض»².

فقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم على عبد الدينار بالتعس؛ لأنه أوقف عمله على متاع الدنيا الفاني، وترك العمل لنعيم الآخرة الباقي، فعبد الدينار إن أعطي ما له عمل، رضى عن معطيه وهو خالقه عزوجل، وإن لم يعط سخط ما قدر له خالقه ويسر له من رزقه، فصح بهذا أنه عبد في طلبه³.

قال الغزالي: "الإسلام يحتقر الدنيا أشد الاحتقار عندما تكون الأمل الذي لا أمل معه، وعندما يركض البشر في طلبها لا شيء إلا للحصول عليها، والاستكثار منها، ثم الموت في أطوائها، كما تموت دودة القز داخل ما تنسج، وليست تنسج لنفسها شيئاً، إنه يحتقرها هدفاً، ولكنه يحتفي بها وسيلة"⁴. ولا شك أن الانحراف عن غاية الآخرة واستبدالها بغاية الدنيا ومتاعها؛ كان بفعل المؤثر الخطير المتمثل بالهوى المذموم، الذي هو "ميل النفس إلى الشيء"⁵، فهو يميل إلى الدنيا ويميل عن طريق الآخرة، بما يسدله على العقل من أغشية، لا يرى إلا الدنيا ومتاعها ومصالحه فيها، فلا تفكير إلا لمتاع وشهوة، وإذا فعل فلتحصيل متاع وشهوة، فيكون بذلك عبداً للدنيا بعد أن يكون عبداً لهواه من دون الله وشرعه، وقد قيل: "إذا نُصر الهوى ذهب الرأي"⁶.

¹ تعس: أي شقي، وقيل الكب على الوجه، وقيل الهلاك. وقال آخر أن يعثر فلا يفيق من عثرته، وغيرها من المعاني. انظر: ابن حجر: فتح الباري. (82/6)

² البخاري: صحيح البخاري. كتاب الجهاد والسير. باب الحراسة في الغزو في سبيل الله. (4/34/4 رقم: 2886).

³ انظر: ابن بطال: شرح صحيح البخاري. (83/5).

⁴ الغزالي، محمد: الجانب العاطفي في الإسلام. ط3. مصر: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع. 2005م. (ص: 185)

⁵ ابن القيم: محمد بن أبي بكر بن أيوب الجوزية (ت: 751هـ): روضة المحبين ونزهة المشتاقين. بيروت: دار الكتب العلمية. 1403هـ - 1983م. (ص: 22).

⁶ ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن (ت: 597هـ): ذم الهوى. تحقيق: مصطفى عبد الواحد. (ص: 25).

إن العقل في ظل الهوى يتوقف عن التفكير السوي، فينساق إلى اللذة التي يعيشها دون تفكير في سوء العاقبة، مع عدم انفكاك الاضطراب والقلق الفكري عنه، فهو في قلق دائم على متاعه من مال وغيره ومخاوف من فقدانها، شعاره تجاهها "هل من مزيد؟!"، وبأي وسيلة دون حذر من مخالفة شرع أو قانون، عندها سيكون الضلال مصيره والهلاك الدنيوي والأخروي موعده.

المعيق الثاني: الغضب المذموم¹

يُعَدُّ الغضب المذموم أحد المعوقات الانفعالية ذات الآثار السلبية على عملية تنمية التفكير المنهجي، فالغضب يلزمه ضعف العقل غالبًا؛ لما يتضمنه الغضب من اختباط العقل والتشويش على عمله، وما يعترضه من الدهشة المانعة من استيفاء الفكر، والاهتداء إلى وجه الصواب².

ونجد السُنَّة النبوية قد أشارت إلى هذا العائق فيما رواه عبد الرحمن بن أبي بكرة، قال: كتب أبو بكرة إلى ابنه، وكان بسجستان، بأن لا تقضي بين اثنين وأنت غضبان، فإني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «لا يقضين حَكَم بين اثنين وهو غضبان»³.

كان النهي عن القضاء في حالة الغضب؛ لأن الغضب يطفئ نور العقل للقاضي، فيضطرب تفكيره فيما يسمعه من أدلة الطرفين، فيصبح غير قادر على التفكير بشكل واضح، مما يعيقه على تحقيق أهداف مقامه، بتأثير الغضب على ما يصدره من أحكام، فقد يؤدي إلى قيام أفكار جور تضيع بسببها حقوق من لجأ إليه طالبا العدل والإنصاف، ويعمم ذلك على كل قرار يتخذه الفرد، وكل موقف

¹ حددنا صفة الغضب، لوجود نوع من الغضب المحمود الذي يكون فيه الغضب لله تعالى عندما تنتهك حرماته.

² انظر: أبو حامد، محمد بن محمد الغزالي الطوسي: شفاء الغليل في بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل. تحقيق: حمد الكبيسي. بغداد: مطبعة الإرشاد. 1390هـ-1971م. (ص: 62-64).

³ البخاري: صحيح البخاري. كتاب الأحكام. باب هل يقضي القاضي أو يفتي وهو غضبان. (9/ 65/ رقم: 7158).

يحكم عليه، وكل مشكلة يحاول إيجاد حل لها، فقد يتبنى قرارات لا عقلانية، وقد يصدر أحكاماً وحلولاً وهو غير منتبه إلى مآلاتها المدوية.

المعيق الثالث: الخوف

الخوف أمر طبيعي جبلي في الإنسان لا يؤاخذ عليه، لكن تصبح آثاره مدوية حينما يطغى تأثيره على العقل، حتى يصير ما يخاف عليه الفرد هو محور التفكير عنده.

فمع الخوف الشديد ينشط الجهاز العصبي بطريقة عنيفة تُخرجه عن حدود النشاط المعتدل السوي، ويظهر الأثر السيئ لهذا الانفعال الحاد على الوظائف العقلية، ويؤدي إلى شلل التفكير وتشويه الإدراك، وفقدان القدرة على حل المشكلات، بإصداره أحكاماً خاطئة بسبب اضطرابه ونسيانه أهدافه السوية¹.

ويأتي الأهل والمال في مقدمة ما ينتاب الناس الخوف من فقدانهما، ولقد انتاب الخوف من فقدانهما الصحابة كغيرهم من البشر، ومن ذلك ما صدر من الصحابي حاطب رضي الله عنه عندما أرسل خطاباً لأقربائه في مكة يذكر لهم خروج النبي إلى مكة، ويحثهم على حماية أهله، خوفاً عليهم، وذلك في قوله للنبي صلى الله عليه وسلم: «أردت أن يكون لي عند القوم يد يدفع الله بها عن أهلي ومالي، وليس أحد من أصحابك إلا له هناك من عشيرته من يدفع الله به عن أهله وماله»².

فما كان من تفكير الصحابي وسلوكه ما هو إلا انعكاس لانفعال الخوف وتغيراته، فالخوف من الأذى الحسي الذي قد يصيب أهله وماله من أصحاب السلطة المستبدة، سيطر على تفكيره وجعله

¹ انظر: شعبان، كاملة الفرخ، وتيم، عبد الجابر: النمو الانفعالي عند الطفل. ط1. عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع. 1420هـ-1999م. (ص:20).

² انظر: البخاري: صحيح البخاري. كتاب الجهاد والسير. باب إذا اضطرب الرجل إلى النظر في شعور أهل الذمة والمؤمنات إذا عصين الله وتجريدهن. (4/76/رقم:3081).

في اتجاه واحد، وهو كيفية السعي إلى حمايتهم، فأقدم على حل المشكلة بتأثير الخوف ودفعه، فلجأ إلى وسائل مغايرة للصواب؛ بإرسال رسالة إلى أقربائه بمكة عما يعزم عليه جيش المسلمين من فتح مكة، فيكون له عندهم إحسان ومعروف يقابلونه بحماية أهله وماله، وهذا خلاف المصلحة العامة، وفيه تعريض الجيش للخطر، وفوات الفتح.

ثانياً: المعوقات ذات البعد الإعلامي

والإعلام بمفهومه العام يعني: "عملية نقل الخبر أو وجهة النظر أو كليهما من طرف إلى طرف آخر"¹.

ومع انتشار وسائل الإعلام ومواقع التواصل؛ بدأت العلاقة بين الإعلام والتفكير تأخذ أهمية كبيرة، من دوره في توجيه تفكير الأفراد، والرفع من مستوى الانضباط الفكري عندهم أو الحط به، فالإعلام "من أقوى عوامل التأثير في الرأي العام"²، لكنه سلاح ذو حدين؛ فإن اقترن بأهداف سامية كان طريقاً إلى النهضة الفكرية، وأما إن اقترن بمصالح شخصية أو سياسية أو غيرها فإنه يكون عقبة كبيرة في وجه التفكير المنهجي؛ لكونه يتغير ويتكون حسب المصالح، فيُستغل كوسيلة مضللة من خلال ما تبثه من إشاعات وتزييف وتحريف.

والمعوقات ذات البعد الإعلامي تتمثل بالإعلام المضلل، الذي يسعى إلى إفساد المنهجية الصحيحة؛ من خلال تزييف الحقائق، وتسويق الأكاذيب، وحرف المركب عن الأخبار الهامة الصحيحة إلى التافه والسّخيف، وعرض مالا ينفع المجتمع فكراً ولا سلوكاً.

¹ النقيثان، نورة: تعريف الإعلام ووسائله. صحيفة المدينة. 2013/3/23: <https://cutt.us/X4wHV>

² نعيمات، رائد: تأثير الإعلام المجتمعي على تشكيل الرأي العام. مؤتمر كلية الشريعة الدولي الرابع "وسائل التواصل الحديثة وأثرها على المجتمع". جامعة النجاح الوطنية. نابلس. فلسطين. 2014م. (ص:6).

ومن خلال الإعلام المضلل يسهل على أصحاب المصالح خلق أغلبية وهمية للترويج لقضية ما بتضخيم وتهويل لا يدع مجالاً للتشكيك فيها، وهكذا تتلقفها الجماهير التي تؤمن بأن كل رائج ومتداول يكون بالضرورة الحقيقة والصواب¹.

"قدور الإعلام يمكن أن يكون كبيراً في تثبيت الحقائق، أو تغييرها، وله قدرة كبيرة على التلاعب بالعقول، ليس البسيطة العادية غير المتخصصة فحسب؛ وإنما يمكن للإعلام المضلل أن يتلاعب حتى بعقول النخبة"²، فهو يعتبر عاملاً مهماً من عوامل تحديد الأفكار والرؤى، وسلاحاً قوياً يعمل على تبديل المفاهيم وصناعة الاتجاهات³.

والإعلام المضلل يوجد في كل زمان ومكان، بغض النظر عن شكله وهيئته، فمسئولوه جهات فاسدة، والهدف واحد، متمثل في تضليل الرأي العام لجهة معينة معادية دينياً أو سياسياً أو غير ذلك، من خلال الإسهام في تضائل الوعي والإدراك لدى الناس المستهدفين، وسلبهم مهارات النقد والتساؤل، بما يتم نشره من رسائل كاذبة وتزويدهم بالحقائق المزيفة.

وفي العصر النبوي لما عجز أعداء الإسلام عن مجابهة المسلمين بالسيف، وإعاقة بناء الدولة الإسلامية، لجؤوا إلى الحرب الإعلامية، في محاولة لهدم سمات المجتمع الإسلامي وقيمه، فنجد

¹ انظر: مجموعة كتاب وباحثين: احتلال العقل "الإعلام والحرب النفسية". جمع وترجمة وتقديم: بشينة الناصري. مصر: وكالة الصحافة العربية. 2017م. (ص: 7-8)

² عبيد، علي حسين: الإعلام وصناعة الأوهام. شبكة النبأ المعلوماتية. 2016/4/10: <https://cutt.us/ZoavD>

³ انظر: الهيتي، عبد الستار إبراهيم: الإعلام في العالم الإسلامي بين الأصالة والتبعية. مؤتمر مكة المكرمة الحادي عشر: التحديثات الإعلامية في عصر العولمة. السعودية. 1431هـ-2010م. (ص: 5)

الصحابه رضوان الله عليهم قد وقعوا ضحية الإعلام المضلل والدعاية المضادة التي شنّها المنافقون، في حادثة الإفك¹.

لقد كان المنافقون سادة الإعلام المضلل في الحادثة، بثّه رأس إعلام المنافقين المضلل عبد الله بن أبيّ ابن سلول، الذي عمل على توجيه رسالة إعلامية للمستمعين أثارت الشكوك في عقّة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وغيّرت آراء ومفاهيم كانت مسلمة في عفاف أمّهات المؤمنين، وكان هدفها النهائي زعزعة الثقة بنبيّ الدعوة الإسلامية.

وقد أفرزت هذه الحملة الإعلامية أصنافاً من الناس، صنف تمكنت الصورة الوهمية والمشوهة التي قدمها الإعلام من التأثير في تفكيرهم، فتقبل ما يذاع دون تفكير في المضمون وفي مصدره، والذي يشكل غالبية المسلمين، يوحى بذلك قول عائشة رضي الله عنها: "والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك"²، وصنف رفض كأسامة رضي الله عنه كما قالت عائشة: "أما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذي يعلم من براءة أهله"³، وصنف صنع الإعلام فيهم الحيرة والاضطراب الفكري، فترددوا في صحته، كالنبيّ صلى الله عليه وسلم الذي قال: «أما بعد يا عائشة، فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه»⁴.

فقد أوجد هذا الإعلام بليلة وحيرة في نفوس المسلمين بتشويهه للحقيقة، وتزييف وعي الناس، فأثارت البليلة أحاسيسهم ودفعتهم للخروج عن الضوابط الفكرية المنهجية، بتشتيت تفكيرهم وسلب المهارات

¹ انظر: البخاري: صحيح البخاري. كتاب تفسير القرآن. باب {ولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات، بأنفسهم خيراً} [النور: 12] إلى قوله: {الكاينون} [النحل: 105]. (6/ 101/ رقم: 4750).

² المرجع السابق.

³ المرجع السابق.

⁴ المرجع السابق.

الفكرية للتلقي، من بحث عن الدليل وثبات الحجة، لذلك عندما أُنِّبَ الله عزَّوجلَّ المسلمين على ما قالوا كان الرد القرآني:

﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَقُلْتُ بَكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَذِبُونَ﴾ [النور:

13]، فهو عاتبهم على انحرافهم عن المنهجية الصحيحة للتلقي، بتهاونهم في التثبت والنقاش فيما يسمعون.

ومن صور الإعلام المضلل في زماننا: المكياج الإعلامي بتجنب إثارة النقاط الحساسة وعرض النقاط التي يرغبها المتلقي، وقلب أولويات العرض، بتقديم المهم على الأهم، أو تقديم غير المهم على المهم، وعن طريق التقليل من أهمية خبر ما وخطورته عبر إشغال المتلقي بخطر أقل شأنًا منه¹.

هذه الصور وغيرها استثمرت من قبل أصحاب المصالح السياسية والدول الاستعمارية لتحقيق أهدافها في الأمة الإسلامية في حرف مسار تفكيرها، وأولويات اهتماماتها، بهدف قتل الأفكار الإسلامية وترسيخ الأفكار الغربية التي تعمل على انسلاخ المسلم عن هويته الإسلامية وتاريخه وأخلاقه، ومن هنا نفهم الأمر بضرورة التثبت والتبيين، والذي نجده في قوله سبحانه وتعالى:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: 6].

¹ انظر: الهيئي: الإعلام في العالم الإسلامي بين الأصالة والتبعية. (ص:24).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعد هذه الدراسة لا بد لنا من خاتمة نبرز فيها أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة، وعرض بعض التوصيات المؤمل القيام بها.

أولاً: أهم النتائج التي توصلت إليها

3. التفكير المنهجي علم أصيل اهتمت السُّنة النَّبوية بإرساء قواعده وعمل النبيّ صلى الله عليه وسلم على تجسيده قولاً وعملاً.
4. مفهوم التفكير المنهجي الذي دار حوله موضوع الدراسة: إعمال العقل وفق قواعد التفكير الواردة في السُّنة.
5. أكدت الدراسة على مكانة التفكير المنضبط بمنهجية سليمة عند النبيّ صلى الله عليه وسلم، بحثه على تقديم أصحاب العقول والنهي على غيرهم، وثنائه على من تميز في تفكيره.
6. العملية الفكرية في السُّنة النَّبوية ليست مطلقة، إنما مقيدة بضوابط ينبغي للمسلم عدم تجاوز حدودها.
7. الأمر بالانتهاء عن التفكير فيما لا يدركه العقل من الغيبات ردع للعبث الفكري، وذات أثر كبير على صياغة اهتمامات المسلم وتوجيه فكره بما يحقق نتائج فكرية فعّالة.
8. إن تححية تحكيم شهوات النفس من غير داعية الشرع والعقل المستقيم، هو بالضرورة تهئية للتفكير في كل ما يرد على العقل وقبوله ورده وفقاً لداعي الحقيقة والبرهان.
9. المنهج النبوي في التفكير بفاعليته والتحامه بالواقع قادر على التكيف وتلبية حاجات المجتمعات في كل زمان ومكان، وقادر على العطاء المستمر، مما أضفى بظلاله على الفرد والمجتمع في صورة مميزة وفريدة.

10. وجود المنهجية يستلزم وجود أهداف يصل الفكر إليها، وقد تمثلت في المنهج النبوية بأهداف في الجانب الديني الآخروي، والجانب الدنيوي.

11. راعت السُّنة النبوية الميول والقدرات العقلية بين الناس، فحرص عليه السلام على استثمار أساليب خاصة تراعي تلك الفروق؛ كتكراره للكلام واستخدام الرسم التوضيحي.

12. حرص النبي صلى الله عليه وسلم على بيان كل ما قد يحرف تفكير الفرد عن مساره، حتّا منه على تجنبها وحفظ العقل من تأثيرها.

13. تنوعت معيقات التفكير المنهجي ما بين معيقات معرفية كالجهل، ومعيقات اجتماعية كالصحبة السيئة، ومعيقات نفسية كالخوف، ومعيقات إعلامية تمثلت في الإعلام المضلل.

ثانيا: التوصيات

1. على قدر أهمية الموضوع المطروح، فإنه لا زال بحاجة إلى دراسات إضافية وجوانب أخرى للموضوع، كطرق التفكير المنهجي وخصائصه ومصادره، يتم تجليتها في دراسات أخرى.

2. توصي الدراسة الجهات التربوية من أسرة ومدارس وجامعات بأهمية بالإفادة من منهج التأصيل الذي اعتمدته الدراسة، والعمل على استثماره في تنمية تفكير أفراد المجتمع؛ بإرساء هذه الأصول في عقولهم عبر أساليب متنوعة.

3. إقامة دورات تدريبية لأرباب الأسر ومعلمي المدارس حول التعرف على أساليب تنمية التفكير المنهجي وإجراءات تنفيذها للنشء.

4. تخصيص عدد من مجلة جامعة النجاح الوطنية تهتم بمواضيع التفكير الإسلامي.

5. دعوة كليات الشريعة في فلسطين بإقامة مؤتمر علمي تأصيلي لأصول الفكر في كافة الجوانب،

تربوي، نفسي، اجتماعي، اقتصادي، بحيث تتكامل فيما بينها وتعود إلى الخروج بنظرية فكرية

إسلامية تسهم شيئاً في الإصلاح والنهضة.

المراجع العلمية

- [1] ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات الشيباني الجزري (ت: 606هـ): **النهاية في غريب الحديث والأثر**. تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي. بيروت: المكتبة العلمية. 1399هـ-1979م.
- [2] الأحذب، خلدون محمد سليم: **أثر علم أصول الحديث في تشكيل العقل المسلم**. ط1. السعودية: مجمع الفقه الإسلامي. 2006م.
- [3] الأزدي، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت: 321هـ): **جمهرة اللغة**. تحقيق: رمزي منير بعلبكي. ط1. بيروت: دار العلم للملايين. 1987م.
- [4] الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت: 502هـ): **المفردات في غريب القرآن**. ط1. تحقيق: صفوان عدنان الداودي. بيروت: دار القلم: دمشق: الدار الشامية. 1412هـ.
- [5] الإمارة، أسعد شريف: **سيكولوجية الفروق الفردية علم النفس الفارقي**. ط1. عمان: دار الصفاء للنشر. 1435هـ-2014م.
- [6] ابن باديس، عبد الحميد بن محمد الصنهاجي: **تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير**. جمع وترتيب: توفيق محمد شاهين، محمد الصالح رمضان. تعليق: أحمد شمس الدين. بيروت: دار الكتب العلمية. 2009.
- [7] البارودي، منال أحمد: **العصف الذهني وفن صناعة الأفكار**. ط1. القاهرة: المجموعة العربية للتدريب والنشر. 2015.
- [8] البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي (ت: 256هـ): **صحيح البخاري**. تحقيق: محمد زهير بن ناصر. ط1. دار طوق النجاة. 1422هـ.

- [9] البرش، نعيمة عبد الله: آفات النفس كما يصورها القرآن الكريم دراسة موضوعية. الجامعة الإسلامية. غزة. فلسطين. 1429هـ-2008م.
- [10] البرماوي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الدائم العسقلاني (ت: 831 هـ): اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح. ط1. سوريا: دار النوار. 1433هـ-2012م.
- [11] ابن بطل، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت: 449هـ): شرح صحيح البخاري. ط2. تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم. الرياض: مكتبة الرشد. 1423هـ-2003م.
- [12] أبو البقاء، أيوب بن موسى الحسيني الحنفي (ت: 1094هـ): الكليات. تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري. بيروت: مؤسسة الرسالة.
- [13] بكار، عبد الكريم: المشروع الحضاري: نحو فهم جديد للواقع. ط1. القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع. 1431-2010م.
- [14] بكار، عبد الكريم: تفكيك ثقافة الغلو. رؤية للثقافة والإعلام. 2015م.
- [15] بكار، عبد الكريم: تكوين المفكر "خطوات عملية". ط1. القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر. 2010م.
- [16] بكار، عبد الكريم: جدد عقلك. عمان: دار الإعلام. ط1. 1423هـ-2003م.
- [17] بكار، عبد الكريم: عصرنا والعيش في زمانه الصعب. ط2. دمشق: دار القلم. 1425هـ-2004م.
- [18] بكار، عبد الكريم: فصول في التفكير الموضوعي. ط6. دمشق: دار القلم. 2010م.
- [19] بونو، ادوارد دي: التفكير العملي. ترجمة: الخليل الجبوسي. ط1. منشورات المجتمع الثقافي الإمارات العربية المتحدة. 1997م.

- [20] تالش، محمد اسعد نظامي: **منهجية المنهج مدخل الى تأصيل المنهج العلمي**. مجلة جامعة الملك سعود. مج6. ع1. 1994م.
- [21] ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد الحنبلي الدمشقي (ت: 728هـ): **النبوات**. تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان. ط1. الرياض: أضواء السلف. 1420هـ-2000م.
- [22] الجابري، محمد عابد الجابري: **إشكاليات الفكر العربي المعاصر**. ط2. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية. 1990م.
- [23] جاسم، صالح عبد الله: **نظرية المنهج استشراف مستقبل العلوم في الدراسات البيئية**. مجلة كلية التربية جامعة عين شمس. ع25. ج1. 2001م.
- [24] الجبوري، محمد عباس نعمان: **تأويل التشابه عند المفسرين**. (رسالة دكتوراه). جامعة الكوفة -العراق. 2008م.
- [25] جرادات، عبد الكريم، والعلي، نصر: **الحاجة إلى المعرفة والشعور بالذات لدى الطلبة الجامعيين دراسة استكشافية**. المجلة الأردنية في العلوم التربوية. مج6. ع4/2010م.
- [26] جرادات، محمد سليمان، والشيخ، سارة عارف: **الموجز في أصول التربية الإسلامية**. عمان: دار الخليج للصحافة والنشر. 2017م.
- [27] الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت: 816هـ): **كتاب التعريفات**. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1403هـ-1983م.
- [28] جروان، فتحي: **تعليم التفكير مفاهيم وتطبيقات**. ط3. دار الفكر. 2007م.
- [29] ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن (ت: 597هـ): **نم الهوى**. تحقيق: مصطفى عبد الواحد.

[30] ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن (ت: 597هـ): غريب الحديث. تحقيق: عبد

المعطي أمين القلعجي. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1405هـ-1985م.

[31] ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن (ت: 597هـ): كشف المشكل من حديث

الصحيحين. تحقيق: علي حسين البواب. الرياض: دار الوطن.

[32] جي، محمد رؤاس قلعه: موسوعة فقه عبد الله بن عباس. جامعة أم القرى. السعودية: معهد

البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي.

[33] جدير، ماثيو: منهجية البحث. ترجمة: ملكة أبيض. سوريا: منشورات الثقافة. 2004م.

[34] الحاجي، عبد الوهاب: منهج التربية والتعليم عند رسول الله. بيروت: دار الكتب العلمية.

2010م.

[35] أبو حامد، محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: 505هـ): إحياء علوم الدين. بيروت: دار

المعرفة.

[36] أبو حامد، محمد بن محمد الغزالي الطوسي: أجوبة أبي حامد الغزالي عن أسئلة أبي بكر بن

العربي. تحقيق: محمد عبدو. بيروت: دار الكتب العلمية. 2012م.

[37] أبو حامد، محمد بن محمد الغزالي الطوسي: شفاء الغليل في بيان الشبه والمخيل ومسالك

التعليل. تحقيق: حمد الكبيسي. بغداد: مطبعة الإرشاد. 1390هـ-1971م.

[38] ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت: 852هـ): فتح الباري شرح صحيح

البخاري. رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار المعرفة. 1379هـ.

[39] حربي، خالد: التعليم الديني في الميزان. الكويت: مجلة الوعي الإسلامي. ع555، 1432هـ-

2011م.

[40] حسين، ثائر: الشامل في مهارات التفكير. ط2. 2009م.

[41] الحموي، ابن حجة تقي الدين أبو بكر الأزراري (ت: 837هـ): خزانة الأدب وغاية الأرب.

تحقيق: عصام شقيو. بيروت: دار ومكتبة الهلال ودار البحار. 2004م.

[42] حميدان، منتصر نافذ محمد: السنة بين التشريع ومنهجية التشريع. (رسالة ماجستير).

جامعة النجاح الوطنية. نابلس. فلسطين. 2006م.

[43] حنايشة، عبد الوهاب محمود إبراهيم: التفكير وتنميته في القرآن الكريم. (رسالة ماجستير).

جامعة النجاح الوطنية. نابلس. فلسطين. 2009م.

[44] الخالدي، صلاح: القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث. ط1. دمشق: دار القلم.

بيروت: الدار الشامية. 1419هـ-1998م.

[45] الخراط، زلفى بنت أحمد: استخدام مهارة العصف الذهني في الدعوة إلى الله "دراسة دعوية

على أحاديث مختارة من صحيح البخاري". مجلة العلوم الشرعية. جامعة القصيم. مج14.

ع3/1442هـ-2021م.

[46] الخزاعي، فايزة بنت عبد الله بن غطيش: المنهج النبوي في التعامل مع المشكلات والأزمات.

مجلة الحكمة. ع50/2015م.

[47] الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم البستي (ت: 388 هـ): غريب الحديث.

تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي. خرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي. دمشق: دار

الفكر. 1402هـ-1982م.

[48] خلف الله، محمد أحمد: التكوين التاريخي لمفاهيم الأمة، القومية، الوطنية، الدولة والعلاقة

فيما بينها. ط2. بحوث ومناقشات الندوة الفكرية "القومية العربية والإسلام" التي نظمها مركز

الوحدة المربية -بيروت. 1982م.

[49] خليل، إسرائ عطا: الحصانة الفكرية في السُّنة النبوية دراسة موضوعية. (رسالة ماجستير).

الجامعة الإسلامية. غزة. فلسطين. 1435هـ-2015م.

[50] خليل، عماد الدين: حول إعادة تشكيل العقل المسلم. ط1. مطابع الدوحة الحديثة. 1403هـ.

[51] الخياط، ضياء قاسم، وسلمان، ربيع حازم: أثر استخدام نموذج مارزانو لأبعاد التعلم في تعديل

أنماط التعلم والتفكير لدى طلاب السنة الثالثة في كلية التربية الرياضية. مجلة الراافدين للعلوم

الرياضية. جامعة الموصل. مج19. ع62/2013م.

[52] الدغامين، زياد خليل: إعمار الكون في ضوء نصوص الوحي. إسلامية المعرفة: مجلة الفكر

الإسلامي المعاصر. ع54/1429هـ-2008.

[53] أبو دف، محمد خليل: مقدمة في التربية الإسلامية. ط3. مكتبة آفاق. 1428هـ-2007م.

[54] الدليمي، طه علي حسين، والشمري، زينت حسن نجم: أساليب تدريس التربية الإسلامية.

ط1. عمان/ رام الله: دار الشروق. 2003م.

[55] دويدري، رجاء وحيد: البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العلمية. ط1. دمشق: دار

الفكر المعاصر. 1421هـ-2000م.

[56] الرازي، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني (ت: 395هـ): مجمل اللغة لابن فارس. دراسة

وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان. ط2. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1406هـ-1986م.

[57] الرازي، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني (ت: 395هـ): مقاييس اللغة. تحقيق: عبد السلام

محمد هارون. دار الفكر. 1399هـ-1979م.

[58] الراشد، فلوقة بنت ناصر بن حمد: الظن بين الناس في القرآن الكريم "دراسة موضوعية".

مجلة جامعة الملك سعود. 2004م.

[59] ربابعة، محمد مجلي، والزويوت، عبد الله أحمد: منهج القرآن في التحصين الفكري. 2016م.

[60] ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد الحنبلي (ت: 795هـ): جامع العلوم والحكم. ط7.

تحقيق: شعيب الأرنؤوط - إبراهيم باجس. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1422هـ-2001م.

[61] رزقي، حورية: لغة الخطاب التربوي في صحيح البخاري بين التبليغ والتداول. مركز الكتاب

الأكاديمي. 2018م.

[62] رزوقي، رعد مهدي، ولطيف، استبرق مجيد علي: سلسلة التفكير وأنماطه. بيروت: دار

الكتب العلمية. 2018م.

[63] رضا، محمد رشيد بن علي (ت: 1354هـ): تفسير القرآن الحكيم. الهيئة المصرية العامة

للكتاب. 1990م.

[64] الريسوني، أحمد عبد السلام: الشورى في معركة البناء. ط1. الأردن: دار الرازي للنشر

والتوزيع. 2007م.

[65] الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، الملقب بمرتضى (ت: 1205هـ): تاج

العروس من جواهر القاموس. تحقيق: مجموعة من المحققين. دار الهداية.

[66] الزحيلي، وهبة بن مصطفى: الفقه الإسلامي وأدلته. ط4. دمشق: دار الفكر.

[67] الزغلول، رافع النصير، والزغلول، عماد عبد الرحيم: علم النفس المعرفي. عمان: دار الشروق

للنشر والتوزيع.

[68] الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت: 538هـ): الفائق في غريب الحديث.

تحقيق: علي محمد البجاوي - محمد أبو الفضل إبراهيم. ط2. دار المعرفة - لبنان.

[69] الزنّاد، الأزهر: دروس البلاغة العربية نحو رؤية جديدة. ط1. بيروت: المركز الثقافي العربي.

1992م.

[70] الزهراني، حسن بن محمد بن علي الدعيبي: الأمن الفكري لدى الطلاب مظاهره وصوره وطرق

الوصول إليه. مجلة كلية التربية. جامعة أسيوط. مج32. ع3/2016م.

[71] زيدان، عبد الكريم: السنن الالهية في الامم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية.

بيروت: الشركة المتحدة للتوزيع.

[72] السباعي، مصطفى: السيرة النبوية دروس وعبر. ط8. بيروت: المكتب الإسلامي. 1405هـ -

1985م.

[73] السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (ت:1376هـ): الرياض الناضرة. ط1. القاهرة: دار المنهاج.

1426هـ-2005م.

[74] السفاريني، شمس الدين أبو العون محمد بن أحمد الحنبلي (ت: 1188هـ): لوامع الأنوار

البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية. ط2. دمشق:

مؤسسة الخافقين ومكتبتها. 1402هـ-1982م.

[75] سليمان، سناء محمد: فن وأدب الحوار بين الأصالة والمعاصرة. ط1. عالم الكتب. 2013م.

[76] السيد، أحمد يوسف: سابغات. ط3. مركز تكوين للدراسات والأبحاث. 1438هـ-2017م.

[77] السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: 911هـ): الأشباه والنظائر. ط1. بيروت: دار الكتب

العلمية. 1411هـ-1990م.

[78] الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي (ت: 790هـ): الموافقات. تحقيق:

أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان. ط1. القاهرة: دار ابن عفان. 1417هـ-1997م.

[79] الشاهري، معد صالح: موقف المفكرين المسلمين المعاصرين من التعددية السياسية. الأردن:

دار المعتمد للنشر والتوزيع. 2017م.

[80] الشرقاوي، حسن محمد: نحو علم نفس إسلامي. الهيئة المصرية العامة للكتاب فرع الإسكندرية.

[81] الشريف، محمد بن شاكر: نحو تربية إسلامية راشدة من الطفولة حتى البلوغ. ط1. الرياض: مجلة البيان. 1427هـ.

[82] الشريفين، محمد عيسى إبراهيم: الحصانة الفكرية في ضوء الحديث النبوي الشريف. المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية. مج5. ع1/2009م.

[83] الشطي، محمد يوسف رجب، والإبراهيم، أسماء بدري: التطرف والغلو: دراسة مقارنة في ضوء الحديث النبوي الشريف وعلم النفس. مجلة التربية. جامعة الأزهر. ع159/2014م.

[84] شعبان، كاملة الفرخ، وتيم، عبد الجابر: النمو الانفعالي عند الطفل. ط1. عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع. 1420هـ-1999م.

[85] الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني (ت: 1250هـ): فتح القدير. ط1. دمشق: دار ابن كثير. بيروت: دار الكلم الطيب. 1414هـ.

[86] الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني (ت: 1250هـ): نيل الأوطار. تحقيق: عصام الدين الصبابطي. ط1. مصر: دار الحديث. 1413هـ-1993م.

[87] صالح، نزار عطا الله أحمد: الموضوعية مفهومها وأثرها في فهم النص القرآني "السمين الحلبي أنموذجاً". جامعة آل البيت: المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية. مج11. ع1/2015م.

[88] أبو صفية، أسماء وجيه: الصحبة في ضوء القرآن الكريم دراسة موضوعية. (رسالة ماجستير). الجامعة الإسلامية. غزة. فلسطين. 1432هـ-2011م.

[89] صليبا، جميل (ت: 1976م): المعجم الفلسفي. بيروت: الشركة العالمية للكتاب. 1994م.

- [90] الصنعاني، محمد بن إسماعيل بن صلاح (ت: 1182هـ): سبل السلام. دار الحديث.
- [91] الصويان، أحمد بن عبد الرحمن: الحوار وأصوله المنهجية وآدابه السلوكية. ط1. الرياض: دار الوطن. 1413هـ.
- [92] الصويان، أحمد بن عبد الرحمن: نحو منهج شرعي في تلقي الأخبار وروايتها. ط3. دار السليم للنشر والتوزيع. 2000م.
- [93] الطائي، محمد علي إبراهيم حسين علي: الاستعارة في الحديث النبوي (صحيح البخاري). بيروت: دار الكتب العلمية. 2014م.
- [94] الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت: 360هـ): تفسير الطبري. تحقيق: أحمد شاکر.
- [95] طراد، حسن: فلسفة الصلاة في الإسلام. ط1. بيروت: دار الزهراء. 1420هـ-1999م.
- [96] طراد، حسن: من وحي الإسلام. ط1. بيروت: دار الزهراء.
- [97] طويلة، عبد الوهاب عبد السلام: أثر اللغة في اختلاف المجتهدين. ط2. مصر: دار السلام. 1420هـ-2000م.
- [98] الطيبي، شرف الدين الحسين بن عبد الله (ت: 743هـ): شرح الطيبي على مشكاة المصابيح (الكاشف عن حقائق السنن). تحقيق: عبد الحميد هنداي. ط1. الرياض: مكتبة نزار مصطفى الباز. 1417هـ-1997م.
- [99] ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (ت: 1393هـ): التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية للنشر. 1984هـ.
- [100] العالم، يوسف حامد: المقاصد العامة للشريعة الإسلامية. ط2. الرياض: المعهد العالمي للفكر الإسلامي. 1415هـ-1994م.

[101] عامري، سامي: براهين النبوة والرد على اعتراضات المستشرقين والمنصرين. السعودية:

مركز تكوين للدراسات والأبحاث. ط1. 1438هـ-2017م.

[102] عامري، سامي: فمن خلق الله؟ ط2. هذا الكتاب من سلسلة إصدارات المؤسسة العلمية

الدعوية العالمية. برعاية مركز تكوين للأبحاث والدراسات. 1438هـ-2017م.

[103] عبد الحميد، أحمد مختار (ت: 1424هـ): معجم اللغة العربية المعاصرة. عالم الكتب. ط1.

1429هـ-2008م.

[104] عبد الرزاق، نعيم أسعد: التخصص في ضوء السنة النبوية وأثره على المجتمع. مجلة

الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية. الجامعة الإسلامية. غزة. فلسطين. مج22.

ع2/2014م.

[105] عبد القادر، علا حافظ وآخرون: مواجهة التفكير الخرافي لدى الشباب من منظور تربوي

إسلامي "دراسة تحليلية". ع37. مجلة كلية التربية بالإسماعيلية. جامعة قناة السويس. مصر.

2017م.

[106] عبد الله، عودة: الحوار في السنة ودوره في محاربة التطرف. مجلة جامعة النجاح للأبحاث

(العلوم الإنسانية). جامعة النجاح الوطنية. نابلس. فلسطين. مج34. ع12/2020م.

[107] عثمان، عبد الكريم: معالم الثقافة الإسلامية. ط6. بيروت: مؤسسة الرسالة.

[108] عثمان، محمد فتحي: الفكر الإسلامي والتطور. ط2. الكويت: الدار الكويتية. 1388هـ-

1969م.

[109] العجلان، فهد صالح: التسليم للنص الشرعي والمعارضات الفكرية المعاصرة. ط2.

السعودية: مركز التأصيل للدراسات والبحوث. 2015م.

[110] العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (ت: نحو 395هـ): الفروق اللغوية.

تحقيق: محمد إبراهيم سليم. القاهرة: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع.

[111] العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (ت: نحو 395هـ): معجم الفروق اللغوية.

تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي. ط1. مؤسسة النشر الإسلامي.

1412هـ.

[112] علي، حيدر إبراهيم: ظاهرة العنف والتطرف. منتدى التنمية الخليجي: مجموعة أوراق اللقاء

السنوي السابع عشر. 1996م.

[113] العليان، عبد الله علي: حوار الحضارات في القرن الحادي والعشرين. ط1. بيروت: المؤسسة

العربية للدراسات والنشر. 2004م.

[114] العمرات، أحمد صالح: أثر الثناء في ترشيد السلوك الإنساني. مقال غير محكم. مجلة

الأمن والحياة. جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية. مج16. ع176/1997م.

[115] عواد، محمود: معجم الطب النفسي والعقلي. عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع.

[116] عوض، عال: الاستمولوجيا.

[117] عيدة، ناغش: أسلوب الاستفهام في الأحاديث النبوية في رياض الصالحين دراسة نحوية

بلاغية تداولية. (رسالة ماجستير). جامعة مولود معمري. الجزائر. 2012م.

[118] العيني، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى الغيتابي الحنفى (ت: 855هـ): عمدة القاري

شرح صحيح البخاري. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

[119] الغريزي، سعدي جاسم عطية، والعبادي، إيمان يونس إبراهيم: مهارات تفكير حل المشكلات

لدى طفل الروضة. مركز الكتاب الأكاديمي. 2020م.

[120] الغزالي، محمد (ت: 1996): **فقه السيرة**. تخريج: محمد ناصر الدين الألباني. ط6. مصر:

دار الكتب الحديثة. ط6. 1965.

[121] الغزالي، محمد: **الجانب العاطفي في الإسلام**. ط3. مصر: نهضة مصر للطباعة والنشر

والتوزيع. 2005م.

[122] الغزالي، محمد: **مع الله دراسات في الدعوة والدعاة**. ط6. مصر: نهضة مصر للطباعة

والتوزيع. 2005م.

[123] الغنيمان، أحمد عبد الله: **علم الغيب في الشريعة الإسلامية**. ط1. المدينة المنورة: مكتبة

العلوم والحكم. 2004م.

[124] الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت: 393هـ): **الصحاح تاج اللغة وصحاح**

العربية. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. ط4. بيروت: دار العلم للملايين. 1407هـ-1987م.

[125] فايزة، بوغالية: **طرائق وأساليب التدريس (محاضرة جامعية مكتوبة)**. معهد التربية البدنية

والرياضية-جامعة حسيبة بن بو علي الشلف. 2019م.

[126] الفَتَّي، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي (ت: 986هـ): **مجمع بحار الأنوار في غرائب**

التنزيل ولطائف الأخبار. ط3. مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية. 1387هـ-1967م.

[127] فخري، ماجد: **المفكر العربي أمام تحديات الحضارة المعاصرة**. مجلة الفكر العربي المعاصر.

مركز الإنماء القومي. 1980م.

[128] الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل البصري (ت: 170هـ): **كتاب العين**. تحقيق: مهدي

المخزومي، إبراهيم السامرائي. دار ومكتبة الهلال.

[129] الفرفور، محمد عبد اللطيف: **الوسطية في الإسلام**. ط1. بيروت: دار النفائس. 1993م.

[130] الفقي، إبراهيم: **حياة بلا توتر**. مصر: دار إبداع للنشر والتوزيع. 1430هـ-2009م.

- [131] الفقيه، شبر: مفاهيم الفكر السياسي في الإسلام. ط1. بيروت: دار البحار. 2009م.
- [132] الفوز، زياد بن عبد الله بن محمد: التدرج في تطبيق الشريعة وعلاقته بالسياسة الشرعية. (رسالة ماجستير). جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. السعودية. 1427هـ/1428هـ.
- [133] الفيومي، أحمد بن محمد بن علي أبو العباس (ت: نحو 770هـ): المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. بيروت: المكتبة العلمية.
- [134] قاسم، حمزة محمد: منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري. دمشق: دار البيان. مكتبة المؤيد: الطائف. 1410هـ-1990م.
- [135] قاسم، محمد محمد: المدخل إلى مناهج البحث العلمي. ط1. بيروت: دار النهضة العربية. 1999م.
- [136] القرضاوي، يوسف: الرسول والعلم. دار الصحوة.
- [137] القرضاوي، يوسف: الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف. ط1. القاهرة: دار الشروق. 1421هـ-2001م.
- [138] القرضاوي، يوسف: أين الخل؟ ط1. القاهرة: دار الصحوة. 1406هـ-1985م.
- [139] القرضاوي، يوسف: كيف نتعامل مع القرآن العظيم. ط3. القاهرة: دار الشروق. 1421هـ-2000م.
- [140] القرضاوي، يوسف: مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1993م.
- [141] قطب، سيد قطب إبراهيم الشاربي (ت: 1385هـ): في ظلال القرآن. ط17. القاهرة: دار الشروق. 1412هـ.
- [142] قطب، محمد: منهج التربية الإسلامية. ط4. دار الشروق. 1400هـ-1980م.

[143] قلعجي، محمد رواس، وقنيبي، حامد صادق: **معجم لغة الفقهاء**. ط2. دار النفائس للطباعة

والنشر والتوزيع. 1408هـ-1988م.

[144] ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب الجوزية (ت: 751هـ): **إعلام الموقعين عن رب**

العالمين. تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1411هـ-

1991م.

[145] ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب الجوزية (ت: 751هـ): **حادي الأرواح إلى بلاد**

الأفراح. خرج أحاديثه: زكريا عميرات. بيروت: دار الكتب العلمية.

[146] ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب الجوزية (ت: 751هـ): **روضة المحبين ونزهة**

المشتاقين. بيروت: دار الكتب العلمية. 1403هـ-1983م.

[147] ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب الجوزية (ت: 751هـ): **مدارج السالكين بين منازل**

إياك نعبد وإياك نستعين. تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي. ط3. بيروت: دار الكتاب

العربي. 1416هـ-1996م.

[148] كوجك، كوثر حسين كوجك: **اتجاهات حديثة في المناهج وطرق التدريس**. ط2. القاهرة:

عالم الكتب. 2001م.

[149] الكيلاني، ماجد عرسان: **فلسفة التربية الإسلامية**. ط1. بيروت: دار البشائر. 1407هـ-

1987م.

[150] لاشين، موسى شاهين: **فتح المنعم شرح صحيح مسلم**. ط1. دار الشروق. 1423هـ-

2002م.

[151] لجنة معيار التدريس والتعلم: **إستراتيجية التدريس والتعلم والتقويم**. كلية التربية النوعية-

جامعة المنيا.

[152] الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري (ت: 450هـ): أدب الدنيا

والدين. دار مكتبة الحياة. 1986م.

[153] مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى/ أحمد الزيات/ حامد عبد القادر/ محمد

النجار): المعجم الوسيط. دار الدعوة.

[154] مجمع اللغة العربية: المعجم الفلسفي، القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية.

1402هـ-1983م.

[155] مجموعة كتاب وباحثين: احتلال العقل "الإعلام والحرب النفسية". جمع وترجمة وتقديم: بثينة

الناصري. مصر: وكالة الصحافة العربية. 2017م.

[156] مجموعة مؤلفين: أثر التنمية الذاتية للفرد المسلم في ضوء التربية الإسلامية. 2011م.

[157] المزيني، خالد بن عبد الله: مفهوم التعددية الفكرية تقسيما وتأصيلا على ضوء السياسة

الشرعية. مجلة التأصيل للدراسات الفكرية المعاصرة. مركز التأصيل للدراسات والبحوث.

ع2010/2م.

[158] مسعود، جبران: الرائد "معجم لغوي عصري". ط7. بيروت: دار العلم للملايين. 1992م.

[159] مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت: 261هـ): صحيح مسلم.

تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

[160] مصطفى الشنار، وحسن هاشم: التفكير العلمي وتنمية البشر. ط1. مصر: روابط للنشر

والتوزيع. 2017م.

[161] مطالقة، أحلام، والشريفين، عماد: العلاقة بين العقل والوحي وانعكاساتها الفكرية والتربوية.

مجلة المنارة. مج20. ع2014/2م.

[162] مكرم، عبد العالم سالم: الفكر الإسلامي بين العقل والوحي وأثره في مستقبل الإسلام. ط1.

دار الشروق. 1402هـ-1982م.

[163] ملكاوي، فتحي حسن: البناء الفكري مفهومه ومستوياته وخرائطه. ط1. عمان: المعهد

العالمي للفكر الإسلامي. 1436هـ-2015م.

[164] ملكاوي، فتحي حسن: الفكر التربوي الإسلامي المعاصر "مفاهيمه ومصادره وخصائصه

وسبل إصلاحه". ط1. الأردن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي. 1442هـ-2020م.

[165] ملكاوي، فتحي حسن: أنواع التفكير: رؤية تكاملية في السياق الحضاري المنشود. إسلامية

المعرفة: مجلة الفكر الإسلامي المعاصر. ع94.

[166] المليجي، حلمي: علم النفس المعاصر. ط8. بيروت: دار النهضة العربية. 2000م.

[167] منصور، عبد المجيد سيد أحمد، والتويجري، محمد بن عبد المحسن، الفقي، إسماعيل محمد:

علم النفس التربوي. ط9. الرياض: مكتبة العبيكان. 1434هـ-2014م.

[168] ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت: 711هـ): لسان العرب. ط2. بيروت: دار

صادر. 1414هـ.

[169] الميلاد، زكي: الفكر الإسلامي قراءات ومراجعات. ط1. بيروت: الشبكة العربية للأبحاث

والنشر. 2012م.

[170] نبي، مالك: شروط النهضة. ترجمة: عبد الصبور شاهين. دمشق: دار الفكر. 1406هـ-

1986م.

[171] النجار، فايز وآخرون: أساليب البحث العلمي من منظور تطبيقي، عمان: دار الحامد للنشر

والتوزيع. 2008م.

[172] ابن نجيم، زين الدين بن إبراهيم بن محمد (ت: 970هـ): **الأشْبَاهُ وَالنَّظَائِرُ عَلَى مَذْهَبِ أَبِي**

حَنِيفَةَ النُّعْمَانِ. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1419هـ-1999م.

[173] النحلاوي، عبد الرحمن: **أصول التربية الإسلامية في البيت والمدرسة والمجتمع**. ط3.

دمشق: دار الفكر. 1425هـ-2004م.

[174] أبو النصر، مدحت: **تنمية القدرات الابتكارية "لدى الفرد والمنظمة"**. مجموعة النيل العربية.

2004م.

[175] نعيّرات، رائد: **تأثير الإعلام المجتمعي على تشكيل الرأي العام**. مؤتمر كلية الشريعة الدولي

الرابع "وسائل التواصل الحديثة وأثرها على المجتمع". جامعة النجاح الوطنية. نابلس. فلسطين.

2014م.

[176] النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت: 676هـ): **المنهاج شرح صحيح مسلم**

بن الحجاج. ط2. بيروت: دار إحياء التراث العربي. 1392هـ.

[177] الهروي، علي بن سلطان محمد (ت: 1014هـ). **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**.

ط1. بيروت: دار الفكر. 1422هـ-2002م.

[178] الهروي، محمد بن أحمد بن الأزهر أبو منصور (ت: 370هـ): **تهذيب اللغة**. تحقيق: محمد

عوض. ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي. 2001م.

[179] همداني، كفايت الله: **الترغيب والتهذيب في السياق القرآني**. مجلة القسم العربي. الجامعة

الوطنية للغات الحديثة. إسلام آباد. باكستان. ع22/2015م.

[180] الهميلي، جمال يوسف: **صناعة الفكر**. مكتبة الملك فهد الوطنية. 2016م.

[181] الهيّتي، عبد الستار إبراهيم: **الإعلام في العالم الإسلامي بين الأصالة والتبعية**. مؤتمر مكة

المكرمة الحادي عشر: **التحديات الإعلامية في عصر العولمة**. السعودية. 1431هـ-2010م.

[182] وافي، علي عبد الواحد: حقوق الإنسان في الإسلام. ط5. القاهرة: دار نهضة مصر.

1398هـ-1979م.

[183] الودعان، إبراهيم بن فهد بن إبراهيم الودعان: قواعد وضوابط عقوبات الحدود والتعازير.

دراسة تأصيلية تطبيقية. دكتوراه الفلسفة في العلوم الأمنية. كلية الدراسات العليا قسم العدالة

الجنائية. جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية. إشراف: صالح بن عثمان بن عبد العزيز الهليل.

2008م.

[184] أبو يحيى، محمد حسن: التجديد في الفكر الإسلامي: مفهومه، أهميته، ضوابطه. عمان:

دار يافا العلمية للنشر. 2011م.

[185] اليوسي، الحسن بن مسعود بن محمد (ت: 1102هـ): زهر الأكم في الأمثال والحكم. تحقيق:

محمد حجي. د محمد الأخضر. ط1. المغرب: الشركة الجديدة - دار الثقافة. الدار البيضاء.

1401هـ-1981م.

المواقع الالكترونية

1. النقيثان، نورة: تعريف الإعلام ووسائله. صحيفة المدينة. 2013/3/23:

<https://cutt.us/X4wHV>

2. عبيد، علي حسين: الإعلام وصناعة الأوهام. شبكة النبأ المعلوماتية. 2016/4/10:

<https://cutt.us/ZoavD>

3. بكار، عبد الكريم: حلقة يوتيوب منهجية التفكير من برنامج أفكار للمستقبل. تقديم: حذيفة

عكاش. إنتاج قناة رؤية للثقافة والإعلام. السبت 2017/5/30: <https://2u.pw/XA2C4>

4. قراءة في مفهوم الفكر: إعداد مركز رؤيا للبحوث والدراسات. 6 /10/ 2017:

<https://2u.pw/QDbRj>

5. المقدم، محمد أحمد إسماعيل: سلسلة الإيمان والكفر (بتقديم الشاملة آليا). (21 /8). مصدر

الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية: <http://www.islamweb.net>

6. صابر، سيد: أخطاء التفكير والأمراض النفسية (3). مصر: موسوعة الإدمان.

2019م: <https://cutt.us/aOif4>

7. أبو علي، عبد الحميد: الحدود الفاصلة بين العروبة والإسلام. مجلة الوعي -لبنان: ع34.

السنة الثالثة. 1410هـ-1990م. نقلا عن مجلة العالم: الصادرة في لندن باللغة العربية، نشرت

في عددها رقم 309. 1410هـ -1990م. <http://www.al->

waie.org/archives/article/11565



An- Najah National University
Faculty of Graduate Studies

**THE SYSTEMATIC THINKING IN THE
LIGHT OF THE PROPHITIC SUNNAH
(A Basic Study)**

By

Ansam Alem Ismail Alem

Supervisor

Dr. Hussain Al-Naqeeb

Dr. Muhammad Al-Jitan

**This Thesis Is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements
for the Degree of Master of Fundamentals of Islamic Law, Faculty of
Graduate Studies, An-Najah National University, Nablus, Palestine.**

2022

The Systematic thinking in the light of the prophitic Sunnah (A Basic Study)

By
Ansam Alem Ismail Alem
Supervisor
Dr. Hussain Al-Naqeeb
Dr. Muhammad Al-Jitan

Abstract

The study aimed to highlight the impact of the Prophetic Sunnah, and to indicate its active role in building the systematic thinking of the Muslim individual, in an inductive fundamentalism approach from the two Sahihs that is needed in reality in which systematic thinking is weak, and the interest of our Islamic societies is scarce.

In the first chapter, a review of the definitions of scholars for the terms thinking and approach, and their combination, then proceeded to clarify the status and importance of thinking in the Prophetic Sunnah, and the impact of systematic thinking on directing the methodology of the mind. Then the study presented the areas in which the Prophet, peace been upon him, employed his thinking, and the chapter concluded with a statement of the controls of thinking that were represented in the limits that the mind should not exceed in its intellectual activity.

As for the second chapter, it was the crux of the topic. The researcher employed the inductive and analytical methods in analyzing the prophetic texts. To derive the fundamentals, and to explain their impact in directing thinking in the right direction, and they came in three types; It was represented in intellectual fundamentals, scientific fundamentals, and practical fundamentals.

The third chapter came as the conclusion of the chapters by presenting the objectives of the systematic thinking in the Prophet's approach, then the paths and methods used by the Prophet, peace been upon him; To develop the systematic thinking of the addressees, with an explanation of this with

practical examples of each method, and the chapter was concluded with the obstacles that oppose the process of developing systematic thinking.

The study concluded that the systematic thinking is an authentic science that the Prophetic Sunnah focused on establishing its bases, and the Prophet, peace been upon him, worked on embodying it in word and deed. The study recommended the educational authorities from families, schools and universities to the importance of benefiting from the fundamentalism approach adopted by the study, and working on investing it in developing the thinking of community members; by laying these fundamentals in their minds through various methods.

Keywords: thinking, Sunnah, approach, development, controls.